

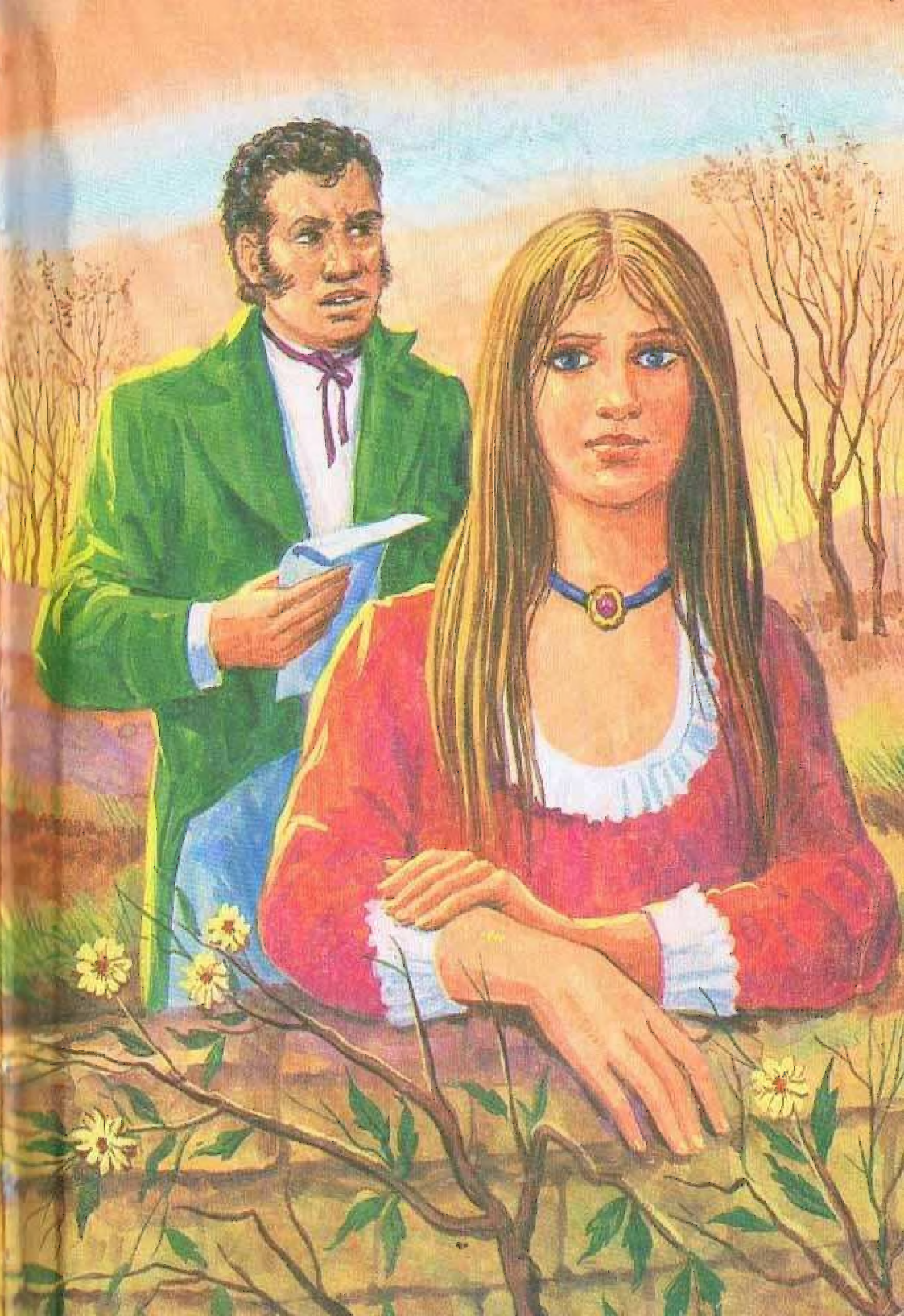
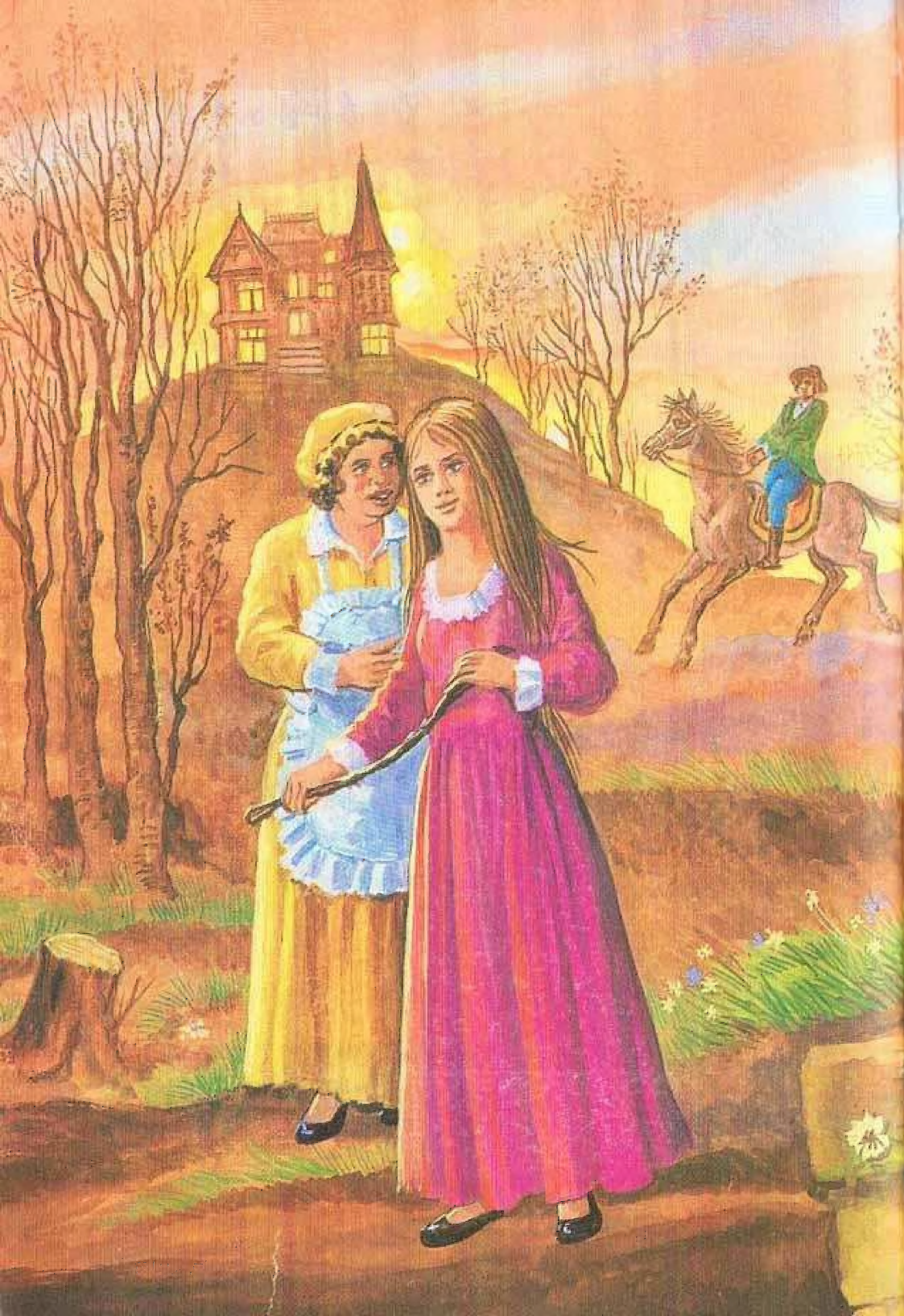
# من نفعنا وذا نفع



الروايات المشهورة









رئيس التحرير : وجدي رزق غالي

# من نفعنا وذا نفع



الروايات المشهورة



تأليف : إميلي برونتي

نقلها إلى العربية : الدكتور زاخر غبريال

رسوم : محمد قطب

مكتبة لبنان ناشرون

مكتبة لبنان ناشرون

نفاق البلاط - ص: ١١ - ٩٩٣٢  
سبروت - لبنان  
وكلاء وموزعون في جميع أنحاء العالم

© الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجان ، ١٩٩٤

١٠ شارع جميل وإصف ، ميدان المساحة ، الدقي ، الجيزة - مصر

جميع الحقوق محفوظة : لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب ، أو تخزينه  
أو تسجيله بأي وسيلة ، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر .

الطبعة الأولى ١٩٩٤

رقم الإيداع : ٥٥٩٩ / ١٩٩٣

الترقيم الدولي : ٤ - ٠٠٩٧ - ١٦ - ٩٧٧ - ISBN

طبع في دار نوبار للطباعة



لَقَدْ عَاشَ آلُ إِيرِنَشُو فِي الْمَنْزِلِ طَوَالَ هَذَا الزَّمَنِ . وَمُنْذُ ثَلَاثِينَ  
عَامًا - حِينَ بَدَأْتُ قِصَّتِي تَأْخُذُ مَجْرَاهَا - كَانَ السَّيِّدُ إِيرِنَشُو  
وَزَوْجَتُهُ يَعِيشَانِ فِي هَذَا الْمَنْزِلِ مَعَ ابْنَيْهِمَا هِنْدَلِي وَابْنَتَيْهِمَا كَاثَرِينَ .  
وَكَانَ هِنْدَلِي حِينَئِذٍ يَبْلُغُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ ، وَكَاثَرِينَ فِي  
السَّادِسَةِ مِنْ عُمُرِهَا .

وَلَقَدْ عِشْتُ أَنَا ، إِلَيْنِ دِينَ ، فِي هَذَا الْمَنْزِلِ أَيْضًا ، وَكَانَ عُمُرِي  
إِذْ ذَاكَ كَعُمُرِ هِنْدَلِي ، وَكَانَتْ أُمِّي تَعْمَلُ خَادِمَةً لِهَذِهِ الْعَائِلَةِ .  
وَهَكَذَا عِشْتُ أَنَا مَعَ الْعَائِلَةِ أَعَاوُنُ فِي أَعْمَالِ الْمَنْزِلِ وَالْحُقُولِ ،  
وَالْعَبُّ مَعَ الْأَطْفَالِ .

وَلَكِنْ هَذِهِ لَيْسَتْ قِصَّتِي ، بَلْ قِصَّةُ عَائِلَةِ إِيرِنَشُو الَّتِي سَكَنْتْ  
فِي مُرْتَفَعَاتِ وَذَرْنِغِ ، وَعَائِلَةُ لِنْتُونِ ، الَّتِي أَقَامَتْ فِي ثَرْشُكْرُوسِ  
غَرَايْجِ ، وَلَكِنَّهَا فِي الْأَعْلَى الْأَعْمَ قِصَّةُ هِيْشْكَلِيفِ .

لَقَدْ غَيَّرَ هِيْشْكَلِيفُ مَجْرَى حَيَاتِنَا مُنْذُ أَنْ وَصَلْنَا إِلَى مُرْتَفَعَاتِ  
وَذَرْنِغِ ، وَلَنْ أَنْسَى أَوَّلَ مَرَّةٍ وَقَعَ عَلَيْهِ نَظْرِي . كَانَ السَّيِّدُ إِيرِنَشُو قَدْ  
سَافَرَ إِلَى لِيْثْرِبُولِ لِقَضَاءِ بَعْضِ الْمَهَامِ ، وَكَانَتْ تِلْكَ تَقَعُ عَلَى  
بَعْدِ تِسْعِينَ كِيلُومِتْرًا ، وَقَدْ اعْتَادَ دَائِمًا أَنْ يَذْهَبَ إِلَيْهَا وَيَعُودَ مِنْهَا .

وَفِي آخِرِ مَرَّةٍ ، سَافَرَ إِلَيْهَا حَيْثُ مَكَثَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى

## الفصل الأول

تَقَعُ « مُرْتَفَعَاتُ وَذَرْنِغِ » عَلَى رِبْوَةٍ عَالِيَةٍ ، تُشْرِفُ عَلَى أَرْضِ  
قَفْرِ ، وَتَهْبُ عَلَيْهِمَا - بِصِفَةِ دَائِمَةٍ - رِيحٌ مُنْعِشَةٌ . وَتَعْنِي كَلِمَةُ  
وَذَرْنِغِ - عَاصِفًا أَوْ شَدِيدَ الزَّوَابِعِ . وَيُمْكِنُ لِلْمَرْءِ أَنْ يَرَى أَثَرَ  
عَصْفِ رِيحِ الشَّمَالِ مِنْ خِلَالِ الْأَشْجَارِ الَّتِي تَقِفُ فِي صَفٍّ  
مُنْتَظِمٍ إِلَى جِوَارِ الْمَنْزِلِ ، وَالَّتِي تَنْحَنِي هَامَاتُهَا فِي اتِّجَاهٍ وَاحِدٍ هُوَ  
اتِّجَاهُ الرِّيحِ .

وَقَدْ رُوعِيَ فِي بِنَاءِ الْمَنْزِلِ أَنْ يَكُونَ قَوِيًّا وَرَاسِخًا حَتَّى يُقَاوِمَ الرِّيحَ  
الْعَاتِيَةَ . وَاتَّخَذَ الْمَنْزِلُ شَكْلًا مُرَبَّعًا مَتِينًا ذَا نَوَافِدَ ضَيِّقَةٍ انْغَرَسَتْ  
بِطَرِيقَةٍ مُحْكَمَةٍ فِي الْجُدْرَانِ . وَهَكَذَا وَقَفَ الْمَنْزِلُ صَامِدًا أَمَامَ الزَّمَنِ  
لَأَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ عَامٍ ، وَيُمْكِنُ لِلْمَرْءِ أَنْ يُشَاهِدَ تَارِيخَ بِنَائِهِ  
مَحْفُورًا فِي حِجَارَتِهِ ، وَكَذَلِكَ اسْمُ « هِيرْتُونِ إِيرِنَشُو » .



الْمَنْزِلَ مُجْهِدًا ، فِي وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنْ مَسَاءِ الْيَوْمِ الثَّالِثِ ، وَكَانَ  
يَحْمِلُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِعْطَفَهُ الَّذِي لَفَّهُ بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ .

قَالَ السَّيِّدُ إِيرِنْشُو - وَهُوَ يَضْحَكُ - وَقَدْ فَكَّ الْمِعْطَفَ فَإِذَا بِهِ  
يَحْوِي طِفْلًا ، ذَا شَعْرٍ أَسْوَدَ وَوَجْهٍ مُتَجَهِّمٍ : « تَعَالِي ، يَا زَوْجَتِي ،  
وَانْظُرِي . يَجِبُ أَنْ تَقْبَلِي هَذَا الطِّفْلَ عَلَى أَنَّهُ مَنَحَةٌ مِنَ اللَّهِ ، رَغْمَ  
أَنَّهُ يَبْدُو وَكَأَنَّهُ مِنْ لَدُنِ الشَّيْطَانِ . »

تَزَاكَمْنَا حَوْلَ الطِّفْلِ نَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ يَبْدُو أَكْبَرَ مِنْ كَثَرِينَ  
بَعْضَ الشَّيْءِ ، وَقَدْ حَمَلَقَ فِي وَجْهِهَا جَمِيعًا ، وَتَلَفَّظَ بِالْفَافِ  
غَرِيبَةٍ لَمْ نَسْمَعْ مِثْلَهَا مِنْ قَبْلُ .

صَرَخَتِ السَّيِّدَةُ إِيرِنْشُو فِي وَجْهِ زَوْجِهَا : « هَلْ جُنِنْتَ ؟! كَيْفَ  
أَتَيْتَ بِهَذَا الْمَخْلُوقِ الْعَجِيبِ إِلَى الْمَنْزِلِ ، وَلَدَيْنَا أَطْفَالٌ وَعَلَيْنَا  
إِطْعَامُهُمْ ؟ »

أَجَابَ الزَّوْجُ : « لَمْ تُطَاوِعْنِي نَفْسِي أَنْ أَتْرَكَهُ يَمُوتُ جَوْعًا !  
لَقَدْ وَجَدْتُهُ فِي شَوَارِعِ لِيْفَرْبُولَ وَحِيدًا بِلا مَأْوَى وَلَا يَعْرِفُهُ أَيُّ إِنْسَانٍ ؛  
وَلِذَا أَتَيْتُ بِهِ إِلَى الْمَنْزِلِ . »

وَطَلَبَ إِلَيَّ أَنْ أَقُومَ بِتَنْظِيفِهِ وَالْبَاسِهِ رَدَاءً نَظِيفًا ، وَأَجْعَلَهُ يَبِيتُ مَعَ  
أَطْفَالِنَا ، وَلَكِنَّ الْأَطْفَالَ رَفَضُوا ذَلِكَ كُلِّيَّةً ، كَمَا رَفَضُوا أَنْ يَبِيتَ





إلى جوارهم في الفراش ، بل رَفَضُوا حَتَّى أَنْ يَبْتَ فِي  
غُرْفَتِهِمْ . وَرَفَضْتُ أَنَا أَيْضًا أَنْ يَبْتَ مَعِي ؛ لِذَا فَقَدْ وَضَعْتُهُ فِي الْمَرِّ  
الْخَارِجِي لِيَبْتَ فِيهِ .

كَانَ عَلَى السَّيِّدَةِ إِيرِنْشُو أَنْ تُوَافِقَ أَخِيرًا عَلَى أَنْ يَبْقَى الطُّفْلُ  
بِالْمَنْزِلِ ، وَفَرَّرتِ الْعَائِلَةُ أَنْ تُطْلَقَ عَلَيْهِ اسْمُ هَيْشَكْلِيْفِ وَهُوَ اسْمُ  
طِفْلٍ آخَرَ تُوَفِّي مِنْ قَبْلُ . وَسَرَّعَانَ مَا أَصْبَحَتْ كَاثَرِينَ الصَّغِيرَةَ  
صَدِيقَةً لَهُ ، وَلَكِنْ هَنْدَلِي كَانَ يُضْمِرُ لَهُ كَرَاهِيَةً ، فَكَانَ يَضْرِبُهُ مِنْ  
وَقْتٍ لآخر بِقَسْوَةٍ ، وَمَا كَانَ لِهَيْشَكْلِيْفِ الصَّبِيِّ أَنْ يَنْبَسَ بِنْتِ  
شَفَةِ أَوْ يَجَارَ بِشَكْوَى ، وَلَقَدْ تَعَوَّدَ مِنْهُ الْمُعَامَلَةَ الْفُظَّةَ . وَلَكِنْ السَّيِّدُ  
إِيرِنْشُو الْأَبَ الْكَبِيرَ كَانَ ، وَيَا لِلْغَرَابَةِ ! مُغْرَمًا بِهِ ، وَقَدْ عَامَلَهُ كَمَا  
لَوْ كَانَ ابْنًا لَهُ ، وَحِينَ كَانَ يَرَى هَنْدَلِي وَهُوَ يَضْرِبُ الطُّفْلَ الْبَائِسَ  
يَتِمُّ الْأَبَ - كَمَا كَانَ يَدْعُوهُ - كَانَ يَثُورُ غَضَبًا .

وَهَكَذَا مِنْذُ الْبِدَايَةِ كَانَ هَيْشَكْلِيْفِ سَبَبًا فِي إثَارَةِ مَشَاعِرٍ غَيْرِ سَوِيَّةٍ  
فِي الْمَنْزِلِ ، وَتَفَاقَمَتْ هَذِهِ الْمَشَاعِرُ بِمُضِيِّ الزَّمَنِ .

بَعْدَ مُضِيِّ عَامَيْنِ تُوَفِّيَتِ السَّيِّدَةُ إِيرِنْشُو ، وَكَانَ ذَلِكَ الْوَقْتُ  
كَافِيًا لِأَنْ يُصْعَدَ هَنْدَلِي مِنْ كَرَاهِيَتِهِ الدَّاخِلِيَّةِ لِهَيْشَكْلِيْفِ كَرَاهَةً لَا  
حَدَّ لَهَا .

وَلَقَدْ آيَدْتُ أَنَا - لِبَعْضِ الْوَقْتِ - هَنْدَلِي فِي كَرَاهِيَتِهِ  
لِهَيْشَكْلِيْفِ ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا رَقَدَ الْأَطْفَالُ الثَّلَاثَةُ مَرْضَى فِي  
الْفِرَاشِ تَغَيَّرَ تَفْكِيرِي إِزَاءَهُمْ ، فَقَدْ كَانَ الْمَرَضُ خَطِيرًا ، وَكَانَ عَلَيَّ  
أَنْ أَرْعَاهُمْ فِي أَثْنَاءِ مَرَضِهِمْ رَغْمَ أَنِّي كُنْتُ إِذْ ذَاكَ فِي السَّادِسَةِ  
عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِي ، وَكَانَ هَيْشَكْلِيْفِ أَشَدَّ الثَّلَاثَةِ خَطَرًا ، وَلَقَدْ  
تَعَرَّضْتُ حَيَاتُهُ - فِي بَعْضِ أَيَّامٍ - لِلْخَطَرِ . وَلَكِنْ بَيْنَمَا حَاقَ بِي  
الْكَثِيرُ مِنَ الْمَتَاعِبِ بِسَبَبِ هَنْدَلِي وَكَاثَرِينَ ، كَانَ هَيْشَكْلِيْفِ  
كَالْحَمَلِ الْوَدِيعِ مَعِي ؛ فَظَلَلْتُ طَوَالَ الْوَقْتِ إِلَى جَوَارِهِ فِي فِرَاشِهِ .  
وَلَمَّا تَحَسَّنَتْ صِحَّتُهُ قَالَ الطَّبِيبُ إِنَّ رِعَايَتِي لَهُ هِيَ الَّتِي أَنْقَذَتْهُ مِنْ  
مَرَضِهِ ؛ فَبَعَثَ هَذَا الْكَلَامَ فِي نَفْسِي السُّرُورَ وَرَقَّتْ مَشَاعِرِي تَجَاهَ  
هَيْشَكْلِيْفِ . وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ لِي بِهِ قَبْلُ ، فَقَدْ كَانَ صَلِفًا صَعَبَ  
الْمِرَاسِ ، فَلَمْ يُظْهِرْ حَتَّى مُجَرَّدَ الْاِمْتِنَانِ لِلْسَّيِّدِ إِيرِنْشُو إِزَاءَ كُلِّ  
الْعَطْفِ الَّذِي أَحَاطَهُ بِهِ .

وَالْحَقُّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيُظْهِرَ آيَةً مَشَاعِرَ لِأَيِّ إِنْسَانٍ مَا عَدَا كَاثَرِينَ ،  
وَكَانَ يَتَحَمَّلُ مُعَامَلَةَ هَنْدَلِي الْفُظَّةَ بِاسْتِسْلَامٍ ، الْأَمْرَ الَّذِي دَعَانِي  
لَأَفْكَرَ أَنَّهُ لَا يَكُنْ آيَةً نِيَّةً لِلانْتِقَامِ ، وَلَكِنْ كُنْتُ عَلَى خَطَأٍ فِي هَذَا  
التَّفْكِيرِ كَمَا سَرَى فِيمَا بَعْدُ .



رَحَلَ هَنْدَلِي بَعِيداً عَنِ الْمَنْزِلِ ، وَكَانَتْ أَمَلٌ أَنْ نَحْظِيَ  
بِبَعْضِ الْهُدُوءِ فِي الْمَنْزِلِ . وَلَكِنَّ الْخَادِمَ الْعَجُوزَ جُوزَيْفَ كَانَ مَيَّالاً  
لَأَنْ يُشِيرَ بَعْضَ الْمَتَاعِبِ ؛ فَقَدْ كَانَ رَجُلًا عَجُوزًا سَيِّئَ الطَّبَعِ ،  
وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَرَى النَّاسَ حَوْلَهُ يَتَمَتَّعُونَ بِالْهُدُوءِ . وَلَكُونَهُ شَدِيدَ  
التَّدِينِ فَقَدْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَبْعَثُ عَلَى السُّرُورِ لَيْسَ إِلَّا  
ضَرْبًا مِنَ الْفُجُورِ ، وَلَكِنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ كَانَ يَجِدُ لَذَّةً فِي تَوْجِيهِ الْاِتِّهَامِ  
لِغَيْرِهِ مِنَ الْبَشَرِ ، فَكَانَ كَثِيرًا مَا يَشْكُو مِنْ كَثَرِينَ وَهَيْشَكْلِيْفَ ،  
وَعَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ كَثَرِينَ .

كَانَتْ أَكْثَرُ الْأَطْفَالِ الَّذِينَ رَأَيْتُهُمْ تَمِيزًا بِالسَّرَاسَةِ ، عَلَى حِينِ  
كَانَتْ تَتَدَفَّقُ دَائِمًا بِالنَّشَاطِ وَالْحَيَوِيَّةِ . وَكَانَتْ لَا تَكْفُ أَمَلًا عَنْ  
الْغِنَاءِ وَالضَّحِكِ وَالْحَدِيثِ . وَكَانَتْ تَقَعُ قَرِيسَةً لِلْمَتَاعِبِ خَمْسِينَ  
مَرَّةً كُلَّ يَوْمٍ ، وَيَبْدُو أَنَّهَا كَانَتْ تَهْوِي إِعْضَابَنَا بِتَصْرِفِهَا السَّيِّئِ .

وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تَمْتَلِكُ أَجْمَلَ عَيْنَيْنِ وَأَجْمَلَ ابْتِسَامَةٍ ، وَلَا أَعْتَقِدُ  
أَنَّهَا كَانَتْ تَقْصِدُ إِذَاءَ مَشَاعِرِنَا بِأَيِّ شَكْلِ مِنَ الْأَشْكَالِ .

كَانَتْ مُوَلَّعَةً بِهَيْشَكْلِيْفَ بِلا حُدُودٍ ، وَكَانَتْ أَشَدَّ عُقُوبَةً يُمَكِّنُ  
أَنْ تَنَالَهَا أَنْ تُبْعِدَهَا عَنْهُ . وَكَانَتْ تَهْوِي الْقِيَامَ بِلُجْبَةٍ مَعَهُ ، تَلْعَبُ  
هِيَ فِيهَا دَوْرَ السَّيِّدَةِ الْمُطَاعَةِ وَهُوَ دَوْرُ الْخَادِمِ الْمُطِيعِ ، حَيْثُ تُلْقِي

## الفصل الثاني

مَرَّ الزَّمَنُ كَعَادَتِهِ ، وَبَدَأَتْ صِحَّةُ إِيرِنْشُو تَسُوءُ ؛ فَقَدْ عَاشَ حَيَاتَهُ  
نَشِطًا صَحِيحَ الْبَدَنِ . وَلَكِنْ فَجْأَةً بَدَأَتْ حَيَوِيَّتُهُ تَذْبُلُ وَتَخُورُ ، فَلَمْ  
تَعُدْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى الْعَمَلِ فِي الْمَزْرَعَةِ ، فَكَانَ يَظُلُّ طِيلَةَ يَوْمِهِ فِي  
مَقْعَدٍ إِلَى جِوَارِ الْمِدْفَأَةِ فِي غُرْفَةِ الْمَعِيشَةِ ، وَكَانَتْ أَخْلَاقُهُ تَسُوءُ مِنْ  
وَقْتٍ لآخر ؛ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ آيَةَ كَلِمَةٍ ضِدَّ هَيْشَكْلِيْفَ ،  
الَّذِي كَانَ قَدْ نَالَ حُظُوءَةً فِي عَيْنَيْهِ . وَلَمَّا كَانَ يَسْمَعُ هَنْدَلِي  
يُحَادِثُهُ بِاخْتِقَارِ كَانَ يُمَسِّكُ بِعَصَاهُ لِيَضْرِبَ ابْنَهُ ، وَكَانَ يَنْتَفِضُ  
غَضَبًا عِنْدَمَا يَعْجُزُ عَنْ ذَلِكَ . وَهَكَذَا عَظُمَ كِبَرِيَاءُ هَيْشَكْلِيْفَ وَبَدَأَ  
طَبَعُهُ يَزْدَادُ سُوءًا .

وَحِينَ بَلَغَ هَنْدَلِي السَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنَ الْعُمُرِ ، كَانَ لَا بُدَّ مِنْ  
رَحِيلِهِ عَنِ الْقَرْيَةِ لِمُوَاصَلَةِ دِرَاسَتِهِ .



الأوامر ، وتُسِيرُ بِأَصْبَعِهَا هُنَا وَهُنَاكَ ، وَهُوَ يَجْرِي إِلَى حَيْثُ تُشِيرُ  
لِتَتَفَيْذَ أَوَامِرَهَا .

كَانَ السَّيِّدُ إِيرِنْشُو جَادًّا ، وَلَمْ يَكُنْ خَبِيرًا بِالْعَابِ الْأَطْفَالِ ،  
وَحِينَ كَانَ يَرَى كَاثْرِينَ تُلْقِي الْأَوَامِرَ لِهَيْشَكْلَيْفَ مِنْ حَوْلِنَا - كَانَ  
يَتَمَيِّزُ غَيْظًا .

وَكَانَتْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ تَأْتِي إِلَيْهِ عَصْرًا ، عَقِبَ تَصَرُّفَاتِهَا  
الْمُسَيَّئَةِ إِلَى أَقْصَى حَدٍّ طَوَالَ الْيَوْمِ فَتَلْفُ ذِرَاعَيْهَا حَوْلَ عُنُقِهِ .

وَكَانَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ يَنْهَرُهَا إِذْ ذَاكَ قَائِلًا : « لَا ، يَا كَاثِي ، لَا  
يُمْكِنُنِي أَنْ أَحْبِكَ ، وَكَمْ أَكُونُ آسِفًا حِينَ تَأْتِي ابْنَتِي بِمِثْلِ هَذِهِ  
التَّصَرُّفَاتِ ! »

كَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ الْأَمْرِ يَجْعَلُهَا تَبْكِي ، وَلَكِنْ قَسَوَتْهُ غَرَسَتْ فِيهَا  
الْقَسَوَةَ ، فَكَانَتْ تَضْحَكُ بَدَلًا أَنْ تَبْكِي .

لَقَدْ حَانَتْ السَّاعَةُ أَخِيرًا الَّتِي أَنْهَتْ مَتَاعِبَ السَّيِّدِ إِيرِنْشُو عَلَى  
ظَهْرِ الْبَسِيطَةِ ؛ حَدَثَ ذَلِكَ فِي إِحْدَى أُمُوسِيَّاتِ أُكْتُوبَرِ ، حِينَ كَانَ  
جَالِسًا فِي كُرْسِيِّهِ بِجِوَارِ الْمِدْفَأَةِ ، إِذْ هَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ حَوْلَ الْمَنْزِلِ  
فَأَثَارَتْ ضَجَّةً فِي الْمِدْخَنَةِ ، ثُمَّ سَمِعَ لَهَا أَرْيَزَ كَقَصْفِ الْعَاصِفَةِ  
رَغَمَ أَنَّ الْجَوَّ لَمْ يَكُنْ بَارِدًا .

لَمْ تَكُنْ صِحَّةٌ كَاثْرِينَ عَلَى مَا يُرَامُ ، الْأَمْرُ الَّذِي جَعَلَهَا تَظَلُّ  
سَاكِنَةً هَادئةً . وَكَانَتْ تَجْلِسُ تَحْتَ قَدَمَيْ وَالِدِهَا ، وَكَانَ  
هَيْشَكْلَيْفُ يَرْقُدُ عَلَى الْأَرْضِ وَقَدْ أَحْنَى رَأْسَهُ عَلَى رُكْبَتِهَا .

لَمَسَ السَّيِّدُ إِيرِنْشُو شَعْرَهَا الْجَمِيلَ قَائِلًا : « لِمَاذَا لَا يُمَكِّنُكَ أَنْ  
تَكُونِي فِتْنَةً طَيِّبَةً عَلَى الدَّوَامِ ، يَا كَاثِي ؟ »

أَدَارَتْ كَاثِي وَجْهَهَا نَحْوَهُ ، وَابْتَسَمَتْ وَهِيَ تُجِيبُهُ قَائِلَةً :  
« لِمَاذَا لَا يُمَكِّنُكَ أَنْ تَكُونَ ، يَا أَبِي ، رَجُلًا طَيِّبًا عَلَى الدَّوَامِ ؟ »  
وَلَكِنْ حِينَ رَأَتْ أَنَّهُ عَادَ إِلَى غَضَبِهِ مَرَّةً أُخْرَى ؛ قَبِلَتْ يَدَهُ قَائِلَةً إِنَّهَا  
سَوْفَ تُغْنِي لَهُ بَعْضَ الْأَغَانِي حَتَّى يَخْلُدَ إِلَى النَّوْمِ .

بَدَأَتْ تُغْنِي بِغُذُوبَةٍ إِلَى أَنْ سَقَطَتْ أَصَابِعُهُ مِنْ أَصَابِعِهَا وَاسْتَرَاحَ  
رَأْسُهُ عَلَى صَدْرِهِ ، حِينَئِذٍ طَلَبَتْ مِنْهَا أَنْ تَهْدَأَ حَتَّى لَا تَوْقِظَهُ ، وَهَذَا  
الْجَمْعُ تَمَامًا لِمُدَّةِ نِصْفِ السَّاعَةِ ، ثُمَّ قَالَ جُوزَيْفُ : « لَقَدْ أَزِفَ  
الْوَقْتُ ، لِنَهْمٍ بِالصَّلَاةِ وَالنَّوْمِ . »

نَادَى جُوزَيْفُ سَيِّدَ الْمَنْزِلِ إِيرِنْشُو وَلَمَسَ كَتِفَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ  
يَتَحَرَّكْ وَلَمْ يُجِبْ ، وَمِنْ ثَمَّ أَخَذَ جُوزَيْفُ شَمْعَةً مُضِيئَةً وَتَفَرَّسَ فِي  
وَجْهِهِ ، فَظَنَنْتُ أَنَّ هُنَاكَ شَيْئًا مَا سَيِّئًا حِينَ أَطْفَأَ الشَّمْعَةَ وَأَمْسَكَ  
بِالْطِّفْلَيْنِ ، كُلُّ يَأْخُذِي يَدَيْهِ ، وَهَمَسَ لَهُمَا بِأَنْ يَذْهَبَا بِنَفْسَيْهِمَا



إلى الفراش في تلك الليلة .

قالت كاترين إنها سوف تتمنى لوالدها أولاً ليلة سعيدة ، ومن ثم وضعت ذراعيها حول عنقه . وفجأة انطلقت منها صرخة مدوية :  
« آه ! لقد مات ، يا هيثكليف ! لقد مات ! »

بدأ الطفلان يبكيان بحرقة ، وبدأت أنا أبكي أيضاً ، أما جوزيف فقد طلب إلي بأن أسرع إلى القرية لإحضار الطبيب وشيخ القرية ، ولم أستطع أن أثبت جدوى استدعاء أي منهما . ولكنني ذهبت بين ريح عاصفة ومطر غزير ، فأحضرت الطبيب معي ، أما شيخ القرية فقد وعد بأن يحضر في الصباح .

تركت الطبيب وجوزيف وأسهرت إلى غرفة الطفلين ، وكان باب الغرفة مفتوحاً ، وأدركت أنهما لم يخلدا إلى فراشيهما بعد ، رغم أن الساعة قد جاوزت منتصف الليل ، ولكنهما كانا أكثر هدوءاً ولم يكونا بحاجة إلي لأبعث فيهما الدفء والحنان ، ولكنهما كانا يؤنسان مجلسهما بحديث عن السماء .

دفن السيد إيرنشو بعد مضي ثلاثة أيام ، وقد وصل هندلي إلى المنزل ليكون حاضراً دفنه ، وقد فاجأنا بإحضار زوجته معه .

كانت هذه الزوجة تبدو فتاة شابة يرتاح المرء لمرآها ، ولكنها

كانت في الوقت نفسه تبدو بلهاء إلى حد ما ، فلا استعدادات للدفن عكّر صفوها كثيراً ، فبدأت تبكي ، وسألتها عما عسى أن يكون قد بعث في نفسها الأسى .

أجابت : « لا أدري ، ولكنني أخشى الموت . »

كانت فتاة نحيلة القوام ذات عينيْن مُشرقتين ، وقد أنهك طلوعها السلم قواها ، وأخذت تسأل مرة بعد الأخرى . ولكنني لم أكن أدرك أن ذلك مؤشر لمرض خطير ، وجال بخاطري أنها مثلي ، ليست في خطر الموت .

تغير السيد هندلي كثيراً خلال ثلاث سنوات ، فقد بدأ حديثه وارتداؤه ملابسه يختلف عن ذي قبل . واعتبر نفسه من طائفة النبلاء الأصلاء . وقد غدا الآن سيد المنزل ، وبدأ يعامل هيثكليف وفق مزاجه الخاص ، فأصدر أوامره بأن يجالس هيثكليف الخدم لا أفراد العائلة ، وألغى دروسه مع شيخ القرية ، وبعث به - بدلاً من ذلك - إلى المزرعة ليعمل فيها .

لم يكثر هيثكليف أول الأمر بهذا التغيير ؛ لأن كاترين كانت تعلم ما أصابته هي من معلومات ، وكانت تعمل أو تلعب معه في الحقول . وكانا كلاهما إذ ذاك غشيماً فظاً ، ولم يعبا سيد



الْمَنْزِلِ الشَّابُّ هِنْدَلِي بِسُوءِ تَصَرُّفِهِمَا ، وَلَكِنْ حِينَ بَثَّ جُوزَيْفُ  
شَكَايَ ضِدَّهُمَا ضَجَرَ مِنْهُمَا سَيِّدُ الْمَنْزِلِ وَأَمَرَ بِمُعَاقِبَتِهِمَا .

كَانَ اللَّعِبُ فِي الْأَرْضِي الْقَفْرِ فِي الصَّبَاحِ ، وَقَضَاءُ الْيَوْمِ  
بَطُولُهُ هُنَاكَ - هُوَ مَبْعَثُ سُورِهِمَا وَتَسْلِيَتِهِمَا ؛ وَلِذَا فَإِنَّ الْعُقُوبَةَ  
الَّتِي تُصَيَّبُهُمَا بَعْدَ ذَلِكَ كَانَتْ مَصْدَرُ ضَحِكٍ وَسُخْرِيَةٍ لَهُمَا .  
وَهَكَذَا فَمِنْهُمَا حَدَثَ لَهُمَا مِنْ عُقُوبَاتٍ كَانَا يَنْسِيَانِهَا حَالَمَا  
يَجْتَمِعَانِ مَعًا فِيمَا بَعْدُ .

### الفصل الثالث

فِي أَحَدِ أَيَّامِ الْأَحَادِ الْمُمَطَّرَةِ صَدَرَ الْأَمْرُ لِكَاتِرِينَ وَهَيْشَكْلِيْفَ بِأَنْ  
يُغَادِرَا عُرْفَةَ الْجُلُوسِ ، وَيَذْهَبَا إِلَى الْمَطْبَخِ ، عِقَابًا لَهُمَا عَلَى مَا  
أَحْدَثَاهُ مِنْ جَلَبَةٍ . وَلَمَّا ذَهَبَتْ لَادَعُوهُمَا إِلَى الْعِشَاءِ وَنَادَيْتُهُمَا  
بِصَوْتٍ عَالٍ لَمْ أَسْمَعْ رَدًّا لِنِدَائِي ، فَبَحْثْنَا عَنْهُمَا - دُونَ جَدُّوِي -  
فِي الْمَنْزِلِ وَخَارِجَ الْمَنْزِلِ وَالْمَزْرَعَةِ . وَأَخِيرًا اسْتَوَلَتْ عَلَى هِنْدَلِي مَوْجَةٌ  
مِنَ الْغَضَبِ ، بَلَغَتْ حَدًّا جَعَلَهُ يَأْمُرُنَا بِأَنْ نُغْلِقَ جَمِيعَ الْأَبْوَابِ  
لِمَنْعِهِمَا مِنَ الدُّخُولِ .

ذَهَبَ الْجَمِيعُ إِلَى الْفِرَاشِ إِلَّا أَنَا ، فَقَدْ بَرَزْتُ بِرَأْسِي خَارِجَ  
النَّافِذَةِ رَغْمَ أَنَّ الْجَوَّ كَانَ مُمَطَّرًا ؛ لِأَرْهِفَ السَّمْعَ لِأَيِّ صَوْتٍ  
يَطَّرُقُ أذْنِي . وَبَعْدَ قَلِيلٍ سَمِعْتُ وَقَعَ خُطْيٍ فَأَسْرَعْتُ لِأَمْنَعَ الْأَطْفَالَ  
مِنْ إِيْقَاضِ هِنْدَلِي إِذَا مَا طَرَقُوا الْبَابَ . وَكَانَتْ خُطْيُ هَيْشَكْلِيْفَ



وَحَدَّه ، فَسَأَلَتْهُ صَائِحَةٌ : « أَيْنَ الْآنَسَةُ كَاثَرِينَ ؟ »

أَجَابَ : « إِنَّهَا فِي ثَرْشُكُروسِ غِرَانْجِ . اسْمَحِي لِي أَنْ أَخْلَعُ  
مَلَابِسِي ، وَسَأُحْكِي لَكَ كُلَّ مَا حَدَثَ . »

ذَهَبْنَا إِلَى دَاخِلِ الْمَنْزِلِ وَبَدَأَ قِصَّتَهُ :

« هَرَبْتُ كَاثَرِينَ مَعِي مِنَ الْمَطْبَخِ ، وَكَانَ الْجَوُّ مُمَطَّرًا ، وَلَكِنَّا  
أَخَذْنَا نَعْدُو إِلَى الْأَرْضِ الْقَفْرِ ، وَلَمَحْنَا أَنْوَارَ ثَرْشُكُروسِ غِرَانْجِ وَقَرَّرْنَا  
أَنْ نَعْرِفَ كَيْفَ تَقْضِي عَائِلَتُهُ لِنَتَوَّنَ أُمُوسِيَّاتِ أَيَّامِ الْآحَادِ . هَلْ  
تَظُنِّينَ أَنَّهُمْ خَلِقُوا لِيَقِفُوا فِي الْأَمَاكِنِ الْبَارِدَةِ ، عَلَى حِينِ يَأْكُلُ  
آبَاؤُهُمْ وَيَشْرَبُونَ بِجِوَارِ الْمِدْفَأَةِ ؟ وَهَلْ خَلِقُوا لِيَحْفَظُوا صَفَحَاتِ مِنَ  
الْكِتَابِ الْمُقَدَّسَةِ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ ؟ »

أَجَبْتُ : « أَغْلَبُ الظَّنُّ .. لَا ؛ فَهُمْ أَطْفَالٌ طَيِّبُونَ بِلَا شَكٍّ ، وَلَا  
يَسْتَحِقُّونَ مِثْلَ هَذِهِ الْمَعَامَلَةِ الَّتِي تُعَامَلُ أَنْتَ بِهَا لِسُوءِ تَصَرُّفَاتِكَ . »

« وَنَحْنُ لَا نَسْتَحِقُّهَا ! وَأَنْتِ تَعْلَمِينَ ذَلِكَ تَمَامًا ، يَا إِيلِينَ . لَقَدْ  
أَخَذْنَا نَعْدُو مِنْ مُرْتَفَعَاتٍ وَذَرَعْنَا إِلَى الْمُتَنَزَّةِ دُونَ تَوَقُّفٍ ، وَفِي هَذَا  
السَّبَاقِ هُزِمْتَ كَاثَرِينَ تَمَامًا ؛ لِأَنَّهَا فَقَدَتِ حِذَاءَهَا فِي الْأَرْضِ  
الْقَفْرِ . وَتَسَلَّقْنَا الْجِدَارَ إِلَى الْمُتَنَزَّةِ ، وَأَتَّخَذْنَا الطَّرِيقَ إِلَى الْمَنْزِلِ ،  
وَوَقَفْنَا تَحْتَ نَافِذَةِ غُرْفَةِ الْجُلُوسِ ، وَكَانَ الضَّوُّ يَأْتِي إِلَيْنَا مِنْ هَذِهِ

الْغُرْفَةِ ، وَكَانَتْ السَّيَائِرُ شَبَهَ مُسْدَلَةٍ ، وَمَدَدْنَا رَأْسِنَا إِلَى أَعْلَى لِنَرَى  
مَا بِالدَّخِلِ ، وَكَانَ شَيْئًا جَمِيلًا ! غُرْفَةٌ فَاحِرَةٌ بِسَجَادَةِ حَمْرَاءَ  
كَثِيفَةٍ ، وَبِهَا مَقَاعِدُ وَمَنَاضِدُ بِأَعْطِيَةِ حَمْرَاءَ سَمِيكَةٍ ، وَلِهَا سَقْفٌ  
أَبْيَضٌ نَاصِعُ الْبَيَاضِ ، حَافَاتُهُ مُوشَاةٌ بِالذَّهَبِ ، وَقَدْ تَدَلَّتْ ثَرِيًّا ذَاتُ  
ضَوْءٍ بَاهِرٍ مِنْ وَسَطِ السَّقْفِ ، بِسَلْسِلِ فِضِيَّةٍ مُزِينَةٍ بِقِطْعِ زُجَاجِيَّةٍ  
وَبَعْضِ الشُّمُوعِ الصَّغِيرَةِ ذَاتِ الضَّوْرِ الْهَادِي .

« لَمْ يَكُنِ السَّيِّدُ لِنَتَوَّنَ وَلَا زَوْجَتُهُ مُوجُودَيْنِ هُنَاكَ ، وَكَانَ إِدْغَارُ  
وَأَخْتُهُ يَجْلِسَانِ وَحِيدَيْنِ فِي الْغُرْفَةِ الْكُبْرَى ، أَلَا تَرَى أَنَّهُمَا يَجِبُ  
أَنْ يَكُونَا سَعِيدَيْنِ ؟ وَلَكِنْ مَاذَا تَعْتَقِدِينَ كَانَا يَفْعَلَانِ ؟ إِيْزَابِيلَا  
كَانَتْ تَفْتَرِشُ أَرْضِيَّةَ الْغُرْفَةِ وَهِيَ تَصْرُخُ عَالِيًا ، وَهِيَ تَبْلُغُ مِنَ الْعُمُرِ  
أَحَدَ عَشَرَ عَامًا ؛ فَهِيَ أَصْغَرُ مِنْ كَاثَرِينَ بِعَامٍ وَاحِدٍ . وَكَانَ إِدْغَارُ  
يَقِفُ إِلَى جِوَارِ الْمِدْفَأَةِ وَهُوَ يَبْكِي فِي صَمْتٍ ، وَكَانَ ثُمَّ كَلْبٌ  
صَغِيرٌ يَجْلِسُ وَسَطَ الْمِنْضِدَةِ ، رَافِعًا قَدَمَهُ فِي أَلَمٍ . لَقَدْ كَانَا فِي  
صِرَاعٍ : أَيُّهُمَا لَهُ الْحَقُّ فِي أَنْ يُمَسِكَ الْكَلْبَ ؟ فَقَهَقْنَاهُ عَالِيًا  
عَلَى مِثْلِ هَذِهِ التَّفَاهَاتِ . يَجِبُ أَلَا نُضَيِّعَ وَقْتَنَا فِي الصَّبَاحِ  
وَالْعِرَاكِ . وَلَكِنْ أَتَشَبَّثُ بِمَا تُرِيدُهُ كَاثَرِينَ ، وَلَكِنْ أَتَبَادَلُ الْمَوَاقِفَ مَعَ  
لِنَتَوَّنَ لِقَاءَ أَيِّ تَمَنٍّ - وَلَا حَتَّى مِنْ أَجْلِ إِعْطَائِي الْحَقَّ فِي دِهَانِ  
وَاجِهَةِ الْمَنْزِلِ بِدِمَاءِ هِنْدَلِي ! »



قُلْتُ لَهُ : « يَجِبُ أَلَا تَتَفَوَّهَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمُنْغَصَاتِ . إِنَّكَ لَمْ تُخَبِّرْنِي إِلَى الْآنَ لِمَاذَا تَخَلَّفْتَ كَاثِرِينَ عَنْكَ ؟ »

أَجَابَ : « لَقَدْ أَخْبَرْتَنِي أَنَّنَا كُنَّا نَضْحَكَ فَسَمِعْتَ عَائِلَةً لَتَتَوَضَّحَنَا ، وَانْدَفَعَ بَعْضُ أَطْفَالِهَا إِلَى الْبَابِ وَهُمْ يَصِيحُونَ : « أُمَاهُ أُمَاهُ ، تَعَالِي إِلَى هُنَا ! أَدْرِكُنَا يَا أَبِي ! » لَقَدْ أَحَدَثْنَا ضَجِيجًا مُثِيرًا لِتُرُوبِهِمْ أَكْثَرَ فَاكْثَرَ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَطْلَقْنَا سَيْقَانَنَا لِلرَّيْحِ .

« انْفَتَحَ الْبَابُ الْأَمَامِيٌّ وَسَمِعْنَا نُبَاحَ كَلْبٍ غَاضِبٍ ، فَتَهَاوَتْ كَاثِرِينَ عَلَى الْأَرْضِ وَهَمَسَتْ : « الْفِرَارُ ، يَا هَيْثُ كَلِيفُ ، الْفِرَارُ ! لَقَدْ لَحِقَنِي الْكَلْبُ ! » وَقَبَضَ الْكَلْبُ الْمُتَوَحِّشُ عَلَى قَدَمِهَا بِأَسْنَانِهِ ، وَكَانَتْ هِيَ أَشْجَعُ مِنْ أَنْ تَصْرُخَ ، وَلَكِنِّي أَنَا صَرَخْتُ وَزَجَرْتُهُ وَالْقَمْتَهُ حَجْرًا فِي فَمِهِ .

« جَاءَ خَادِمٌ يَهْرُؤُلُ مُمَسِّكًا بِمِصْبَاحٍ ، وَنَادَى الْكَلْبَ وَحَمَلَ كَاثِرِينَ - وَكَانَتْ مِنْ فَرْطِ الْأَلَمِ قَدْ أَغْمِيَ عَلَيْهَا - إِلَى دَاخِلِ الْمَنْزِلِ ، وَتَبِعَتْهُمَا وَأَنَا أَتَوَعَّدُ وَالْعَنُ .

« كَانَ السَّيِّدُ لَتَتَوَضَّحُ فِي الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الْبَابِ ، فَقَالَ لَهُ الْخَادِمُ : « لَقَدْ أَمْسَكَ الْكَلْبُ ، يَا سَيِّدِي ، بِطِفْلَةٍ ، وَهَا هُوَ ذَا صَبِيٍّ فَظٍّ . إِنَّنِي مُوقِنٌ مِنْ أَنَّهُمَا لِيَصَانِ . »





« لَقَدْ جَذَبُونِي حَيْثُ وَضَعُونِي تَحْتَ الضُّوءِ لِيَحْدَقُوا إِلَيَّ  
سَحْنَتِي ، فَقَالَ السَّيِّدُ لِنَتُون : « لَكُمْ يَبْدُو دَاكِئًا وَشَرِيرًا ! » وَفِي تِلْكَ  
اللَّحْظَةِ فَتَحَتْ كَاثَرِينَ عَيْنَيْهَا ، وَبَدَأَ إِدْغَارُ يَحْدَقُ إِلَيْهَا ، وَهَمَسَ  
قَائِلًا : « هَذِهِ الْفَتَاةُ ، يَا أُمِّي ، هِيَ بِنْتُ إِيرِنْشُو . أَنْظُرِي ، لَقَدْ  
عَقَرَهَا الْكَلْبُ . »

« صَاغَتْ أُمُّهُ : « أ هَذِهِ ابْنَةُ إِيرِنْشُو ، تَسْكُنُ هُنَا وَهُنَاكَ ، بِدُونِ  
حِذَاءٍ ؟ هَذَا مُحَالٌ ! وَرَغْمَ ذَلِكَ فَإِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّهَا هِيَ ! »

« صَاغَ السَّيِّدُ لِنَتُون : « كَيْفَ يَسْمَحُ أَخُوها بِأَمْرِ كَهَذَا ؟ وَمَنْ  
هَذَا الصَّبِيُّ الْفَطْطُ ؟ لَا يَدَّ أَنَّهُ ذَلِكَ الطِّفْلُ الصَّغِيرُ الَّذِي أَتَى بِهِ  
الْأَبُ إِيرِنْشُو مِنْ لِيْقْرِبول . »

« قَالَتْ زَوْجَةُ لِنَتُون : « إِنَّهُ قَطْعًا لَصَبِيٌّ شَقِيٌّ . هَلْ سَمِعْتَ  
لِهَجَّتِهِ الْفَطْطَةَ الْفَطِيعَةَ ؟ إِنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُقِيمَ فِي مَنْزِلِ  
مُحْتَرَمٍ ! »

« رُحْتُ أَسْبُ مَرَّةً أُخْرَى ، فَصَدَّرَ الْأَمْرَ لِلْخَادِمِ بِأَنْ يُقْصِيَنِي  
بَعِيدًا ، فَرَفَضْتُ أَنْ أَتَحَرَّكَ بِدُونِ كَاثَرِينَ ، وَلَكِنَّهُ دَفَعَنِي خَارِجَ الْمَنْزِلِ  
وَأَعْلَقَ الْبَابَ . وَكَانَتْ السَّائِرُ فِي نَافِذَةِ عُرْفَةِ الْجُلُوسِ لَا تَرَالُ  
مَرْفُوعَةً ، فَذَهَبْتُ لِأَلْقِي نَظْرَةً مَرَّةً أُخْرَى ؛ كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ مَاذَا

كَانُوا يَصْنَعُونَ بِكَاثَرِينَ !

« كَانَتْ كَاثَرِينَ جَالِسَةً عَلَى السَّجَّادَةِ فِي هُدُوءٍ ، عَلَى حِينِ  
كَانَتْ زَوْجَةُ لِنَتُون تَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا وَهِيَ تَهْزُ رَأْسَهَا ، ثُمَّ أَحْضَرَ الْخَادِمُ  
وِعَاءً بِهِ مَاءٌ دَافِئٌ وَغَسَلَ قَدَمَيْهَا ، وَأَعْطَاهَا السَّيِّدُ لِنَتُون شَيْئًا  
لِتَشْرِبَهُ ، وَأَحْضَرَتْ إِيْزَابِيلَا طَبَقًا مِنَ الْكَعْكَ بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَكَانَ  
إِدْغَارُ يَحْمِلُ إِلَيْهَا . ثُمَّ جَفَقُوا شَعْرَهَا الْجَمِيلَ وَمَشَطُوهُ ، وَقَدْ  
لَمَسَتْ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَهَا ، فَهِيَ تَفْضُلُهُمْ جَمِيعًا بِآلَافِ الْمَرَّاتِ ، بَلْ  
تَفْضُلُ كُلَّ مَنْ يَعِيشُ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ . أَلَيْسَ كَذَلِكَ ، يَا  
إِلَيْن ؟ »

قُلْتُ : « إِنَّ ذَلِكَ لَمَصْدَرٌ مَا يَسْتَجِدُّ مِنْ مَتَاعِبٍ . »

وَكُنْتُ عَلَى حَقٍّ فِيمَا أَقُولُ ؛ فَقَدْ نَارَ هِنْدَلِي غَاضِبًا .

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي زَارَنَا السَّيِّدُ لِنَتُون نَفْسَهُ ، وَقَالَ إِنَّهُ يَعْتَبُّ عَلَى  
سَيِّدِ الْبَيْتِ الْأَصْغَرَ عُمَرًا عَلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي يَرْعَى بِهَا الْعَائِلَةُ .  
وَنَتِيجَةً لِذَلِكَ فَقَدْ أَخْبَرَ هِنْدَلِي هَيْشْكَلِيفَ بِأَنْ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّعِدَ تَمَامًا  
عَنْ كَاثَرِينَ حِينَ تَعُودُ إِلَى الْمَنْزِلِ .



وَالآنَ وَبَعْدَ أَنْ رَأَى هَذِهِ الْفَتَاةَ الْجَمِيلَةَ الْمَشْرِقَةَ ، خَجَلَ أَنْ يُظْهَرَ  
نَفْسَهُ أَمَامَهَا .

سَأَلَتْ كَاثَرِينَ عَمَّا إِذَا كَانَ هَيْشَكَلِيفُ مَوْجُودًا ، فَنَادَى هِنْدَلِي  
هَيْشَكَلِيفُ لِيُبْرِزَ نَفْسَهُ ، قَائِلًا لَهُ : « أَجْدُرُ بِكَ أَنْ تُحْيِيَ كَاثَرِينَ  
كَسَائِرِ الْخَدَمِ . »

وَلَمَحَتْهُ كَاثَرِينَ فِي رُكْنِهِ الْمُعْتَمِ فَاسْرَعَتْ إِلَيْهِ ، وَطَوَّقَتْهُ بِذِرَاعَيْهَا ،  
وَأَمْطَرَتْهُ بِسَبْعِ أَوْ ثَمَانِي قُبْلَاتٍ سَرِيعَةٍ ، ثُمَّ اعْتَدَلَتْ وَاقِفَةً ، وَبَدَأَتْ  
تَضْحَكُ قَائِلَةً : « مَا هَذَا ؟ كَمْ تَبْدُو مُتَجَهِّمًا عَابِسًا ! وَكَمْ أَنْتَ  
مُضْحِكٌ ! وَلَكِنَّ هَذَا شُعُورِي لِأَنِّي تَعَوَّدْتُ عَادَاتِ إِدْغَارِ وَإِزَابِيلَا  
لِنَتُونِ . وَالآنَ ، يَا هَيْشَكَلِيفُ ، هَلْ نَسِيتَنِي ؟ »

أَشَاحَ عَنْهَا بِوَجْهِهِ ؛ فَالْخَجَلُ وَالْكِبْرِيَاءُ جَعَلَاهُ يَظَلُّ صَامِتًا .

قَالَ هِنْدَلِي وَقَدْ سُرَّ لِحَجَلِهِ : « صَافِحُهَا ، يَا هَيْشَكَلِيفُ . »

قَالَ الْوَلَدُ : « لَا ؛ لَنْ أَقِفَ هُنَا لِأَكُونَ مِثَارَ ضَحِكِ وَسُخْرِيَةِ ! أَنَا  
لَا أَحْتَمِلُ هَذَا ! »

وَهُمْ بِالْأَنْصِرَافِ ، وَلَكِنَّ كَاثَرِينَ أَمْسَكَتْ بِهِ مَرَّةً أُخْرَى ، قَائِلَةً :  
« مَا كَانَ قَصْدِي أَنْ أَضْحَكَ مِنْكَ ، وَالْأَمْرُ فَوْقَ طَاقَتِي وَاحْتِمَالِي

## الفصل الرابع

بَقِيَتْ كَاثَرِينَ فِي ثَرْشَكْرُوسِ غِرَانْجٍ لِمُدَّةِ خَمْسَةِ أَسَابِيْعَ ، شَفِيَتْ  
خِلَالَهَا قَدَمُهَا مِمَّا أَصَابَهَا ، وَتَحَسَّنَتْ حَالُهَا الْعَامَّةُ . وَكَانَتْ  
السَّيِّدَةُ إِيرِنْشُو تَزُورُهَا مِنْ وَقْتٍ لآخر ، وَتُمَدِّدُهَا بِبَعْضِ الْمَلَابِيسِ  
الْأَنْيَقَةِ الْجَدِيدَةِ . وَحِينَ عَادَتْ إِلَى الْمَنْزِلِ أَصْبَحَتْ شَيْئًا آخَرَ  
مُخْتَلِفًا ، لَا تَمُتُ بِصِلَةٍ لِلْفَتَاةِ الصَّغِيرَةِ شَدِيدَةِ الضَّرَاوَةِ ، وَلَكِنَّهَا  
أَصْبَحَتْ شَابَّةً . وَقَدْ صَاحَ هِنْدَلِي وَالْحَبُورُ مِلْءَ وَجْهِهِ وَهُوَ يَضَعُهَا  
مِنْ فَوْقِ حِصَانِهَا : « كَمْ أَنْتِ جَمِيلَةٌ ، يَا كَاثِي ! »

وَبَحَّتِ الْكِلَابُ لِتَحِيَّتِهَا ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تَخْشَى أَنْ تَقْتَرِبَ مِنْهَا  
خَشْيَةً أَنْ تُتْلَفَ رِءَاءُهَا الْأَنِيْقَ الْحَرِيرِيَّ . وَقَدْ قَبَّلَتْني بِرِقَّةٍ ، وَحِينَئِذٍ  
بَدَأَتْ تَتَطَلَّعُ مِنْ حَوْلِنَا إِلَى هَيْشَكَلِيفَ وَلَمْ يَكُنْ يَرَى لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ ؛  
فَقَدْ أَصْبَحَ فِي غِيَابِ كَاثَرِينَ أَكْثَرُ قَدَارَةً وَفَوْضَى عَنْ ذِي قَبْلٍ ،



حَيْثُ تَبْدُو غَرِيبًا ، وَلَكِنْ إِذَا عَسَلْتَ وَجْهَكَ وَنَسَقْتَ شَعْرَكَ وَمَشِطْتَهُ  
فَإِنَّ سَحْتِكَ سَتَصْلَحُ تَمَامًا ، فَالْقَدَارَةُ بَادِيَةٌ عَلَيْكَ .

وَنَظَرْتُ مَتَضَجِّرَةً إِلَى أَصَابِعِهِ السَّوْدَاءِ ، وَإِلَى آثَارِ الْقَدَارَةِ عَلَى  
ثَوْبِهَا ، فَقَالَ : « لَمْ يَكُنْ ثُمَّ دَاعٍ لِأَنْ تَلْمِسَنِي . »

وَسَحَبَ يَدَهُ بَعِيدًا عَنْهَا قَائِلًا : « سَوْفَ أَكُونُ قَدِيرًا كَمَا أُرِيدُ ؛  
إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَكُونُ قَدِيرًا وَسَوْفَ أَكُونُ هَكَذَا ! »

وَإِنْدَفَعَ خَارِجًا مِنَ الْغُرْفَةِ ، فَضَحِكَ هِنْدَلِي وَزَوْجَتُهُ ، وَلَكِنْ  
كَاثَرِينَ كَانَتْ تَبْدُو حَزِينَةً .

وَعَاوَنْتُ كَاثَرِينَ فِي إِخْرَاجِ أَمْتِعَتِهَا مِنَ الْحَقَائِبِ ، ثُمَّ أَرَاهَا  
السَّيِّدَ إِيرِنَشُو وَزَوْجَتَهُ الْهَدَايَا الَّتِي اشْتَرَاهَا لَهَا لِكَيْ تَقْدِمَهَا إِلَى  
أَبْنَاءِ عَائِلَتِهِ لِنَتُون . وَكَانَ إِدْغَارُ وَإِيرَابِيلَا قَدْ تَلَقَّيَا دَعْوَةَ لِقْضَاءِ يَوْمٍ  
فِي مُرْتَفَعَاتٍ وَدُرْنَعٍ ، وَلَكِنْ أَمَّهُمَا طَالِبَتُهُمَا بِأَنْ يَتَّعِدَا عَنْ ذَلِكَ  
الْوَلَدِ الْقَدِيرِ الْكَثِيرِ السَّبَابِ .

كُنْتُ وَحْدِي فِي الْمَطْبَخِ أَصْنَعُ كَعُكًا ، وَتَأَمَّلْتُ الْغُرْفَةَ الْمَشْرِقَةَ  
وَالْأَوَانِي اللَّامِعَةَ ، ثُمَّ بَدَأْتُ أَفَكِّرُ فِي الْأَبِ الْعَجُوزِ السَّيِّدِ إِيرِنَشُو  
الَّذِي كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى هَذِهِ الْغُرْفَةَ فِي مِثْلِ هَذَا الرُّوْنُقِ ، مِمَّا  
أَدَّى بِي إِلَى أَفْكَارِ سَوْدَاءِ تَرْتِيطٍ بِهِيْشْكَلِيفِ الَّذِي كَانَ يَجِدُ حُظُوَّةَ

فِي عَيْنَيْهِ ، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ مَضَيْتُ لِأُبْحَثَ عَنْهُ .

وَجَدْتُهُ يُطْعِمُ الْخَيْلَ ، وَكَانَ يَرِيْتُ عَلَى ظَهْرِ حِصَانٍ كَاثَرِينَ  
الَّلَامِعِ الْجَدِيدِ .

قُلْتُ : « تَعَالَ ، يَا هَيْشْكَلِيفَ ، سَوْفَ أَلْبِسُكَ ثِيَابًا أَتِيقَةً ،  
وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَأْتِيَ إِلَى الْمَطْبَخِ لِتَتَحَدَّثَ إِلَيَّ كَاثَرِينَ . ثَمَّةَ كَعُكَةٍ  
لِكُلِّ مِنْكُمَا . »

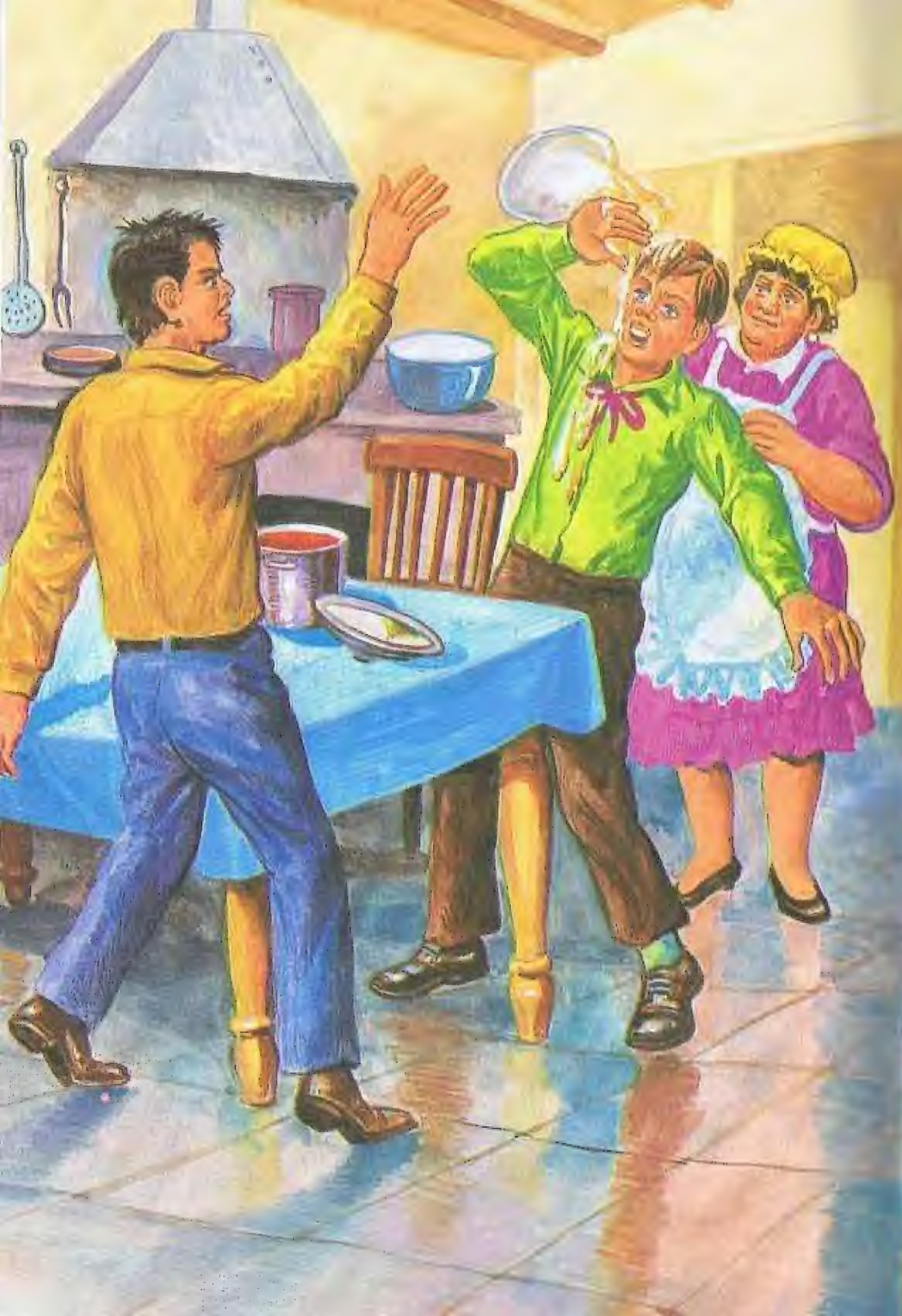
لَمْ يُجِبْنِي ، وَلَكِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى عُرْفَتِهِ . وَاسْتَيْقَظَ فِي الصَّبَاحِ  
مُبَكَّرًا ، وَذَهَبَ إِلَى الْأَرْضِ الْقَفْرِ ، وَبَعْدَ عَوْدَتِهِ ذَهَبَ إِلَى الْمَطْبَخِ  
وَقَالَ : « أَرْجُو ، يَا إِلَيْنَ ، أَنْ تُعَامِلَنِي كَشَخْصٍ مُحْتَرَمٍ ، وَلَسَوْفَ  
أَكُونُ حَسَنَ السُّلُوكِ . »

عَاوَنْتُهُ فِي تَنْظِيفِ نَفْسِهِ ، ثُمَّ نَسَقْتُ شَعْرَهُ الْأَسْوَدَ الطَّوِيلَ  
الْكَثِيفَ ، فَقَالَ : « كُنْتُ أَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ شَعْرِي أَشَقَرَ ، وَعَيْنَايَ  
زَرْقَاوَيْنِ مِثْلَ إِدْغَارِ لِنَتُون . »

قُلْتُ لَهُ : « إِنَّ إِدْغَارَ لِنَتُونِ سَيَبْدُو كَالْفَتَاةِ إِلَى جِوَارِكَ ، أَنْتَ  
أَصْغَرُ مِنْهُ ، وَلَكِنَّكَ أَطْوَلُ قَامَةً وَأَعْرَضُ مِنْكِيًا . »

سَمِعْنَا صَوْتَ عَرَبَةٍ الْعَائِلَةِ فِي الْخَارِجِ ؛ فَاسْرَعْتُ إِلَى الْبَابِ ،





كَانَتْ كَاتِرِينَ تَصْطَحِبُ وَلَدَيَّ لَتُونَ إِلَى الدَّخْلِ مُمْسِكَةً كُلًّا مِنْهُمَا بِيَدٍ .

طَلَبْتُ إِلَى هَيْشَكَلِيفَ أَنْ يَذْهَبَ لِمُصَافَحَتِهِمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، وَلَكِنْ مَا إِنَّ دَخَلَ إِلَى غُرْفَةِ الْجُلُوسِ مِنَ الْمَطْبَخِ حَتَّى كَانَ هِنْدَلِي قَدْ دَخَلَ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ .

وَصَاحَ هِنْدَلِي بِهَيْشَكَلِيفَ : « أَخْرِجْ مِنْ هُنَا أَيُّهَا الشَّيْطَانُ ، وَلَا تَسْرِقِ الطَّعَامَ ! عَجَبًا ! إِنَّكَ تُحَاوِلُ أَنْ تَبْدُو كَأَحَدِ النَّبَلَاءِ الْآنَ ؛ أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ وَلَقَدْ نَسَقْتَ شَعْرَكَ الْجَمِيلَ ! فَلَتَبَقَ مَكَانَكَ إِلَى أَنْ أُمْسِكَ بِهِ - سَوْفَ أَجْذِبُهُ لِأُطِيلَهُ شَيْئًا مَا ! »

قَالَ إِدْغَارُ لَتُونَ وَهُوَ يَظْهَرُ مِنَ الْبَابِ : « إِنَّهُ طَوِيلٌ بِمَا فِيهِ الْكَفَايَةُ ، مِمَّا يَجْعَلُهُ يَبْدُو كَشَعْرِ الْحِصَانِ وَقَدْ تَدَلَّى عَلَى عَيْنَيْهِ ! »

كَانَ هَيْشَكَلِيفَ يَضْمُرُ فِي نَفْسِهِ كَرَاهِيَةً لِإِدْغَارَ ، وَيَعْتَبِرُهُ عَدُوًّا لَهُ ، وَلَمْ يَطِقْ تَعْلِيْقُهُ عَلَى شَعْرِهِ ؛ فَأُمْسَكَ بِإِنَاءٍ مِنَ الْقَشْدَةِ كَانَ عَلَى الْمُنْضَدَةِ وَقَدَفَ بِهِ إِدْغَارَ فَأَصَابَ وَجْهَهُ وَعَنْقَهُ .

صَرَخَ إِدْغَارُ صَرْخَةً مُدَوِيَّةً ، فَأَنْقَضَ هِنْدَلِي عَلَى هَيْشَكَلِيفَ وَجَرَّهُ إِلَى الْخَارِجِ لِإِعَاقِهِ عِقَابًا صَارِمًا . وَأُمْسَكَتُ أَنَا بِقِطْعَةِ قُمَاشٍ وَبَدَأْتُ أَرْبِلُ الْقَشْدَةَ مِنْ فَوْقِ أَنْفِ إِدْغَارَ وَشَفْتَيْهِ بِطَرِيقَةٍ تَحْلُو



مِنَ الرِّقَّةِ. وَثَارَ الْمَوْقِفُ إِيزَابِيلَا فَانْخَرَطَتْ فِي الْبُكَاءِ ، وَأَعْلَنْتْ أَنَّهَا تُرِيدُ أَنْ تَعُودَ إِلَى بَيْتِهَا ، عَلَى حِينٍ وَقَفَتْ كَاثَرِينُ تَشْعُرُ بِالْخَجَلِ أَمَامَ الْجَمِيعِ .

قَالَتْ لِإِدْغَارَ : « مَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تُثِيرَهُ بِكَلَامِكَ . إِنِّي أَعْرِفُ أَنَّهُ سَوْفَ يُعَاقَبُ بِالضَّرْبِ ، وَأَنَا لَا أَحِبُّ أَنْ يُضْرَبَ ، فَلِمَاذَا أُرْثَرُهُ بِكَلَامِكَ هَذَا ؟ »

أَجَابَ إِدْغَارَ بِأَكْبَارٍ : « لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ ، فَقَدْ تَعَهَّدْتُ لَأُمِّي أَلَّا أَسِيءَ إِلَيْهِ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَأَنَا لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ إِلَى الْآنَ . »

قَالَتْ كَاثَرِينُ وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ بِاحْتِقَارٍ : « كَفْ عَنْ الْبُكَاءِ إِذَا ، وَلْتَهْدِئِي يَا إِيزَابِيلَا فَلَمْ يُسَيِّ أَحَدٌ إِلَيْكَ . »

صَاحَ هِنْدَلِي بِإِنْشِرَاحٍ وَهُوَ يَدْخُلُ لَاهِثًا وَقَدْ احْمَرَّتْ وَجْهُهُ : « إِلَى مَقَاعِدِكُمْ أَيُّهَا الصُّغَارُ . »

بَدَتْ زُمَرَةُ الصُّغَارِ سَعْدَاءَ ، فَجَلَسُوا ، وَبَدَأَ هِنْدَلِي يَضَعُ الطَّعَامَ فِي أَطْبَاقِهِمْ حَتَّى مَلَأَ جَمِيعَ الْأَطْبَاقِ . وَأَحْسَسَتْ بِأَلَمٍ حِينَ رَأَتْ كَاثَرِينُ بَعَيْنَيْنِ جَامِدَتَيْنِ ، تَقْطَعُ جَنَاحَ إِرْزَةِ عَلَى طَبَقِهَا ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : « يَا لَهَا مِنْ صَبِيَّةٍ جَامِدَةٍ الشُّعُورِ ؛ فَهِيَ لَا تَعْبَأُ بِمَتَاعِ صَدِيقِهَا الْقَدِيمِ ! »

وَرَفَعَتْ إِلَى شَفَتَيْهَا لُقْمَةً بِحَجْمِ الْقَمَرِ ، ثُمَّ أَعَادَتْهَا إِلَى مَكَانِهَا ، وَانْهَمَرَتْ الدَّمُوعُ عَلَى وَجْهِهَا وَمَنَعَتْهَا مِنَ الْاسْتِمْرَارِ فِي تَنَاوُلِ الطَّعَامِ ، فَرَمَتْ بِالشُّوْكَةِ عَلَى الْأَرْضِ ، وَأَلْقَتْ بِنَفْسِهَا بِسُرْعَةٍ تَحْتَ الْمِنْضَدَةِ لِتُخْبِي وَجْهَهَا .

وَلَا حَظَّ أَنَّهَا قَضَتْ بَقِيَّةَ الْيَوْمِ غَيْرَ سَعِيدَةٍ . أَمَّا هِيثْكَلِيفُ فَقَدْ حُسِرَ فِي عُرْفَتِهِ ، وَلَمْ تَجِدْ كَاثَرِينُ سَبِيلًا لِلْوُصُولِ إِلَيْهِ .

وَفِي الْمَسَاءِ أَقَمْنَا حَفْلَةً رَقْصٍ ، فَطَلَبْتُ كَاثَرِينُ مِنْ أَخِيهَا أَنْ يُطْلِقَ سَرَاحَ هِيثْكَلِيفَ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ ثُمَّ مِنْ يُرَاقِصُ إِيزَابِيلَا ، وَلَكِنْ هِنْدَلِي رَفَضَ وَقَالَ إِنَّهُ سَيُرَاقِصُهَا . وَفِيمَا بَعْدُ وَصَلَتْ جَوْقَةُ مُوسِيقِيَّةِ سَعِدْنَا بِعَزْفِهَا وَغَنَائِهَا .

قَالَتْ كَاثَرِينُ وَهِيَ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِ السُّلَمِ : « لَقَدْ كَانَتْ مُوسِيقَى هَذِهِ الْجَوْقَةِ عَذِيبَةً . » وَأَخَذَتْ تَتَحَرَّكُ فِي الظُّلَامِ ، فَتَتَبَعْتُهَا حَيْثُمَا ذَهَبَتْ . وَكَانَتْ الْغُرْفَةُ السُّفْلَى تَغْصُ بِالنَّاسِ لِدَرَجَةِ أَنَّهُمْ لَمْ يَلْحَظُوا اخْتِفَاءَنَا .

وَذَهَبَتْ كَاثَرِينُ إِلَى عُرْفَةِ هِيثْكَلِيفِ الصَّغِيرَةِ ، وَنَادَتْهُ مِنْ خِلَالِ شَقِّ فِي الْبَابِ ، أَمَّا أَنَا فَقَدْ تَرَكْتُهَا هُنَاكَ . وَحِينَ أَوْشَكَ الْغِنَاءُ أَنْ يَنْتَهِيَ عُدْتُ إِلَيْهَا لِأُنَبِّهَهَا ، فَقَدْ كَانَتْ الشَّيْطَانَةُ الصَّغِيرَةُ هُنَاكَ فِي



الْعَرَقَةَ ، وَقَدْ تَسَلَّلَتْ إِلَيْهَا مِنْ خِلَالِ نَافِذَةٍ صَغِيرَةٍ ، فَأَمَرَتْهَا أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا وَلَكِنَّهَا أَحْضَرَتْ هَيْشَكْلَيْفَ مَعَهَا ، وَوَافَقَتْ أَنَّ أَصْطَحَبَهُ مَعِيَ إِلَى الْمَطْبَخِ وَأَعْطِيَهُ بَعْضَ الطَّعَامِ .

أَجْلَسَتْهُ عَلَى مَقْعَدٍ بِجِوَارِ الْمِدْفَاقَةِ ، وَقَدَّمْتُ لَهُ بَعْضَ الطَّعَامِ الشَّهْوِيِّ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ سَقِيمًا فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَأْكُلَ إِلَّا النَّزْرَ الْيَسِيرَ مِنَ الطَّعَامِ ، وَقَدْ جَلَسَ وَاضِعًا وَجْهَهُ بَيْنَ كَفَيْهِ ، فَسَأَلْتُهُ : « فِيمَ تَفَكَّرَ ؟ »

أَجَابَ : « إِنِّي أَفَكَّرُ كَيْفَ أَنْتَقِمَ مِنْ هِنْدَلِي ، وَلَا يَهْمُنِي كَمَ مِنَ الزَّمَنِ سَيَمُضُنِي حَتَّى يَحِينَ مَوْعِدُ انتِقَامِي ، مَا دُمْتُ سَأَسْتَطِيعُ آخِرَ الْأَمْرِ أَنْ أَنْتَقِمَ ، وَلَيْتَهُ يَعِيشُ حَتَّى أَنْتَقِمَ مِنْهُ . »

قُلْتُ لَهُ : « إِيْهِ يَا هَيْشَكْلَيْفَ ! فَلْتَدْعِ اللَّهَ يُعَاقِبِ الْمُجْرِمِينَ . »

أَجَابَ : « إِنَّ اللَّهَ لَنْ يَسْعَدَ بِعِقَابِهِ ، وَلَكِنِّي أَنَا سَأَسْعُدُ . »

## الفصل الخامس

فِي شَهْرِ يُونِيهِ التَّالِي أَنْجَبَتْ زَوْجَةُ هِنْدَلِي وَلَدًا - وَهُوَ آخِرُ أَبْنَاءِ عَائِلَةِ إِيرِنْشُو الْعَرِيقَةِ - فَأَسْمَوْهُ هِيرْتُون ، وَهُوَ اسْمُ عَائِلَةِ عَرِيقَةٍ . وَكَانَ وَلَدًا ظَرِيفًا وَجَمِيلًا ، وَلَكِنَّ الطَّبِيبَ قَالَ إِنَّ السَّيِّدَةَ إِيرِنْشُو لَنْ تَعِيشَ طَوِيلًا ، فَقَدْ كَانَتْ تُعَانِي مَرَضًا عُضَلًا لَا يُمَكِّنُ عِلَاجَهُ ؛ فَسَعَالَهَا وَنَحَافَتُهَا وَوَجْهُهَا اللَّامِعُ كَانَتْ عَلَامَاتٍ وَاضِحَةً لِحَالَتِهَا الْمَرْضِيَّةِ .

لَمْ يُصَدِّقْ هِنْدَلِي كَلَامَ الطَّبِيبِ ، فَلَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِهِ مُتَّسِعٌ لِغَيْرِ شَخْصَيْنِ اثْنَيْنِ : زَوْجَتِهِ وَنَفْسِهِ . وَمَا كُنْتُ لِأَسْتَطِيعَ أَنْ أَتَخِيلَ كَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحَمَّلَ وَقَعَ صَدْمَةِ فَقْدَانِهَا .

ظَلَّتِ السَّيِّدَةُ إِيرِنْشُو عَلَى حَالِهَا مِنَ الْإِشْرَاقِ وَالْإِنْشِرَاحِ مِمَّا دَعَا هِنْدَلِي أَنْ يُعْلِنَ أَنَّ صِحَّتَهَا تَتَحَسَّنُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ . وَلَكِنَّهَا



أَخَذَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ تَسْعَلُ ، فَاحْتَضَنَهَا بِيَدَيْهِ ، وَعَانَقَتْهُ هِيَ ، وَتَغَيَّرَ وَجْهُهَا ، ثُمَّ سَطَا عَادِي الْمَوْتِ عَلَى الْكَثْرِ الثَّمِينِ فَسَقَطَتْ ، وَاسْتَرَدَّ الْخَالِقُ وَدِيعَتَهُ .

كَانَ حُزْنُ هِنْدَلِي مِنَ النَّوعِ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ التَّعْبِيرَ عَنْهُ ، فَلَمْ يَبْكْ وَلَمْ يَسْجُدْ لِلصَّلَاةِ ، بَلْ بَدَأَ سَاخِطًا ، وَلَمْ يَكُنْ بِهِ شَغَفٌ بِالطُّفْلِ الَّذِي تَرَكَ كَلِيَّةً فِي رِعَايَتِي أَنَا . وَبَدَأَتْ حَيَاةُ هِنْدَلِي مِنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ تَكُونُ ضَرْبًا مِنْ شُرْبِ الْخُمُورِ وَلَعِبِ الْقِمَارِ . وَلَمْ يَسْتَطِعْ بَقِيَّةُ الْخَدَمِ أَنْ يَتَحَمَّلُوا تَصَرُّفَاتِهِ ، فَهَجَرُوا الْبَيْتَ ، وَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَنْزِلِ سِوَى جُوزَيْفٍ وَأَنَا . وَكَانَ عَلَيَّ أَنْ أُرْعَى الطُّفْلَ ، بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنِّي قَدْ شَبِيتُ وَتَرَعَرَعَتْ مَعَ هِنْدَلِي ، وَكُنْتُ أَكُنُّ لَهُ بَعْضَ مَشَاعِرِ الْحُبِّ . وَقَدْ بَقِيَ جُوزَيْفٌ فِي الْمَنْزِلِ أَيْضًا - لِأَنَّهُ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعِيشَ فِي وَسْطِ يَجْدٍ فِيهِ مِنَ الْخُرُوجِ عَنِ الْمَالُوفِ مَا يُثِيرُ نَقْدَهُ وَتَأْنِيَهُ .

لَمْ يَكُنْ ثُمَّ شَخْصٌ مُحْتَرَمٌ يَرُوقُ لَهُ أَنْ يَزُورَنَا ، مَا عَدَا إِدْغَارَ لَنْتُونِ الَّذِي كَانَ يَرُوقُهُ أَنْ يَرَى كَاثَرِينَ ، الَّتِي كَانَتْ - وَهِيَ فِي الْخَامِسَةِ عَشْرَةِ رَبِيعًا - مَلِكَةً الْمَكَانِ حُسْنًا ، فَلَمْ تَكُنْ تُضَارِعُهَا فِي جَمَالِهَا فَتَاةً أُخْرَى . وَلَكِنَّهَا كَانَتْ صَلِيفَةً وَلَمْ تَكُنْ لِتُفَكِّرَ إِلَّا فِي نَفْسِهَا وَرَغْبَاتِهَا الْخَاصَّةِ .

لَقَدْ احْتَفَظْتُ بِصَدَاقَتِهَا لِعَائِلَةٍ لَنْتُونِ مِنْذُ أَنْ أَقَامَتْ فِي ثَرْشُكْرُوسِ غِرَاجٍ . وَلَمْ تَكُنْ لِتُظْهَرَ لَهُمْ جَانِبَهَا السَّيِّئَ ، فَكَانُوا كُلُّهُمْ يَكُونُونَ لَهَا الْإِحْتِرَامَ وَالتَّقْدِيرَ فِي أَنْفُسِهِمْ ، وَلَكِنْ إِدْغَارَ لَنْتُونِ هَامَ بِحُبِّهَا .

وَلَمْ يَكُنْ بِهِ مِنَ الشَّجَاعَةِ مَا يَدْفَعُهُ إِلَى زِيَارَتِهَا فِي مُرْتَفَعَاتِ وَدْرَنْغٍ ، فَقَدْ كَانَ يَخْشَى هِنْدَلِي وَتَصَرُّفَاتِهِ السَّيِّئَةَ ، بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ كَاثَرِينَ لَمْ تَكُنْ لِتَرْغَبَ فِي تَوَاجُدِهِ فِي الْمَنْزِلِ ، حَيْثُ كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يُقَابَلَ هَيْشَكَلِيفُ .

كَانَ هَيْشَكَلِيفُ يَبْلُغُ وَقْتُهَا - عَلَى مَا أَظُنُّ - سِتَّةَ عَشَرَ رَبِيعًا ، وَقَدْ جَعَلَتْهُ ثَلَاثَةُ أَعْوَامٍ مِنَ الْعَمَلِ الشَّاقِّ أَصْلَبَ عَوْدًا ، وَقَدْ انْقَشَعَ عَنْهُ وَلَعُهُ بِالْكَتَبِ وَالدِّرَاسَةِ ، وَيَبْدُو أَنَّ عَقْلَهُ أَصْبَحَ صَدِيقًا ، فَكَانَ لَا يَتَحَدَّثُ إِلَّا قَلِيلًا . وَفَارَقَتْ الْإِبْتِسَامَةَ شَفَتَيْهِ ، وَلَكِنَّهُ ظَلَّ هُوَ وَكَاثَرِينَ تَوَاقِمِي صَدَاقَةً وَرَفِيقَةً دَائِمَةً مَا دَامَ غَيْرُ مَشْغُولٍ بِعَمَلٍ مَا ، وَلَكِنَّهُ مِنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ لَمْ يَكُنْ لِيُعْبَرَ لَهَا عَنْ غَرَامِهِ بِهَا .

وَذَاتَ يَوْمٍ رَتَّبَ هِنْدَلِي أُمُورَهُ عَلَى أَنْ يُغَادِرَ الْمَنْزِلَ بَعْدَ الظُّهْرِ ، فَبَعَثَتْ كَاثَرِينَ بِرِسَالَةٍ إِلَى إِدْغَارِ تَخْبِيرُهُ فِيهَا أَنَّهُ يُمَكِّنُهُ زِيَارَتِهَا .

وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَسَاعِدُ كَاثَرِينَ فِي ارْتِدَائِهِ مَلْبَسِهَا إِذَا بِهِيْشَكَلِيفُ



يُفاجئنا بدخوله .

سألها : « لِمَاذَا تَرْتَدِينَ ، يا كاثرين ، فُستانتِ الحَرِيرِي ؟ هَلْ أَنْتِ ذَاهِيَةٌ فِي زِيَارَةِ ؟ »

أجابت : « لا ، قَالَجُوْ مُمَطَّر . وَلَكِنْ يَجِبُ ، يا هَيْشَكَلِيف ، أَنْ تَذْهَبَ الْآنَ إِلَى الْحَقُولِ لِتَعْمَلَ فِيهَا . »

فَأجابها بِأَنَّهُ لَنْ يَعْمَلَ مَا دَامَ هِنْدَلِي بَعِيدًا عَنِ الْمَنْزِلِ ، وَسَوْفَ يَظَلُّ مَعَهَا . وَجَلَسَ أَمَامَ الْمِدْفَأَةِ ، فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ فِي سُكُونٍ لِلْحَضَاتِ وَهِيَ عَاجِزَةٌ عَنْ أَنْ تُقَرَّرَ مَاذَا تَفْعَلُ ، وَأَخِيرًا قَالَتْ : « إِنَّ إِيْزَابِيلَا وَلَنْتُونُ قَدْ وَعَدَا بِأَنْ يَحْضُرَا فِي عَصْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَلَكِنِّي لَا أَتَوَقَّعُ حُضُورَهُمَا ، لِأَنَّ الْجَوَّ مُمَطَّرٌ ، وَلَكِنَّهُمَا قَدْ يَأْتِيَانِ . »

أجاب هَيْشَكَلِيف : « لَا تُقْصِئِي عَنِ الْمَنْزِلِ بِسَبَبِ صَدِيقَيْكَ الْغَيْبِيَيْنِ اللَّذَيْنِ يَسْتَحِقَّانِ الشُّفَقَةَ . وَلَسْتُ أَدْرِي لِمَاذَا تُرِيدِينَ أَنْ تُقْضِي وَقْتًا طَوِيلًا مَعَهُمَا ؟ »

فَتَسَاءَلَتْ كَاثَرِينَ لِمَاذَا يُرِيدُ هَيْشَكَلِيفُ مِنْهَا أَنْ تَكُونَ دَائِمًا إِلَى جِوَارِهِ ، إِنَّهُ لَمْ يَحْكْ لَهَا قَطُّ مَا يُدْخِلُ السُّرُورَ إِلَى نَفْسِهَا .

صَاحَ هَيْشَكَلِيفُ بِحِدَّةٍ بِأَنَّهُمَا لَمْ تُخْبِرْهُ قَبْلَ الْيَوْمِ أَنَّهَا لَا تُحِبُّ

رُفْقَتَهُ ، فَقَالَتْ كَاثَرِينَ : « لَيْسَ ثَمَّةُ مِنْ رُفْقَةٍ حِينَ لَا يَعْرِفُ النَّاسُ شَيْئًا يُقَالُ فَيَجْلِسُوا صَامِتِينَ . »

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ سَمِعَ صَهِيلُ جَوَادٍ فِي فِنَاءِ الْمَنْزِلِ ، فَهَضَّ هَيْشَكَلِيفُ لِيَسْتَكْشِفَ الْأَمْرَ ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ دَخَلَ إِدْغَارُ لَنْتُونُ وَكَانَ وَجْهُهُ مَفْعَمًا بِالسُّرُورِ . وَقَدْ لَاحَظَتْ كَاثَرِينَ - دُونَ شَكٍّ - الْفَرْقَ بَيْنَ نَظَرَاتِ الصَّدِيقَيْنِ ، عِنْدَمَا دَخَلَ أَحَدُهُمَا وَخَرَجَ الْآخَرُ ؛ إِذْ كَانَ أَحَدُهُمَا صَرِيحًا لَطِيفًا مَرَحًا وَالْآخَرُ عَابِسًا مُنْطَوِيًا غَيْرَ بِاسِمِ الشَّغْرِ .

قَالَ إِدْغَارُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا : « لَمْ آتِ بِسُرْعَةٍ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ فَقَدْ كُنْتُ مَشْغُولًا بِتَنْظِيفِ الْأَطْبَاقِ مِنَ الْغُبَارِ . »

سَأَلَتْهُ كَاثَرِينَ : « مَاذَا تَفْعَلِينَ هُنَاكَ ، يَا إِيْلِينَ ؟ »

أَجَبَتْ : « أَقُومُ بِعَمَلِي ، يَا أَنْسَتِي . وَكَانَ السَّيِّدُ هِنْدَلِي قَدْ طَلَبَ مِنِّي أَلَّا أَتَرَكَ كَاثَرِينَ وَحْدَهَا مَعَ إِدْغَارِ . »

جَاءَتْ كَاثَرِينَ خَلْفِي وَهَمَسَتْ لِي : « إِذْهَبِي أَنْتِ وَمَسَاحَتُكِ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ ؛ فَإِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ أَرَى خَادِمَةً فِي الْغُرْفَةِ عِنْدَمَا أَكُونُ بِرُفْقَةِ أَصْدِقَاءِ . »



أَجَبْتُ : « مَعْدِرَةٌ يَا آنِسَةُ كَاثِرِينَ ! » وَوَصَلْتُ التَّنْظِيفَ بِاهْتِمَامٍ .  
وَحِينَ تَأَكَّدْتُ أَنَّ إِدْغَارَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَرَى مَا يَحْدُثُ ، أَمْسَكْتُ  
بِالْمَسَاحَةِ وَغَرَسْتُ أَصَابِعَهَا فِي ذِرَاعِي .

صَحْتُ : « هَذَا عَمَلٌ بَذِيءٌ ! وَلَا حَقَّ لَكَ فِي الْهَاقِ الْأَذَى  
بِي ! »

صَاحَتْ وَقَدْ احْمَرَّتْ أُذُنَاهَا مِنَ الْغَضَبِ ، فَلَمْ تَكُنْ تَقْدِرُ عَلَى  
إِخْفَاءِ مَشَاعِرِهَا الَّتِي كَانَتْ تُشْعِلُ وَجْهَهَا بِالنَّارِ عِنْدَ ثَوْرَتِهَا :  
« أَنْتِ كَاذِبَةٌ ، فَأَنَا لَمْ أَلْمَسْكِ . »

أَجَبْتُ : « مَا هَذَا إِذَا ؟ » وَأَرَيْتُهَا بُقْعَةً حَمْرَاءَ فِي ذِرَاعِي ،  
فَانْتَفَضَتْ غَضَبًا ، وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى ضَبْطِ نَفْسِهَا عِنْدَ حَدِّ فَصْفَعَتْنِي  
عَلَى وَجْهِي .

صَاحَ إِدْغَارُ وَهُوَ يُمَسِّكُ بِذِرَاعِهَا : « كَاثِرِينَ ، يَا حَبِيبَتِي ! »  
فَالْتَفَتْتُ إِلَيْهِ وَصَفَعْتُهُ صَفْعَةً قَوِيَّةً عَلَى أُذُنِهِ .

حَمَلْتُ إِلَيْهَا إِدْغَارَ فِي هُدُوءٍ وَقَدْ شَرِقَ وَجْهُهُ ، وَبَلَغَ بِهِ الْغَضَبُ  
مَدَاهُ ، ثُمَّ خَطَا بِضَعِ خُطُواتٍ لِيَلْتَقِطَ قُبْعَتَهُ ، وَذَهَبَتْ أَنَا إِلَى الْمَطْبَخِ  
تَارِكَةً الْبَابَ مَفْتُوحًا لَأَرَى مَا يَحْدُثُ .

سَأَلْتُ كَاثِرِينَ إِدْغَارَ وَهِيَ تَتَقَدَّمُ نَحْوَ الْبَابِ : « إِلَى أَيْنَ أَنْتِ  
ذَاهِبٌ ؟ يَجِبُ أَلَّا تَذْهَبَ ! »

أَجَابَ إِدْغَارُ بِصَوْتٍ خَفِيفٍ : « يَجِبُ أَنْ أَذْهَبَ ، وَسَأَذْهَبُ . »  
قَالَتْ كَاثِرِينَ : « لَا ، فَالْوَقْتُ لَمْ يَحْنِ بَعْدُ ، يَا إِدْغَارَ لِنَتَوْنِ ! لَا  
تَتْرَكْنِي وَأَنَا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ مِنَ الانْقِبَاضِ ، فَسَأَشْعُرُ بِالتَّعَاسَةِ طَوَالَ  
الَّيْلِ . »

سَأَلَهَا إِدْغَارُ : « هَلْ يُمَكِّنُنِي أَنْ أَظِلَّ هُنَا بَعْدَ مَا صَفَعْتَنِي ؟  
كَمَا أَنَّكَ كَاذِبَةٌ ! »

وَصَمَتَتْ كَاثِرِينَ .

أَضَافَ : « لَقَدْ جَعَلْتَنِي أَخْشَاكَ وَأَشْعُرُ بِالْخِزْيِ مِنْ تَصَرُّفَاتِكَ !  
لَنْ أَعُودَ إِلَى هُنَا مَرَّةً أُخْرَى . »

الْتَمَعْتُ عَيْنَاهَا بِالْذُمُوعِ ، وَقَالَتْ : « حَسَنًا ، فَلْتَذْهَبْ إِذَا شِئْتَ  
ذَلِكَ - بَعِيدًا ! وَلَكِنِّي سَأُظِلُّ أَذْرَفُ الدَّمْعِ إِلَى أَنْ أَمْرُضَ . »  
وَسَقَطَتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا وَبَدَأَتْ تَبْكِي بِصَوْتٍ عَالٍ .

خَرَجَ إِدْغَارُ إِلَى أَنْ وَصَلَ فِنَاءَ الْمَنْزِلِ ، ثُمَّ تَوَقَّفَ لِيَنْظُرَ مِنْ خِلَالِ  
النَّافِذَةِ ، فَلَمْ يَكُنْ يَقْوَى عَلَى تَرْكِهَا ، فَأَحْسَسْتُ بِأَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ



وَكُنْتُ مُصِيبَةً فِي إِحْسَاسِي ؛ فَقَدْ عَادَ فُجَاءَةً وَدَخَلَ الْمَنْزِلَ مَرَّةً  
أُخْرَى ، وَأَغْلَقَ الْبَابَ خَلْفَهُ .

وَدَخَلْتُ أَنَا الْمَنْزِلَ فِيمَا بَعْدَ لِأَخْبِرَهُمْ بِأَنْ هِنْدَلِي قَدْ وَصَلَ إِلَى  
الْبَيْتِ فِي حَالَةٍ هِيَاجٍ عَنِيفٍ ، وَكَانَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِأَنْ يَدْمَرَ  
الْمَنْزِلَ . وَلَمَسْتُ حَيْثُ أَنْ شِجَارَهُمَا قَدْ قَرَّبَ بَيْنَهُمَا ؛ فَتَحَوَّلَتْ  
صَدَاقَتُهُمَا إِلَى حُبٍّ .

## الفصل السادس

فِي سَاعَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ دَخَلْتُ كَاثَرِينَ الْمَطْبَخِ فَوَجَدْتَنِي  
هُنَاكَ ، وَكَانَتْ عَلَى وَجْهِهَا أَمَارَاتُ لَهْفَةٍ ، وَهَمَسَتْ لِي :

« هَلْ أَنْتِ وَحْدَكَ ، يَا إِلَيْن ؟ »

أَجَبْتُهَا : « أَجَلٌ ، يَا أَنْسَتِي . »

وَلَمْ أَفْطِنُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ إِلَى وُجُودِ هَيْشَكَلِيفِ عَلَى الْجَانِبِ  
الْآخِرِ ، فَوْقَ الْمَقْعَدِ الْخَشَبِيِّ ذِي الظَّهْرِ الْمُرْتَفِعِ .

فَتَحَتُ كَاثَرِينَ شَفَتَيْهَا لِتَتَحَدَّثَ ، وَلَكِنْ الْكَلِمَاتِ خَانَتْهَا ،  
وَتَسَاقَطَتِ الدَّمُوعُ مِنْ عَيْنَيْهَا فَوْقَ الْأَرْضِيَّةِ الْحَجَرِيَّةِ . وَانْتَظَرْتُ فِي  
صَمْتٍ ؛ فَلَمْ يَكُنْ فِي نِيَّتِي مُسَاعَدَتَهَا .

صَرَخَتْ : « آه ، يَا عَزِيزَتِي ! إِنِّي جِدُّ مُبْتَسِةٍ ! »



قُلْتُ : « مِنْ الصَّعْبِ إِرْضَاؤُكَ ؛ فَلَدَيْكَ أَصْدِقَاءُ كَثِيرُونَ وَهُمْ مَوَّمٌ قَلِيلَةٌ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَسْتُ رَاضِيَةً . »

جَنَّتْ إِلَى جَوَارِي ، وَرَفَعَتْ عَيْنَيْهَا الْجَمِيلَتَيْنِ إِلَى وَجْهِي قَائِلَةً : « هَلْ تَكْتُمِينَ السِّرَّ ، يَا إِلَيْنِ ؟ »

سَأَلْتُ : « هَلِ السِّرُّ خَلِيقٌ بِأَنْ أَكْتُمَهُ ؟ »

أَجَابَتْ : « أَجَلٌ . إِنَّهُ يُزْعِجُنِي ، وَمِنْ ثَمَّ يَجِبُ أَنْ أَبُوحَ بِهِ . أَرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ مَاذَا يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَفْعَلَ ، لَقَدْ طَلَبَ مِنِّي إِدْغَارَ لَتَوْنِ الْيَوْمِ الزَّوْاجَ بِهِ ، وَأَبْدَيْتَ لَهُ رَأْيِي . وَالْآنَ قَبْلَ أَنْ أَقُولَ لَكَ إِنِّي وَافَقْتُ أَوْ رَفَضْتُ ، أَرْجُو أَنْ تَقُولِي لِي هَلْ كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَرْفُضَ أَوْ أَقْبَلَ ؟ »

أَجَبْتُ : « لَسْتُ أَدْرِي ، يَا أَيْسَةَ كَاثِرِينَ . وَالْحَقُّ أَنَّنِي إِذَا أَخَذْتُ فِي الْإِعْتِبَارِ تَصَرُّفَاتِكَ فِي عَصْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ ؛ لَكَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ لَكَ أَنْ تَرَفُضِيهِ ، وَمَا دَامَ هُوَ قَدْ طَلَبَ مِنْكَ رَعْمَ ذَلِكَ أَنْ تَقْبَلِي الزَّوْاجَ بِهِ ، فَلَا بُدَّ أَنَّهُ أَحْمَقُ ! »

قَالَتْ كَاثِرِينَ غَاضِبَةً : « مَا دَامَتْ هَذِهِ طَرِيقَتُكَ فِي الْحَدِيثِ فَلَنْ أَخْبِرَكَ بِشَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ . لَقَدْ وَافَقْتُ عَلَى الزَّوْاجِ مِنْهُ ،

يَا إِلَيْنِ ، فَأَسْرِعِي إِلَيَّ بِرَأْيِكَ : هَلْ كُنْتُ عَلَى خَطَأٍ ؟ »

« ثَمَّةٌ عَدِيدَةٌ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ نُنَاقِشَهَا قَبْلَ أَنْ نُجِيبَ عَنْ السُّؤَالِ إِجَابَةً صَحِيحَةً ، فَأَوَّلًا هَلْ تُحِبِّينَ السَّيِّدَ إِدْغَارَ ؟ »

« مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ غَيْرَ ذَلِكَ ؟ بَدِيهِي أَنَّنِي أَحِبُّهُ . »

« لِمَاذَا تُحِبِّينَهُ ، يَا أَيْسَةَ كَاثِرِينَ ؟ »

« إِنَّنِي أَحِبُّهُ وَأَحِبُّهُ وَهَذَا يَكْفِي . »

« لَا ، يَنْبَغِي أَنْ تَقُولِي لِمَاذَا . »

« لِأَنَّهُ وَسِيمٌ وَلَطِيفٌ الْمَعَشَرِ . »

« هَذَا لَا يَكْفِي . »

« وَلَأنَّهُ شَابٌّ وَمَرَحٌ . »

« وَهَذَا أَيْضًا لَا يَكْفِي . »

« وَلَأنَّهُ يُحِبُّنِي . »

« هَذَا أَفْضَلُ الْأُمُورِ . »

« وَسَوْفَ يَكُونُ ثَرِيًّا ، وَأَنَا سَأَصْبِحُ أَلَمَعَ امْرَأَةٍ فِي الْمِنْطَقَةِ . »

« ذَلِكَ أَسْوَأُ مَا ذَكَرْتَ . وَالْآنَ أَيْبُنِي كَيْفَ تُحِبِّينَهُ ؟ »



« كَمَا يُحِبُّ أَيُّ إِنْسَانٍ - أَنْتِ سَخِيفَةٌ ، يَا إِلَيْنِ . »

« الْعَفْوُ ! أَجِيبِي . »

« أَحِبُّ الْأَرْضَ الَّتِي يَسِيرُ عَلَيْهَا ، وَالْهَوَاءَ الَّذِي يَتَحَرَّكُ فِيهِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَلْمِسُهُ ، وَكُلُّ كَلِمَةٍ يَتَقَوَّهَ بِهَا ، وَأَحِبُّ نَظْرَاتِهِ وَكُلُّ مَا يَفْعَلُهُ ، وَأَحِبُّ قَلْبًا وَقَالِبًا . »

« دَعِينَا إِذَا نَسَمِعَ مَا الَّذِي يَسْوُوكِ إِذَا تَزَوَّجْتَ بِهِ ؟ فَأَخُوكِ سَيَكُونُ سَعِيدًا ، وَالسَّيِّدُ لَتَتَوْنِ وَزَوْجَتَهُ - أَغْلَبُ ظَنِّي - لَنْ يَقُولَا لَا ، وَزِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ فَأَنْتِ سَوْفَ تُنْقِذِينَ نَفْسَكَ بِالْإِنْتِقَالِ مِنْ مَنْزِلٍ كُلُّهُ قَوْضَى وَغَيْرُ مَرِيحٍ إِلَى مَنْزِلٍ مُحْتَرَمٍ تَرِي ؛ وَأَنْتِ تُحِبِّينَ إِدْغَارَ وَهُوَ يُحِبُّكِ ، فَكُلُّ شَيْءٍ وَاضِحٌ وَمَيَّسَرٌ ، فَأَيْنَ تَكْمُنُ الْمَشْكِلَةُ إِذَا ؟ »

أَجَابَتْ كَاثِرِينَ وَهِيَ تَدُقُّ يَدَيْهَا عَلَى رَأْسِهَا وَبِأُخْرَى عَلَى صَدْرِهَا :  
« إِنَّهَا تَكْمُنُ هُنَا ، وَهُنَا . تَكْمُنُ حَيْثُ تَحْيَا رُوحِي . وَأَشْعُرُ بَيْنَ رُوحِي وَقَلْبِي أَنَّنِي جِدٌّ مُخْطِئَةٌ . »

« إِنَّ هَذَا لَأَمْرٌ عَجِيبٌ جِدًّا ! وَلَسْتُ أَفْهَمُهُ . »

« سَوْفَ أَحَاوِلُ أَنْ أَوْضَحَ الْأُمُورَ : لَقَدْ رَأَيْتُ فِي حُلْمٍ غَرِيبٍ ، اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ ، أَنَّنِي فِي السَّمَاءِ ، وَلَكِنَّ السَّمَاءَ نَفْسَهَا لَمْ تَبْدُ مَوْطِنِي ، فَانْفَطَرَ قَلْبِي مِنَ الْبُكَاءِ كَيْ أَعُودَ إِلَى الْأَرْضِ ؛ فَغَضِبَ مِنِّي مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْقَوْنِي مِنْهَا ، فَهَبَطَتْ عَلَى الْأَرْضِ الْقَفَرِ فِي مُرْتَفَعَاتٍ وَدَرَنُغٍ . »

« وَاسْتَيْقَظْتُ وَأَنَا أَصْرُخُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ ، وَلَيْسَ لِي الْحَقُّ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الزَّوْاجِ مِنْ إِدْغَارٍ لَتَتَوْنِ ، كَمَا لَيْسَ لِي الْحَقُّ فِي أَنْ أَكُونَ فِي السَّمَاءِ . لَوْ أَنَّ أَخِي الْحَاقِدَ لَمْ يَنْزِلْ بِهَيْشَكَلِيفَ إِلَى الْحَضِيضِ مَا كَانَ يَعْنُ لِي أَنْ أَفَكِّرَ فِي غَيْرِهِ ، أَمَا وَقَدْ فَعَلَ فَمِنْ الْعَارِ الْآنَ أَنْ أَتَزَوَّجَهُ ، وَمِنْ ثَمَّ فَلَنْ يَعْرِفَ كَمْ أَحِبُّهُ ، لِأَنَّهُ هُوَ فِي ذَاتِ نَفْسِي أَكْثَرُ مِنْ إِحْسَاسِي أَنَا بِنَفْسِي ، وَسَوَاءٌ كَانَتْ رُوحَانَا صَيِّغَتَا مِنْ هَذَا الْقِيَامِ أَوْ ذَلِكَ ، فَإِنَّ رُوحِي وَرُوحَهُ مِنْ نَفْسِ النَّسِيجِ ، أَمَا رُوحُ إِدْغَارٍ فَتَخْتَلِفُ عَنِّي كَمَا يَخْتَلِفُ ضَوْءُ الْقَمَرِ عَنِ النَّارِ . »

وَقَبْلَ أَنْ تَنْهِيَ كَلَامَهَا ، أَدْرَكْتُ أَنَّ هَيْشَكَلِيفَ كَانَ فِي الْغُرْفَةِ ، وَرَأَيْتُهُ يَقُومُ مِنْ مَقْعَدِهِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا فِي هُدُوءٍ . لَقَدْ سَمِعَ كَاثِرِينَ وَهِيَ تَقُولُ إِنَّ زَوَاجَهَا بِهَيْشَكَلِيفَ يَجْلِبُ عَلَيْهَا الْعَارَ ، ثُمَّ غَادَرَ



الغُرْفَةَ ، وَلَكِنْ كَاثَرِينَ لَمْ تَرَهُ .

سَأَلْتُهَا : « هَلْ فَكَّرْتَ - حِينَ تُصْبِحِينَ زَوْجَةَ لنتون - في هيشكلييف ؟ إِنَّهُ سَيَفْقِدُ صَدِيقَتَهُ وَحُبَّهُ وَكُلَّ شَيْءٍ . كَيْفَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَتَحَمَّلَ صَدْمَةَ الْإِنْفِصَالِ ؟ »

صَاحَتْ : « إِنْفِصَالٌ ! مَنْ ذَا الَّذِي سَيَفْصِلُنَا ؟ هَذَا مَا لَا أَقْصِدُهُ . يَجِبُ أَنْ يَنْقُضَ إِدْغَارٌ عَنْ نَفْسِهِ كَرَاهِيَتَهُ لَهُ وَيُوْطِدَ النَّفْسَ عَلَى تَحْمُلِهِ ، وَسَوْفَ أَسَاعِدُهُ لِيَبْرَزَ فِي الْمَجْتَمَعِ وَيَكُونَ بِمَنَآئِ عَنْ سُلْطَةِ أَخِي . »

صَحَّتْ : « هَلْ سَتَفْعَلِينَ ذَلِكَ بِأَمْوَالِ زَوْجِكَ ، يَا أَيْسَةُ كَاثَرِينَ ؟ إِنَّهُ لَنْ يَقْبَلَ ذَلِكَ ؛ فَلَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَتَزَوَّجِي لنتون لِكَيْ تُسَاعِدِي هيشكلييف ! »

« وَلَكِنِّي لَنْ أَقْبَلَ أَنْ أُتَخَلَّى عَنْ هيشكلييف ، فَهُوَ يُشْكَلُ أَهْمُ جُزْءٍ مِنِّي . إِنَّ حُبِّي لِإِدْغَارٍ مِثْلُ الْأَوْرَاقِ عَلَى الْأَشْجَارِ ، الزَّمَنُ كَفِيلٌ بِتَغْيِيرِهِ ، كَمَا يُغَيِّرُ الشِّتَاءُ أَوْرَاقَ الشَّجَرِ ، وَلَكِنْ حُبِّي لِهيشكلييف مِثْلُ الصُّخُورِ الْعَاتِيَةِ الرَّاسِخَةِ فِي الْقَاعِ ؛ فَهُوَ يَمْدُنِي

بِشَيْءٍ مِنَ الْحُبِّ وَالسُّرُورِ الْإِلَازِمِ لِكَيَانِي ، أَلَا فَلْتَعَلِّمِي ، يَا إِلَيْنِ ، أَنَّنِي أَنَا لَسْتُ إِلَّا هِيْشْكَلِييف ! فَهُوَ دَائِمًا وَأَبَدًا فِي فِكْرِي ، وَمِنْ ثَمَّ فَلَا تَتَحَدَّثَنِي أَبَدًا عَنْ إِنْفِصَالِ بَيْنِنَا . »

عِنْدَ هَذِهِ النُّقْطَةِ وَصَلَ جُوزِيْفَ وَسَأَلَ : « أَيْنَ ذَلِكَ الصَّبِيُّ الْخَمُولُ ؟ »

قُلْتُ : « أَسْأَلُ عَنْ هِيْشْكَلِييف ؟ أَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَعَ الْخَيْلِ . »

خَرَجَ جُوزِيْفَ لِيَسْتَكْشِفَ الْأَمْرَ ، فَأَخْبَرْتُ كَاثَرِينَ أَنَّ هِيْشْكَلِييفَ لَا بُدَّ وَأَنَّهُ سَمِعَ مَعْظَمَ مَا قَالَتْهُ ، وَعِنْدَ سَمَاعِهَا هَذَا الْكَلَامَ قَفَزَتْ مِنْ مَكَانِهَا مَذْعُورَةً ، وَخَرَجَتْ لِتَبْحَثَ عَنْهُ بِنَفْسِهَا .

وَلَكِنْ هِيْشْكَلِييفَ مَا كَانَ لِيُوجَدَ فِي أَيِّ مَكَانٍ ، رَعِمَ أَنَّنَا بَحَثْنَا عَنْهُ فِي الْبَيْتِ وَفِي الْمَرْعَةِ . وَأُصِيبَتْ كَاثَرِينَ بِحَالَةٍ دُعِرَ شَدِيدٍ ، وَرَاحَتْ تَصْرُخُ : « لَا بُدَّ أَنْ أَخْبِرَهُ وَأَتَحَدَّثَ مَعَهُ . مَا الَّذِي قُلْتَهُ وَأَحْزَنَهُ ؟ لَيْتَهُ يَعُودُ ! أَلَا لَيْتَهُ يَعُودُ ! »

كَانَتْ لَيْلَةً غَائِمَةً مُظْلِمَةً ، وَكَانَتْ ثَمَّةَ عَاصِفَةٍ قَادِمَةٍ ، وَرَعِمَ ذَلِكَ فَقَدْ خَرَجَتْ كَاثَرِينَ لِتَبْحَثَ عَنْ هِيْشْكَلِييفَ عَبْرَ الطَّرِيقِ ، وَهِيَ



تُنَادِي بِاسْمِهِ وَتَصْرُخُ .

كَانَتْ الْعَاصِفَةُ قَدْ وَصَلَتْ حَوَالِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ ، وَبَدَأَتْ أَنَا  
وَجُوزَيْفُ نَشْعُرُ بِالذُّعْرِ حِينَ بَدَأَتْ الرِّيحُ الْعَاتِيَةُ وَالْمَطَرُ الْغَزِيرُ الْمُنْهَمِرُ  
يَطْرُقَانِ النَّوَافِدَ . وَلَكِنْ كَاثِرِينَ لَمْ تَدْخُلِ الْبَيْتَ إِلَّا حِينَ هَدَأَتْ  
الْعَاصِفَةُ ، وَكَانَ شَعْرُهَا وَمَلَابِسُهَا كُلُّهَا مُبَلَّلَةً تَمَامًا ، وَلَكِنَّهَا  
رَفَضَتْ أَنْ تَخْلَعَ مَلَابِسَهَا أَوْ أَنْ تَأْوِيَ إِلَى الْفِرَاشِ ، وَقَضَتْ بَقِيَّةَ  
تِلْكَ اللَّيْلَةِ فِي الْمَطْبُخِ ، تُرَاقِبُ الْحَالَةَ مِنْ خِلَالِ الْبَابِ الْمَفْتُوحِ .

وَفِي الصُّبْحِ كَانَ الْمَرَضُ قَدْ تَغَلَّبَ عَلَيْهَا ، فَدَقَعَتْ بِهَا إِلَى  
الْفِرَاشِ . وَكَانَتْ فِي حَالَةٍ مُرَوَّعَةٍ حَتَّى إِنِّي ظَنَنْتُ أَنَّهَا فِي الطَّرِيقِ  
إِلَى الْجَنُونِ . وَطَلَبْتُ مِنْ جُوزَيْفٍ أَنْ يَذْهَبَ لِيَأْتِيَ بِطَبِيبٍ ، وَحِينَ  
رَأَاهَا قَالَ إِنَّ مَرَضَهَا خَطِيرٌ ، فَقَدْ أَصِيبَتْ بِحُمَى .

كَانَ مَرَضُهَا طَوِيلًا وَمُؤَلِمًا ، وَلَكِنْ الْمَوْتُ لَمْ يُوَافِقْهَا . وَحِينَ  
تَحَسَّنَتْ حَالَتُهَا إِلَى دَرَجَةٍ مَلْحُوظَةٍ ، أَخَذَتْهَا السَّيِّدَةُ لَتَتَوَلَّى لِيُتَقِيمَ  
مَعَهَا فِي ثَرْشُكْرُوسْ غَرَانِجٍ . وَلَكِنْ السَّيِّدَةُ عَانَتْ مِنْ عَطْفِهَا هَذَا  
عَلَى كَاثِرِينَ أَشَدَّ الْمَعَانَاةِ ؛ فَقَدْ سَرَتْ عَدَوَى الْحُمَى إِلَيْهَا وَإِلَى  
زَوْجِهَا وَمَاتَ الاثْنَانِ بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ .





لَمْ نَسْمَعْ أَتْبَاءَ عَنْ هَيْثُ كَلِيف ، وَحِينَ عَادَتْ كَاثَرِينَ إِلَيْنَا كَانَ  
مِنَ الصَّعْبِ مُعَايَشَتُهَا . وَقَالَ الطَّبِيبُ إِنَّهُ مِنَ الْخَطَرِ عَلَيْهَا أَنْ  
يُغْضِبَهَا أَيُّ إِنْسَانٍ ، وَيَجِبُ - كُلَّمَا أَمَكْنَ ذَلِكَ - أَنْ يُسَمَّحَ لَهَا  
بِأَنْ تَفْعَلَ مَا تُرِيدُ . وَلَمْ يَعْتَرِضِ السَّيِّدُ هِنْدَلِي عَلَى ذَلِكَ ، وَكَانَ  
سَعِيدًا أَنْ يَرَى إِدْغَارَ لَنْتُونِ يَهْتَمُّ بِكَاثَرِينَ ، فَالزَّوْاجُ مِنْ عَائِلَةٍ لَنْتُونِ  
سَوْفَ يَكُونُ بِمِثَابَةِ شَرَفٍ رَفِيعٍ لِعَائِلَةِ إِيرَنْشَو .

## الفصل السابع

بَعْدَ انْقِضَاءِ ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ تَزَوَّجَتْ كَاثَرِينَ إِيرَنْشَو مِنْ إِدْغَارِ  
لَنْتُونِ ، وَعَاشَتْ فِي ثَرْشُكْرُوسِ غَرَاخِ .

وَقَدْ أَرَادَتْ أَنْ أَقِيمَ مَعَهَا هُنَاكَ ، وَلَمْ أَكُنْ لَأَوْطَنِ النَّفْسِ عَلَى  
تَرْكِ هِيرْتُونِ ؛ فَقَدْ أَحْبَبْتُهُ كَمَا لَوْ كَانَ طِفْلِي ، وَقَدْ بَلَغَ الْآنَ  
الْخَامِسَةَ مِنْ عُمُرِهِ ، وَبَدَأَتْ أَعْلَمُهُ الْقِرَاءَةَ . وَلَكِنَّ السَّيِّدَ هِنْدَلِي  
أَمَرَنِي بِأَنْ أَذْهَبَ مَعَ كَاثَرِينَ ، فَلَمْ يَكُنْ يَرْغَبُ فِي وُجُودِ امْرَأَةٍ فِي  
الْمَنْزِلِ ، حَيْثُ لَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ رَبَّةٍ بَيْتٍ ، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ طَبَعَتْ قُبْلَةً وَدَاعٍ  
عَلَى وَجْهِ هِيرْتُونِ ، وَأَنَا أَسْأَلُ نَفْسِي تَرَى أَيْهَ رِعَايَةٍ سَيَلْقَاهَا مِنْ أَبِيهِ  
وَجُوزِيفِ .

وَقَدْ اسْتَقَرَّتْ كَاثَرِينَ فِي حَيَاتِهَا الْجَدِيدَةِ فِي ثَرْشُكْرُوسِ غَرَاخِ ،  
وَكَانَتْ تَتَصَرَّفُ بِأَحْسَنَ مِمَّا كُنْتُ أَتَوَقَّعُ . وَقَدْ بَدَّلَ السَّيِّدُ إِدْغَارَ



وَأُخْتَهُ كُلَّ جَهْدٍ لِيَبْعَثَا السُّرُورَ فِي نَفْسِهَا ، وَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةٌ مَا يُثِيرُ غَضَبَهَا .

وَقَدْ لَاحَظْتُ أَنَّ السَّيِّدَ إِدْغَارَ كَانَ يَخْشَى كُلَّ الْخَشْيَةِ أَنْ يُغْضِبَهَا ، وَبِذَلِكَ وَسْعَهُ لِيَكُونَ الْخَدَمُ دَائِمِي التَّهَدُّبِ مَعَهَا ، وَأَنْ يَكُونَ دِيْدَنَهُمْ إِرْضَاءُهَا حَتَّى عِنْدَمَا تَحْتَدُّ مَعَهُمْ .

وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ انْصَرَمَتْ سِتَّةَ شُهُورٍ دُونَ أَنْ يَحْدُثَ مَا يُعَكِّرُ صَفْوَ كَثَرَيْنِ ، رَغْمَ أَنَّهُ كَانَتْ ثَمَّةُ فتراتٍ فَارَقَتْهَا فِيهَا السَّعَادَةُ وَأَخْلَدَتْ إِلَى السُّكُونِ ، وَقَدْ عَزَا زَوْجُهَا ذَلِكَ إِلَى الْمَرَضِ الْقَاسِي الَّذِي أَصَابَهَا . وَلَكِنِّي عَرَفْتُ أَنَّ ذَلِكَ حَدَثَ مِنْ كَثَرَةِ تَفْكِيرِهَا فِي هَيْشَكَلِيف . وَقَدْ مَضَتْ الْأَيَّامُ الْمُظْلِمَةُ وَأَشْرَقَتِ الشَّمْسُ مِنْ جَدِيدٍ ، وَاعْتَقِدْتُ أَنَّهُمَا كَانَا يَتَمَتَّعَانِ بِسَعَادَةٍ غَامِرَةٍ وَمُتَرَايِدَةٍ .

وَلَكِنْ تَأْتِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ ، فَفِي ذَاتِ أُمْسِيَّةٍ دَافِئَةٍ مِنْ شَهْرِ سَيْتَمْبَرٍ ، كُنْتُ قَادِمَةً مِنَ الْحَدِيقَةِ وَأَنَا أَحْمِلُ سَلَّةَ ثَقِيلَةً مِنَ التُّفَاحِ ، وَضَعْتُهَا عَلَى السُّلَمِ لِأَلْتَقِطَ أَنْفَاسِي ، وَرَفَعْتُ عَيْنِي لِأَتَطَّلَعَ إِلَى الْقَمَرِ ، وَسَمِعْتُ فَجَاءَةً صَوْتًا خَلْفِي كَأَنَّمَا يَجِيءُ مِنَ الْأَعْمَاقِ ، يَقُولُ : « أَهْذِهِ أَنْتِ ، يَا إِلَيْنِ ؟ »

كَانَ صَوْتًا غَرِيْبًا ، وَلَكِنِّي شَعَرْتُ بِأَنِّي أَعْرِفُ صَاحِبَهُ ، فَاسْتَدْرْتُ

إِلَى الْخَلْفِ فِي قَرْعٍ . وَكَانَ فَنَاءُ الْمَنْزِلِ مَلِيئًا بِالظُّلَالِ ، تَحْرَكَ أَحَدُهَا وَرَأَيْتُهُ ، رَجُلًا مَدِيدَ الْقَامَةِ فِي ثِيَابٍ دَاكِئَةٍ ، ذَا وَجْهِ وَشَعْرٍ دَاكِئَيْنِ .

قَالَ : « أَلَا تَعْرِفِينَنِي ، يَا إِلَيْنِ ؟ »

وَكَانَ ضَوْؤُ الْقَمَرِ مُنْصَبًّا عَلَى وَجْهِهِ ، وَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ السُّودَاوَيْنِ ؛ فَصَرَخْتُ : « يَا لِلْعَجَبِ ! »

وَلَمْ أَكُنْ مُتَأَكِّدَةً مَا إِذَا كَانَ رَجُلًا أَوْ سَبَحًا ، وَسَأَلْتُ : « هَلْ عُدْتَ ؟ أَمْ هَذَا أَنْتَ حَقًّا ؟ »

أَجَابَ بِوَابِلٍ مِنَ الْأَسْئَلَةِ : « أَجَلٌ ، أَنَا هَيْشَكَلِيف . أَتَيْنَ هِيَ ؟ إِنَّكَ غَيْرُ سَعِيدَةٍ ، يَا إِلَيْنِ . لَيْسَ ثَمَّةُ مَا يُزْعِجُكَ ! هَلْ هِيَ مَوْجُودَةٌ هُنَا ؟ أَرِيدُ أَنْ أَتَحَدَّثَ إِلَيْهَا قَلِيلًا . إِذْهَبِي وَقُولِي لَهَا إِنَّ شَخْصًا مِنْ جَمْرَتُونٍ يُرِيدُ أَنْ يَرَاهَا . »

صَحْتُ : « كَيْفَ سَتَحْمَلُ الْمَفَاجَأَةَ ؟ لَشَدُّ مَا تَغَيَّرَتْ ، يَا هَيْشَكَلِيف ! هَلْ كُنْتَ تَعْمَلُ فِي الْجَيْشِ ؟ »

قَالَ : « إِذْهَبِي وَبَلِّغِي رِسَالَتِي . إِنَّنِي سَاطِلٌ فِي جَحِيمٍ حَتَّى تَفْعَلَنِي ذَلِكَ ! »



ذَهَبَتْ بِطَءٍ إِلَى عُرْفَةِ الْجُلُوسِ ، حَيْثُ كَانَ السَّيِّدُ لِنَتُونِ وَزَوْجَتِهِ  
يَجْلِسَانِ بِجِوَارِ النَّافِذَةِ فِي هُدُوءٍ تَامٍ ؛ حَتَّى إِنِّي - لِقَرِطٍ  
هُدُوئُهُمَا - كِدْتُ أَعْجِزُ عَنْ أَنْ أَبْلُغَهَا الرِّسَالَةَ .

قُلْتُ : « إِنَّ شَخْصًا مِنْ جَمْرَتُونِ يُرِيدُ أَنْ يَرَاكَ ، يَا سَيِّدَتِي . »

سَأَلْتُ كَاثْرِينَ : « مَاذَا يُرِيدُ ؟ »

أَجَبْتُ : « لَمْ أَسْأَلْهُ . »

قَالَتْ : « أَحْضِرِي الشَّيْءَ ، يَا إِلَيْنِ . سَوْفَ أَعُودُ بَعْدَ  
لَحْظَاتٍ . » وَنَزَلْتُ إِلَى الطَّابَقِ الْأَسْفَلِ .

وَمَا هِيَ إِلَّا بِضْعُ دَقَائِقَ حَتَّى صَعِدْتُ مَرَّةً أُخْرَى وَهِيَ تَلَهَّتْ  
بِإِنْفِعَالٍ ، ثُمَّ صَرَخَتْ : « إِدْغَارُ ! إِدْغَارُ ! » وَطَوَّقَتْ عُنُقَهُ بِذِرَاعَيْهَا  
قَائِلَةً : « لَقَدْ عَادَ هَيْشَكْلَيْفُ ! لَقَدْ عَادَ .. عَادَ ! »

صَاحَ إِدْغَارُ بِحِدَّةٍ : « هَلْ وَجَدْتِهِ شَيْئًا عَظِيمًا إِلَى هَذَا الْحَدِّ ؟  
لَا دَاعِيَ لِأَنْ تَعْتَصِرِي مِنِّي الْأَنْفَاسَ فَإِنِّي أَكَادُ أُحْتَنِقُ . »

قَالَتْ : « إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تُحِبُّهُ . يَجِبُ الْآنَ - لِكَيْ تَبْعَثَ  
فِي نَفْسِي الرِّضَا - أَنْ تَكُونَ صَدِيقًا لَهُ . هَلْ تَأْذُنُ لِي بِأَنْ أَدْعُوهُ  
لِيَصْعَدَ إِلَيْنَا ؟ »

« هُنَا فِي عُرْفَةِ الْجُلُوسِ ؟ أَلَيْسَتْ حُجْرَةُ الْمُطْبَخِ أَنْسَبَ لَهُ ؟ »

ضَحِكْتُ كَاثْرِينَ بِازْدِرَاءٍ ، وَقَالَتْ : « لَا ! إِنَّ إِلَيْنِ يُمَكِّنُهَا أَنْ  
تُعَدَّ مِنْصُدَّتَيْنِ هُنَا لِلشَّيْءِ : إِحْدَاهَا لَكَ وَلِإِيزَابِيلَا - السَّادَةِ ؛  
وَالْأُخْرَى لِهَيْشَكْلَيْفٍ وَلِي - الْخَدَمِ ! اذْهَبِي ، يَا إِلَيْنِ ، وَنَادِي  
هَيْشَكْلَيْفَ . »

حِينَ دَخَلَ هَيْشَكْلَيْفُ الْعُرْفَةَ ؛ قَفَزَتْ كَاثْرِينَ إِلَى الْأَمَامِ ،  
وَأَمْسَكَتْ بِيَدَيْهِ ، وَمَضَتْ بِهِ إِلَى إِدْغَارِ ، ثُمَّ أَمْسَكَتْ بِأَصَابِعِ  
إِدْغَارِ الرَّافِضَةِ وَحَشَرَتْهَا فِي أَصَابِعِ هَيْشَكْلَيْفَ . وَفِي هَذِهِ الْمَرَّةِ رَأَيْتُهُ  
بُوضُوحٍ ، فَاعْتَرَّتْنِي دَهْشَةٌ أَكْبَرُ مِنْ أَيِّ نَظِيرٍ لَهَا طَوَالَ عُمْرِي ؛  
لَمَّا لَمَسْتُهُ مِنْ تَغْيِيرٍ شَامِلٍ فِيهِ ؛ لَقَدْ أَصْبَحَ فَارِعًا ، قَوِيَّ الْبِنْيَةِ وَأَكْبَرَ  
بَلْ أَقْوَى مِنْ إِدْغَارِ ، وَبَدَأَ أَكْثَرَ حِكْمَةً مِنْ رَبِّ الْبَيْتِ الَّذِي أَعْمَلُ  
أَنَا فِيهِ ، فَمَظْهَرُهُ وَحَالَتُهُ كَانَتَا تَتَمَّانِ عَنْ رَجُلٍ نَبِيلٍ ، وَرَغْمَ ذَلِكَ  
فَمَا زَالَتْ ثَمَّةَ نَظَرَةٍ حَادَّةٍ تَنْبَعِثُ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْهِ الْمَغْرُوسَتَيْنِ عَمِيقًا فِي  
وَجْهِهِ - عَيْنَيْهِ الْمُقْعَمَتَيْنِ بِنَارِ السُّخْطِ .

كَانَ إِدْغَارُ مَذْهُولًا أَكْثَرَ مِنِّي ، وَلَمْ يَعْرِفْ كَيْفَ يَتَكَلَّمُ ، وَأَخِيرًا  
طَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَجْلِسَ .

وَاتَّخَذَ هَيْشَكْلَيْفُ مَقْعَدًا لَهُ مُقَابِلَ كَاثْرِينَ ، وَقَدْ احْتَفَظْتُ بِعَيْنَيْهَا



مُشْتَبِهٍ عَلَيْهِ ، كَمَا لَوْ كَانَتْ تَخْشَى أَنْ يَخْتَفِيَ عَنْ نَظَرِهَا لَوْ  
أَنَّهَا التَّفَتَتْ بِعَيْنَيْهَا بَعِيداً عَنْهُ . لَكِنَّهُ لَمْ يَشْغَلْ عَيْنَيْهِ بِهَا كَثِيراً ،  
وَكَانَ يَكْتَفِي مِنْ وَقْتٍ لآخرَ بِنَظَرَةٍ سَرِيعَةٍ لَهَا ، وَمَعَ كُلِّ نَظَرَةٍ  
كَانَ الْفَرَحُ يَتَعَمَّقُ فِي وَجْهِهِ .

غَيْرَ أَنَّ وَجْهَهُ إِذْ غَارَ شَرِقَ غَضَباً حِينَ لَمَسَ اهْتِمَامَهُمَا الْمُتَبَادَلَ ،  
وَرَأَى كَاثِرِينَ تَقْفِيزُ وَتُمْسِكُ بِيَدَيْ هَيْشَكَلِيفِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَقَدْ بَدَأَتْ  
تَضْحَكُ مِلءَ شِدْقَيْهَا ، وَصَاحَتْ : « لَسَوْفَ يَكُونُ هَذَا حُلْماً يَوْمَ  
عَدٍ ، وَلَنْ أَصْدُقَ أَنَّنِي رَأَيْتُكَ وَلَمْسْتُكَ وَتَحَدَّثْتُ مَعَكَ مَرَّةً أُخْرَى .  
إِيهَ يَا هَيْشَكَلِيفَ الْقَاسِي ! لَقَدْ ظَلَلْتُ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ بَعِيداً عَنِّي وَلَمْ  
تُفَكِّرْ بِي . »

أَجَابَ بِصَوْتٍ هَادِئٍ : « إِنَّنِي فَكَّرْتُ فِيكَ أَكْثَرَ بِقَلِيلٍ مِمَّا  
فَعَلْتِ أَنْتِ . لَقَدْ سَمِعْتُ عَنْ زَوَاجِكَ مِنْ زَمَنٍ طَوِيلٍ ، وَوَضَعْتُ  
هَذِهِ الْخُطَّةَ : أَنْ أَتَطَّلَعَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى وَجْهِكَ وَأَنْ أَنْتَقِمَ مِنْ  
هِنْدَلِي ، ثُمَّ أَقْتُلَ نَفْسِي . وَلَكِنَّ الطَّرِيقَةَ الَّتِي قُمْتُ بِهَا بِتَحِيَّتِي  
جَعَلْتَنِي أَطْرَحُ هَذِهِ الْأَفْكَارَ جَانِباً . أَنْتِ لَنْ تَدْفَعِي بِي إِلَى الْهَرُوبِ  
بَعِيداً مَرَّةً أُخْرَى . لَقَدْ كُنْتُ أَخْوَضُ فِي صِرَاعٍ مَرِيرٍ ضِدَّ حَيَاةِ  
قَاسِيَةٍ صَعْبَةٍ مُنْذُ آخِرِ مَرَّةٍ سَمِعْتُ فِيهَا صَوْتَكَ . »

ظَلَّ هَيْشَكَلِيفُ فِي مَجْلِسِهِ هَذَا حَوَالِي سَاعَةٍ ، وَحِينَ غَادَرَ  
الْمَكَانَ سَأَلَتْهُ عَمَّا إِذَا كَانَ مُتَوَجِّهاً إِلَى جَمْرَتُونَ .

أَجَابَ : « لَا ، فَأَنَا مُتَوَجِّهُ إِلَى مُرْتَفَعَاتٍ وَذُرْنِغٍ ، وَلَقَدْ طَلَبَ مِنِّي  
السَّيِّدُ إِيرِنْشُو ، حِينَ زُرْتَهُ هَذَا الصَّبَاحَ ، أَنْ أَظِلَّ هُنَاكَ . »

طَلَبَ مِنْهُ هِنْدَلِي إِيرِنْشُو ! وَقَدْ زَارَ هِنْدَلِي إِيرِنْشُو عَدُوَّهُ الْبَلْدُودَ !  
إِنَّنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَحُلَّ هَذَا اللَّغْزَ ، وَلَكِنَّنِي عَلِمْتُ فِيمَا بَعْدُ أَنَّهُ  
ذَهَبَ لِمُرْتَفَعَاتٍ وَذُرْنِغٍ لِيَتَقَصَّى عَنْ أَخْبَارِ كَاثِرِينَ ، وَكَانَ هِنْدَلِي  
يَلْعَبُ الْوَرَقَ مَعَ بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ ، وَطَلَبَ إِلَى هَيْشَكَلِيفَ أَنْ يَشْتَرِكَ  
مَعَهُمْ ، وَخَسِرَ هِنْدَلِي بَعْضَ الْمَالِ مَعَ هَيْشَكَلِيفَ ، فَطَلَبَ مِنْهُ  
هِنْدَلِي أَنْ يَعُودَ مَسَاءً لِيُوَاصِلَا اللَّعِبَ .

دَفَعَتْ هَذِهِ الْأَحْدَاثُ هَيْشَكَلِيفَ إِلَى أَنْ يُفَكِّرَ فِي الْبَحْثِ عَنْ  
مَسْكَنِ فِي مُرْتَفَعَاتٍ وَذُرْنِغٍ ، حَتَّى يَكُونَ - كَمَا قَالَ - قَرِيباً مِنْ  
كَاثِرِينَ ، رَغْمَ أَنَّهُ كَانَ ثَمَّ سَبَبٌ آخَرُ وَرَاءَ بَحْثِهِ عَنْ سَكَنِ . لَقَدْ  
عَرَّضَ أَنْ يَدْفَعَ مَبْلَغاً كَبِيراً مِنَ الْمَالِ ، وَوَافَقَ - بِشَغَفٍ - هِنْدَلِي  
الَّذِي كَانَ يُحِبُّ الْمَالَ . وَيَبْدُو أَنَّ هَيْشَكَلِيفَ كَانَ يَمْتَلِكُ الْكَثِيرَ مِنَ  
الْمَالِ ، وَلَكِنَّنَا لَمْ نَسْتَطِعْ أَنْ نَكْتَشِفَ كَيْفَ جَمَعَهُ ، أَوْ كَيْفَ حَوَّلَ  
نَفْسَهُ مِنْ مُجَرَّدِ صَبِيٍّ فِي مِزْرَعَةٍ إِلَى سَيِّدٍ .



لَا حَظَّنَا عَلَيْهَا تَغْيِيرَ أَحْوَالِهَا تَمَامًا ، وَبَدَأَتْ شَهِيَّتَهَا لِلطَّعَامِ تَقِلُّ ،  
وَبَدَتْ نَحِيلَةً وَذَائِلَةً ، وَكَانَتْ دَائِمًا نَعَسَةً وَذَاتَ مِزَاجٍ سَيِّئٍ . وَأَخِيرًا  
قَالَتْ كَاثِرِينَ إِنَّهَا سَتَطْلُبُ لَهَا الطَّبِيبَ .

وَلَكِنَّ إِيزَابِيلَا صَرَخَتْ : « أَنَا فِي تَمَامِ الصَّحَّةِ ، وَلَيْسَ ثَمَّ مِنْ  
شَاغِلٍ يُقْلِقُ بَالِي سِوَى أَنَّنِي لَا أَحْظِي بِعَطْفِكُمْ . »

قَالَتْ كَاثِرِينَ وَقَدْ اعْتَرَتْهَا دَهْشَةٌ كَبِيرَةٌ : « هَلْ تَحْسَبِينَني أَنَا غَيْرَ  
عَطُوفٍ ؟ وَمَتَى كُنْتُ غَيْرَ عَطُوفٍ ؟ »

« أَمْسِ ، حِينَ كُنَّا نَتَحَدَّثُ مَعَ السَّيِّدِ هِيثْكَلِيفِ ، طَلَبْتَ مِنِّي  
أَنْ أَذْهَبَ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ ، عَلَى حِينَ أَخَذْتُمْ تَتَحَدَّثُونَ مَعَهُ . »

صَرَخَتْ كَاثِرِينَ : « مَا هَذَا ؟ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَعْنِي أَنَّكَ تُحِبِّينَ  
هِيثْكَلِيفَ ! »

« إِنِّي أَحِبُّهُ ! أَحِبُّهُ أَكْثَرَ مِنْ حُبِّكَ لِإِدْغَارِ ، وَهُوَ يُمَكِّنُ أَنْ يُحِبَّنِي  
لَوْ أَنَّكَ أَتَحْتِ لَهُ الْقُرْصَةَ . »

« لَا شَكَّ فِي أَنَّكَ مَجْنُونَةٌ ! أَنْتِ لَا تَعْرِفِينَ شَيْئًا عَنْ هِيثْكَلِيفِ ،  
وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تُدْرِكِي أَنَّهُ شَرٌّ لَا يَرْحَمُ وَلَا يَرَأْفُ . هُوَ رَجُلٌ  
كَالذَّبِّ وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُحِبَّ فَتَاةً مِنْ عَائِلَةِ لَنْتُونِ ، وَلَكِنَّهُ يُمَكِّنُ أَنْ

## الفصل الثامن

كُنْتُ أُحْتَرِّقُ فِي أَعْمَاقِ نَفْسِي شُعُورًا بِأَنْ عَوْدَةَ هِيثْكَلِيفِ سَوْفَ  
تَكُونُ سَبَبًا فِي إِثَارَةٍ قَلِيلٍ كُبْرَى . وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ دَلَائِلُ  
عَلَيْهَا ؛ فَقَدْ كَانَ هِيثْكَلِيفُ حَرِيصًا عَلَى أَلَّا يَزُورَ ثَرْشُكْرُوسَ غِرَاجِ  
كَثِيرًا . وَبَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ كَانَتْ كَاثِرِينَ حَرِيصَةً عَلَى أَلَّا تَظْهَرَ  
اهْتِمَامًا كَبِيرًا بِزِيَارَتِهِ ، وَسَمَحَ إِدْغَارُ بِتِلْكَ الزِّيَارَاتِ دُونَ أَنْ يَظْهَرَ  
أَيُّ قَلْقٍ .

وَلَكِنَّ الْمُتَاعِبَ جَاءَتْ مِنْ مَصْدَرٍ مُخْتَلِفٍ ؛ فَقَدْ حَدَثَ شَيْءٌ  
لَمْ يَكُنْ فِي حُسْبَانِ أَحَدٍ مِنَّا ؛ إِذْ وَقَعَتْ إِيزَابِيلَا لَنْتُونِ فِي حُبِّ  
هِيثْكَلِيفِ .

كَانَتْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي الثَّامِنَةِ عَشْرَةِ مِنْ عُمْرِهَا ، وَلَمَّا نَزَلَ  
كَالْطُّفْلُ فِي تَصَرُّفَاتِهَا ؛ فَبَعْدَ بَضْعَةِ أَسَابِيعَ مِنْ عَوْدَةِ هِيثْكَلِيفِ



يَتَزَوَّجَكَ مِنْ أَجْلِ نَقُودِكَ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَدْمُرُكَ !

« أَنْتِ كَاذِبَةٌ آيَّتُهَا الْمَخْلُوقَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ ! إِنَّكَ تُرِيدِينَ فَقْطُ أَنْ تُبْقِيَهُ  
لِنَفْسِكَ ! »

رَفَضَتْ كَاثَرِينَ أَنْ تَمْضِيَ فِي الْحَدِيثِ ، وَلَكِنَّهَا غَضِبَتْ تَمَامًا  
مِنْ إِيْزَابِيلَا . وَفِي عَصْرِ الْيَوْمِ التَّالِي تَوَصَّلَتْ إِلَى طَرِيقَةِ لِمُعَاقِبَتِهَا .  
كَانَتِ الْفَتَاتَانِ جَالِسَتَيْنِ فِي الْمَكْتَبَةِ دُونَ أَنْ تَنْبَسَ أَيُّ مِنْهُمَا  
بِكَلِمَةٍ ، وَقَفَّاءَ دَخَلَ هَيْشَكْلِيْف .

صَاحَتْ كَاثَرِينَ وَهِيَ مُشْرِقَةُ الْوَجْهِ : « تَفَضَّلْ بِالدُّخُولِ ؛ فَأَنْتِ  
الشَّخْصُ الْمَطْلُوبُ ، يَا هَيْشَكْلِيْف . إِنِّي لَفَخُورَةٌ أَنْ أَقَابِلَكَ بِإِنْسَانَةٍ  
تُحِبُّكَ أَكْثَرَ مِنِّي . » ، وَأَمْسَكَتْ بِذِرَاعِ إِيْزَابِيلَا قَائِلَةً : « إِنَّ إِيْزَابِيلَا  
الصَّغِيرَةَ الْمِسْكِينَةَ يَكَادُ قَلْبُهَا يَنْفَطِرُ بِحُبِّكَ ! إِنَّهَا لَمْ تَأْكُلْ شَيْئًا مِنْذُ  
يَوْمَيْنِ حِينَ تَرَبَّضْنَا مَعًا وَأَبْعَدْتِكَ عَنْهَا . »

وَكَانَتْ إِيْزَابِيلَا تُحَاوِلُ الْهُرُوبَ ، وَلَكِنْ كَاثَرِينَ أَحْكَمَتْ قَبْضَتَهَا  
عَلَيْهَا .

قَالَ هَيْشَكْلِيْف : « إِنِّي أَدْرِكُ الْآنَ أَنَّهَا لَا تُرِيدُ صَحْبَتِي . » ثُمَّ  
حَمَلَهُ إِلَيْهَا كَمَا يُحْمَلُ الْمَرْءُ إِلَى حَشْرَةٍ كَرِيهَةٍ ؛ فَاصْفَرَّ وَجْهُهُ

إِيْزَابِيلَا الْمِسْكِينَةُ ثُمَّ شَرِقَ خَجَلًا ، وَأَخِيرًا أَقْلَحَتْ فِي الْإِفْلَاتِ مِنْ  
كَاثَرِينَ ، ثُمَّ خَرَجَتْ تَعْدُو مِنَ الْغُرْفَةِ .

اسْتَدَارَ هَيْشَكْلِيْفُ إِلَى كَاثَرِينَ قَائِلًا : « لَمْ تَنْطَقِي بِالْحَقِّ ، أَلَيْسَ  
كَذَلِكَ ؟ »

« بَلَى ، كُنْتُ أَنْطِقُ بِالْحَقِّ . يُمَكِّنُكَ أَنْ تَتَزَوَّجَهَا وَتَصْبَحَ أَخًا  
لِدَغَارَ ، وَلَكِنْ أَرْجُو أَلَّا تَفَكَّرَ فِي هَذَا الْأَمْرِ ؛ فَإِنِّي أَحِبُّهَا حُبًّا جَمًّا  
يَجْعَلُنِي أَلْتَزِمُ بِأَنْ أَبْعِدَكَ عَنْهَا حَتَّى لَا تَلْتَهُمَا . »

« وَأَنَا مِنْ جَانِبِي أَحِبُّهَا قَلِيلًا مِمَّا يَجْعَلُنِي لَا أَحَاوِلُ أَنْ أُتَزَوَّجَهَا ،  
فَلَوْ أَنَّنِي عِشْتُ وَحِيدًا مَعَ ذَلِكَ الْوَجْهِ الَّذِي يَخْلُو مِنْ أَيِّ تَعْبِيرٍ ،  
لَكُنْتُ سَبِيًّا فِي مُضَايِقَاتِ سَخِيفَةٍ لَهُ ، وَسَاحُولُ هَاتَيْنِ الْعَيْنَيْنِ  
الزَّرْقَاوَيْنِ إِلَى سَوْدَاوَيْنِ ؛ فَهُمَا يُشْبِهَانِ بِصُورَةِ كَرِيهَةٍ عَيْنِي دَغَارَ . »  
وَمَرَّتْ فِتْرَةٌ صَمَتٍ ، أَعَقَبَهَا هَيْشَكْلِيْفُ بِقَوْلِهِ : « إِنَّهَا وَرِثَةٌ  
لأَخِيهَا ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

« بَلَى ، فِي الْوَقْتِ الْحَالِيِّ . وَإِذَا لَمْ يَكُنْ لِدَغَارِ ابْنٌ ، فَبَعْدَ  
مَوْتِهِ سَتَرِثُ أُخْتَهُ ثَرْشَكْرُوسَ غَرَانِجَ . وَلَكِنْ أَمَلُ أَنْ يَكُونَ لِي ابْنٌ  
وَعِنْدَئِذٍ سَيَكُونُ هُوَ الْوَرِثَ ! أَرْجُو أَنْ تَنْسِيَ إِيْزَابِيلَا ! »



وَلَمْ يَتَحَدَّثَا عَنْهَا بَعْدَ ذَلِكَ ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُ هَيْشَكْلَيْفَ يَتَسَمَّى  
لِنَفْسِهِ حِينَ كَانَتْ كَاثَرِينَ غَافِلَةً عَنْهُ ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ كَانَ يُفَكِّرُ فِي  
إِيزَابِيلَا .

لَمْ أَكُنْ أَتَقُ بِهَيْشَكْلَيْفَ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَكَانَ وَجُودُهُ فِي  
مَرْتَفَعَاتِ وَدُرْنِغٍ غَرِيبًا وَمَصْدَرِ إِزْعَاجٍ . وَسَاوَرَنِي شَكٌّ فِي أَنَّهُ يُضْمِرُ  
هَدَفًا خَفِيًّا سَرِيرًا .

وَكُنْتُ قَدْ قَابَلْتُ جُوزَيْفَ فِي جَمْرَتُونَ قَبْلَ أَيَّامٍ قَلِيلٍ ، وَكَانَ  
قَدْ أَخْبَرَنِي أَنَّ تَصَرُّفَاتِ هِنْدَلِي قَدْ أَصْبَحَتْ أَسْوَأَ مِنْ ذِي قَبْلٍ ، مُنْذُ  
حُضُورِ هَيْشَكْلَيْفَ . وَكَانَا يَلْعَبَانِ الْوَرَقَ كُلَّ مَسَاءٍ ، وَكَانَ هِنْدَلِي  
يَخْسِرُ نَقُودًا مَعَ هَيْشَكْلَيْفَ ، فَاسْتَدَانَ مُقَابِلَ رَهْنِ أَرْضِهِ ، وَكَانَ  
عَلَيْهِ أَنْ يَسَدِّدَ دَيْنَهُ وَالْأَخْسَرُ أَرْضَهُ .

وَأَزَعَجَتْنِي أَنَا أَيْضًا قِصَّةُ جُوزَيْفَ عَنِ الصَّبِيِّ الصَّغِيرِ هِيرْتُونَ ،  
فَقَدْ رَوَّضَ هَيْشَكْلَيْفَ الصَّبِيَّ عَلَى كَرَاهِيَةِ وَالِدِهِ وَسَبِّهِ . وَكَانَ  
هِيرْتُونَ - وَبِالْغَرَابَةِ ! - مُغْرَمًا بِهَيْشَكْلَيْفَ ، وَكَانَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُهُ  
مِنْهُ . وَهَكَذَا فِي أَسَابِيحِ قَلَائِلَ اسْتَطَاعَ هَيْشَكْلَيْفَ أَنْ يُسَيِّطَرَ عَلَى  
عَدُوِّهِ وَابْنِهِ ، فَمَا الَّذِي كَانَ يُخَطِّطُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ ؟

## الفصل التاسع

حِينَ زَارَ هَيْشَكْلَيْفَ الْمَنْزِلَ مَرَّةً أُخْرَى ، كَانَتْ إِيزَابِيلَا وَقَّتْهَا تَطْعِمُ  
بَعْضَ الْعَصَافِيرِ فِي فِنَاءِ الْمَنْزِلِ ، وَذَهَبَ نَحْوَهَا وَأَخَذَ يَتَوَدَّدُ إِلَيْهَا ،  
وَلَمْ يَلْحَظْنِي حَيْثُ كُنْتُ أَطْلُ عَلَيْهِمَا مِنْ نَافِذَةِ الْمَطْبَخِ ، وَلَمْ  
يَلْحَظْ كَاثَرِينَ الَّتِي أَتَتْ خَلْفِي . وَرَأَيْنَا إِيزَابِيلَا تَتَرَجَّعُ وَتَجْرِي فِي  
الْحَدِيقَةِ .

صَاحَتْ كَاثَرِينَ حِينَ دَخَلَ هَيْشَكْلَيْفَ الْمَطْبَخَ : « لَقَدْ أَخْبَرْتُكَ ،  
يَا هَيْشَكْلَيْفَ ، أَنْ تَتْرَكَ إِيزَابِيلَا وَشَأْنَهَا ! »

أَجَابَ غَاضِبًا : « مَاذَا يُهْمُّكَ فِي الْأَمْرِ ؟ مِنْ حَقِّي أَنْ أَتَوَدَّدَ  
إِلَيْهَا ، وَلَيْسَ مِنْ حَقِّكَ أَنْ تَعْتَرِضَنِي ، فَلَسْتُ زَوْجَكَ ! »

وَوَقَّفَ يَتَأَمَّلُ نَارَ الْمَطْبَخِ ، ثُمَّ قَالَ : « أُرِيدُ أَنْ أَسِرَّ لَكَ  
بِشْيَءٍ ، يَا كَاثَرِينَ ، لَقَدْ عَامَلْتَنِي بِقَسْوَةٍ صَارِخَةٍ ؛ فَهَلْ تَظُنِّينَ أَنِّي



لا أدرك ذلك ؟ وهل تظنين أنني سأعاني من تلك المعاملة دون  
الأخذ بثأري ؟ إذا كنت تظنين ذلك فإنك واهمة !»

صاحت كاثرين وهي جده مذهولة : « كيف عاملتك بقسوة ؟  
وكيف ستأثر ؟ »

أجاب هيثكليف : « لا أريد أن أثار منك ، فليست هذه خطي ؛  
فالخادم لا يتقلب على سيده ، ولكن يحطم من دونه مرتبة .  
ويمكنك أن تقتليني بقسوتك إذا كان ذلك يسرك . لا أريد سوى  
أن تسمح لي أن أبعث في نفسي السرور لبعض الوقت بنفس  
الطريقة ! »

في تلك اللحظة تركتهما ، وقد حان الوقت لأتحدث إلى  
سيدي - رب البيت . وكان إدغار في حجرة الجلوس ، فأخبرته عن  
تصرفات هيثكليف نحو إيزابيلا ؛ فثار غضبا وقال لي : « استدعي  
اثنين من الخدم الأقوياء من فناء المنزل ، يا إيلين . »

كان هذان الرجلان يقفان في الممر خلفه حين دخل المطبخ ،  
وقال إدغار بهدوء موجها الكلام إلى هيثكليف : « غادر المنزل ولا  
تعد إليه أبدا ، فأنا لا أسمح لكاثرين أن يكون لها أية علاقة  
برجل ذي طبيعة شريرة مثلك ! أعرب عن وجهي في الحال ! »

حدج هيثكليف إدغار بنظرة ساخرة ، وقال : « إن حملك  
الوديع ، يا كاثرين ، يتظاهر بأنه أسد . ويؤسفني ، يا سيد لتون ، أن  
أقول لك إنك لا تستحق أن أطيح بك . »

ما كان سيدي ليريد أن يهاجم هيثكليف بنفسه ، فأشار إلي  
أن أنادي الرجلين من الممر ، ولكن حين هممت بأن أفعل  
ذلك ؛ جذبتني كاثرين إلى وراء ، وأغلقت الباب ، ثم صاحت  
في زوجها : « قاتله بنفسك ! لقد حاولت أن أعاونك ، يا إدغار ،  
وهذه هي الطريقة التي تشكرني بها ! أمل أن يضربك هيثكليف  
حتى تعتل ! »

حاول إدغار أن ينتزع المفتاح من كاثرين ، ولكنها قدفت به في  
النار . وشحب وجه إدغار ، وأضعفه الخوف والخجل ، فاستند إلى  
مقعد وعطى وجهه .

قال هيثكليف : « هذا هو المخلوق الضعيف الجبان الذي  
فضلته علي ، يا كاثرين ! لن أضربه بيدي ، بل سأركله بقدمي ! »  
وتوجه هيثكليف نحو إدغار ودفع الكرسي بقدمه ، ولكن تلك  
كانت غلطته ، فقد وقف إدغار بسرعة ووجه ضربة إلى عنق  
هيثكليف ، الذي كان مذهولا .



ظَلَّ هَيْشَكْلِيْفَ لِلْحَطَّاتِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَلْتَقِطَ أَنْفَاسَهُ ؛ وَخَرَجَ  
إِدْغَارُ أَثْنَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْبَابِ الْخَلْفِيِّ إِلَى الْفِنَاءِ وَمِنْ هُنَاكَ إِلَى  
الْوَاجِهَةِ .

صَاحَتْ كَاثَرِينَ : « أَسْرِعْ بِالْإِنْصِرَافِ ، يَا هَيْشَكْلِيْفَ ؛ فَسَيَعُودُ  
وَمَعَهُ كُلُّ الْخَدَمِ . »

« لَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ بَعْدَمَا كَالَ إِلَيَّ ضَرْبَةً كَهَذِهِ . دَعِينِي أَشْتَبِكَ  
مَعَهُ ، وَسَوْفَ أَهْشِمُهُ كَمَا أَهْشَمْتُ مَحَارَةَ فَارِغَةَ . »

تَطَلَّعَتْ مِنْ خِلَالِ النَّافِذَةِ قَائِلَةً : « إِنَّهُ لَيْسَ قَادِمًا بِنَفْسِهِ ؛ فَقَدْ  
أَرْسَلَ ثَلَاثَةَ رِجَالٍ أَشِدَّاءَ يَحْمِلُونَ هِرَاوَاتٍ . » وَلَمْ يَكُنْ هَذَا  
صَحِيحًا ؛ فَقَدْ كَانَ هُنَاكَ رِجَالٌ وَمَعَهُمْ إِدْغَارُ .

صَدَّقَنِي هَيْشَكْلِيْفُ ، وَقَرَّرَ أَلَّا يَدْخُلَ مَعْرَكَةً مَعَ الْخَدَمِ ، وَخَرَجَ  
مِنَ الْبَابِ الْخَلْفِيِّ لِحِظَةٍ دُخُولِهِمْ .

حَمَلَتْ كَاثَرِينَ إِلَيْهِمْ بِشْرَاسَةٍ ، ثُمَّ صَعِدَتْ إِلَى عُرْفَةِ الْجُلُوسِ  
وَطَلَبَتْ مِنِّْي أَنْ أَتْبِعَهَا .

صَرَخَتْ كَاثَرِينَ وَقَدْ أَلْقَتْ بِنَفْسِهَا عَلَى السَّجَّادَةِ : « إِنِّي  
أَوْشَكْتُ عَلَى الْجُنُونِ ، يَا إِلَيْنِ ! أَلْفَ مِطْرَفَةٍ تَدُقُّ رَأْسِي ! » وَأَلْقَتْ

بِنَفْسِهَا عَلَى الْأَرِيكِةِ قَائِلَةً : « أَخْبِرِي إِدْغَارَ أَنِّي أَوْشِكُ أَنْ أَسْقُطَ  
فَرِيْسَةً لِلْمَرَضِ . إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَ فِي نَفْسِهِ الْخَوْفَ . لَقَدْ  
أَرْعَجَنِي جِدًّا بِمُعَامَلَتِهِ لِهَيْشَكْلِيْفِ . أَمَلْتُ أَنْ أَسْقُطَ عَلَيْهِ ! إِذَا لَمْ  
أَسْتَطِعْ أَنْ أَحْتَفِظَ بِهِشَكْلِيْفَ صَدِيقًا فَسَوْفَ أَحْطُمُ قَلْبَيْهِمَا بِأَنْ  
أَحْطُمُ قَلْبِي . أَخْبِرِي إِدْغَارَ أَنْ يَتَذَكَّرَ طَبْعِي الْعَنِيفَ ، حَذْرِيهِ أَنَّهُ مِنَ  
الْخَطَرِ أَنْ يُزْعِجَنِي . إِلَيْهِ يَا إِيْلَيْنِ ، لِمَاذَا لَا تَقْلَقْنِي عَلَيَّ ؟ »

أَصْغَيْتُ إِلَيْهَا فِي هُدُوءٍ ، وَطَرَأَ بِبَالِي أَنَّهَا مَا دَامَتْ قَدْ اسْتَطَاعَتْ  
أَنْ تُعَدِّلَ مِزَاجَهَا بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ فَإِنَّهَا قَادِرَةٌ عَلَى أَنْ تُسَيِّطَرَ عَلَيْهِ .  
وَمِنْ ثَمَّ فَلَمْ أَبْلُغْ رِسَالَتَهَا لِإِدْغَارَ حِينَ رَأَيْتُهُ مُتَّجِهَاً إِلَى عُرْفَةِ  
الْجُلُوسِ .

قَالَ بِهُدُوءٍ : « لَمْ أَجِئْ إِلَى هُنَا ، يَا كَاثَرِينَ ، لِأَدِيرَ مَعْرَكَةً بَيْنِي  
وَبَيْنَكَ . إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ فَقَطْ مَا إِذَا كُنْتُ مُزْمَعَةً أَنْ تَسْتَمِرِّي فِي  
صِدَاقَتِكَ مَعِ ... »

صَاحَتْ مُقَاطِعَةً : « بِرَبِّكَ لَا تَتَحَدَّثُ عَنْ ذَلِكَ الْآنَ ! إِنْ دَمَكَ  
الْبَارِدَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَثَارَ بِالْغَضَبِ أَوْ بِالْحُبِّ أَيْضًا ؛ فَدَمُكَ إِنْ هُوَ إِلَّا  
مَاءٌ مُثَلَّجٌ ، وَلَكِنْ دَمِي يَغْلِي ! »

« لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تُجِيبَنِي عَنْ سُؤَالِي . اخْتَارِي بَيْنَ أَنْ تَتَخَلَّى عَنِّي



هَيْثَكْلَيْفَ أَوْ عَنِّي ؛ فَمِنْ الْمَحَالِ أَنْ تَكُونِي صَدِيقَتَهُ وَصَدِيقَتِي فِي  
الْوَقْتِ نَفْسِهِ . أَرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ كَنَّهُ اخْتِيَارِكَ .

« وَأَنَا أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَتْرَكْنِي وَحْدِي ، يَا إِدْغَارُ . أَلَا تَرَى أَنَّنِي  
لَا أَقْوَى عَلَى مُجَرَّدِ الْوُقُوفِ ؟ إِدْغَارُ لَا بُدَّ أَنْ تَتْرَكْنِي ! »

وَأَخَذَتْ تَذُقُ الْجَرَسَ حَتَّى تَحْطُمَ ، وَدَخَلَتْ بَيْطُهُ ، وَهُنَاكَ  
وَجَدَتْهَا مُسْتَلْقِيَةً وَهِيَ تَخِيطُ رَأْسَهَا فِي ذِرَاعِ الْأَرْيَكَةِ . يَا لَهُ مِنْ  
مِزَاجٍ شَرِيرٍ عَبِي ! وَقَفَ إِدْغَارُ يُحَدِّقُ إِلَيْهَا وَاعْتَرَاهُ خَوْفٌ مُفَاجِئٌ ،  
وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ أَحْضِرَ بَعْضَ الْمَاءِ ، فَاتَيْتُ بِكُوبٍ مَلِيٍّ ، وَحِينَ  
رَفَضَتْ أَنْ تَشْرَبَ الْفَيْتَةَ فِي وَجْهِهَا ، فَعَرَاها شُحُوبٌ يُشْبِهُ شُحُوبَ  
الْمَوْتِ .

قَالَ إِدْغَارُ وَهُوَ يَنْتَفِضُ : « ثُمَّ دَمَّ عَلَى شَفَتَيْهَا ! »

قُلْتُ بِحِدَّةٍ : « لَيْسَ ثُمَّ شَيْءٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ . » وَأَخْبَرْتُ إِدْغَارَ  
كَيْفَ أَنَّهَا تُخَطِّطُ لِتُبْعَثَ فِيهِ الْخَوْفُ .

وَسَمِعْتُ حَدِيثِي فَقَفَزَتْ فَجَاءَةً ، وَحَمَلَتْ فِيمَا حَوْلَهَا بِغَضَبٍ ،  
ثُمَّ انْدَفَعَتْ إِلَى خَارِجِ الْغُرْفَةِ ، فَتَبِعْتُهَا إِلَى بَابِ غُرْفَةِ نَوْمِهَا  
وَلَكِنَّهَا أَغْلَقَتْهُ دُونِي .

## الفصل العاشر

فِي الصَّبَاحِ ، بَعْدَ الْمَشَاجِرَةِ ، تَحَدَّثَ إِدْغَارُ طَوِيلًا مَعَ إِيْزَابِيلَا ،  
وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لَهَا إِنَّهَا يَجِبُ أَنْ تَنْسَى هَيْثَكْلَيْفَ ، وَحَدَّرَهَا مِنْ أَنَّهَا  
إِذَا تَزَوَّجَتْ رَجُلًا كَهَذَا فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْتَبِرَهَا أَخْتًا لَهُ ، وَلَكِنْ  
إِيْزَابِيلَا أَخَذَتْ فِي الْبُكَاءِ وَرَفَضَتْ التَّعْقِيبَ .

شَعَرْتُ فِي هَذَا الْوَقْتِ أَنَّنِي الْإِنْسَانَةُ الْوَحِيدَةُ الْعَاقِلَةُ فِي  
ثَرْشُكْرُوسِ غِرَانْغِ . وَكَانَتْ إِيْزَابِيلَا تَقْضِي أَيَّامَهَا فِي التَّجَوُّلِ حَوْلَ  
الْحَدِيقَةِ ، وَهِيَ غَارِقَةٌ دَائِمًا فِي دُمُوعِهَا . وَكَانَ إِدْغَارُ يَجْلِسُ وَحْدَهُ  
فِي الْمَكْتَبَةِ ، وَسَاوَرَنِي الظَّنُّ أَنَّهُ كَانَ يَأْمُلُ أَنْ تَأْتِيَ كَاثَرِينُ وَتَطْلُبَ  
صَفْحَهُ ، وَلَكِنْ كَاثَرِينُ ظَلَّتْ فِي غُرْفَتِهَا بِلا طَعَامٍ ، وَكَانَتْ تَقْصِدُ  
بِهَذَا عِقَابَ إِدْغَارِ وَنَفْسِهَا مَعًا .

فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَتَحَتِ الْبَابَ وَطَلَبَتْ بَعْضَ الطَّعَامِ ، وَكَانَ



وَجْهَهَا قَدْ تَغَيَّرَ بِدَرَجَةٍ خَطِيرَةٍ ، وَكَانَتْ هَيْئَتُهَا غَرِيبَةً وَجَامِحَةً .

تَسَاءَلْتُ : « لِمَ لَمْ يَحْضُرْ إِدْغَارُ ؟ أَلَا يَبْعَا بِأَنِّي فِي حَالَةٍ صَحِيَّةٍ سَيِّئَةٍ ؟ مَاذَا يَصْنَعُ الْآنَ ، يَا إِلَيْنِ ؟ »

قُلْتُ : « إِنَّهُ يَقْضِي وَقْتَهُ بَيْنَ كُتْبِهِ ، وَلَيْسَ ثَمَّ شَيْءٌ يَجْعَلُهُ يَظُنُّ أَنَّكَ مَرِيضَةٌ . » وَمَا كُنْتُ لِأَتَحَدَّثَ بِتِلْكَ الصُّورَةِ لَوْ أَنَّي كُنْتُ أَعْرِفُ حَقِيقَةَ حَالَتِهَا ، فَقَدْ كَانَ لَا يَزَالُ يُسَاوِرُنِي الشُّكُّ بِأَنَّهَا تَتَصَنَّعُ .

صَاحَتْ : « يَا إِلَهِي ! بَيْنَ كُتْبِهِ وَأَنَا أَمُوتُ ! هَلْ يَعْلَمُ كَيْفَ تَغَيَّرْتُ ؟ يُخَيِّلُ لِي أَنَّهُ يَظُنُّ أَنَّي أَلْهُو ، وَلَكِنَّنِي حَقِيقَةً مَرِيضَةٌ وَإِنْ تَكُنْ حَقِيقَةً مَرَّةً . كَانَ عَلَيْهِ أَلَا يَتَكَلَّمَ مَعِي بِتِلْكَ الصُّورَةِ . أَذْكَرُ ، يَا إِلَيْنِ ، أَنَّنِي ظَلَلْتُ أَعْدُو هَرَبًا مِنْهُ إِلَى هَذِهِ الْغُرْفَةِ ، وَأَقْفَلْتُ بَابَهَا ، ثُمَّ عَشَيْتَنِي ظُلْمَةً وَسَقَطْتُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَحِينَ فَتَحْتُ عَيْنِي مَرَّةً أُخْرَى وَجَدْتَنِي أَرْقُدُ وَرَأْسِي يَسْتَنِدُ إِلَى سَاقِ الْمِنْضَدَةِ . وَظَنَنْتُ نَفْسِي فِي فِرَاشِي الْخَشِنِ الْقَدِيمِ فِي الْمَنْزِلِ - فِي مَرْتَفَعَاتٍ وَذُرْنَعٍ . إِيهِ ! كَمْ أَوَدُّ لَوْ أَنَّي رَجَعْتُ فِتَاءً طَائِشَةً ، وَفَتِيَّةً وَحَرَّةً مَرَّةً أُخْرَى ! كَمْ أَرِيدُ أَنْ أَسْتَشْقِ هَوَاءَ التَّلَالِ الطَّلَقِ ! أَسْرِعِي ! افْتَحِي النَّافِذَةَ ! لِمَاذَا لَا تَتَحَرَّكِينَ ؟ »

« لِأَنِّي لَا أَرِيدُ أَنْ تَمُوتَ مِنَ الْبَرْدِ . »

« أَنْتِ تَقْصِدِينَ أَنَّكَ لَا تُعْطِينَنِي فُرْصَةً لِلْحَيَاةِ ! حَسَنًا ، سَوْفَ أَفْتَحُ النَّافِذَةَ بِنَفْسِي . »

وَقَبِلَ أَنْ أَمْنَعَهَا مِنْ فَتْحِ النَّافِذَةِ ، انْزَلَقَتْ مِنْ فِرَاشِهَا وَعَبَرَتْ الْغُرْفَةَ ، ثُمَّ فَتَحَتِ النَّافِذَةَ وَأَنْحَنَتْ إِلَى الْخَارِجِ غَيْرَ عَائِيَةٍ بِالْجَوِّ الْمُتَجَمِّدِ ، الَّذِي كَانَ يَخْتَرِقُ الْجِسْمَ كَالسُّكَّانِ . وَحَاوَلَتْ أَنْ أَعِيدَهَا وَلَكِنَّهَا كَانَتْ فِي هِيَاجِهَا أَقْوَى مِنِّي .

لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ قَمَرٌ ، وَكُلُّ شَيْءٍ كَانَ يَلْفُهُ الظُّلَامُ ، وَلَكِنَّهَا قَالَتْ إِنَّهَا كَانَتْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرَى أَنْوَارَ مَرْتَفَعَاتٍ وَذُرْنَعٍ .

قَالَتْ فِي شَغَفٍ : « أَنْظُرِي ، هَا هِيَ ذِي عُرْفَتِي بِالشَّمْعَةِ الْمُضِيئَةِ فِيهَا ، وَهَا هِيَ ذِي الْأَشْجَارِ تَتَمَوَّجُ أَمَامَهَا ، وَهَا هِيَ ذِي شَمْعَةٍ أُخْرَى فِي غُرْفَةِ جُوزَيْفٍ . وَهَا هُوَ ذَا جُوزَيْفٍ يَجْلِسُ إِلَى سَاعَةِ مُتَأَخِّرَةٍ ، أَلَيْسَ هُوَ ذَاكَ ؟ إِنَّهُ يَنْتَظِرُ حُضُورِي إِلَى الْمَنْزِلِ حَتَّى يَغْلِقَ الْبَوَابَ بَعْدَ دُخُولِي ، وَسَوْفَ يَظَلُّ بَعْضَ الْوَقْتِ فِي انْتِظَارِي . إِنَّهَا لِرَحَلَةٍ شَاقَّةٍ وَشَجِيَّةٍ ، وَكَثِيرًا مَا وَقَفْتُ مَعَ هَيْشَكَلَيْفَ بَيْنَ مَقَابِرِ الْمَوْتَى وَنَادِيْنَا الْأَشْيَاحِ أَنْ تَخْرُجَ لَنَا ، وَسَأَلْتُهُ عَمَّا إِذَا كَانَ يَجْرُو أَنْ يَقِفَ عَلَى قَبْرِي ، وَقُلْتُ لَهُ إِنَّهُ إِذَا اسْتَطَاعَ فَسَاحَتَفِظْ بِهِ ؛ فَأَنَا لَنْ



أَرْقَدَ هُنَاكَ وَحْدِي ، فَلَوْ أَنَّنِي كُنْتُ وَحْدِي لَدَفَنُونِي عَلَى عُمُقِ  
أَرْبَعَةِ أَمْتَارٍ ثُمَّ يُلْقُونَ بِالْقِمَامَةِ فَوْقِي . وَلَكِنِّي لَنْ يَهْدَأَ لِي بَالٌ إِلَى  
أَنْ تَكُونَ مَعِي . أَجَلٌ لَنْ يَهْدَأَ لِي بَالٌ .

لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَقْطَعَ حَبْلَ حَدِيثِهَا الْمَجْنُونِ ، وَلَكِنْ فِي تِلْكَ  
اللَّحْظَةِ انْفَتَحَ بَابُ عُرْفَةِ النَّوْمِ وَدَخَلَ إِدْغَارٌ ؛ فَلَقَدْ سَمِعَ صَوْتَيْنَا .

وَأَرْسَلْتُ صَيْحَةً وَأَنَا أَقُولُ : « إِنَّ سَيِّدَتِي الْمُسْكِينَةَ ، يَا سَيِّدِي ،  
مَرِيضَةٌ ، فَانْسَ غَضَبَكَ وَاجْعَلْهَا تَعْدُ أَدْرَاجَهَا لِلْفِرَاشِ . »

أَسْرَعَ إِلَيْنَا سَائِلًا : « هَلْ كَاثِرِينَ مَرِيضَةٌ حَقًّا ؟ كَاثِرِينَ !  
لِمَاذَا ... » ثُمَّ تَوَقَّفَ فَجَاةً ؛ فَالتَّغَيَّرَ السَّرِيعُ فِي مَظْهَرِهَا جَعَلَهُ يَقِفُ  
صَامِتًا .

قُلْتُ مُوضَّحَةً : « إِنَّهَا لَمْ تَسْمَحْ لِي بِالدُّخُولِ حَتَّى هَذَا الْمَسَاءِ ،  
وَلِذَا لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَبْلِغَكَ بِمَرَضِهَا ، وَلَكِنَّهُ مَرَضٌ غَيْرُ ذِي بَالٍ . »

قَالَ وَالْغَضَبُ بَادٍ عَلَيْهِ : « إِنَّهُ مَرَضٌ غَيْرُ ذِي بَالٍ ، أَلَيْسَ  
كَذَلِكَ ، يَا إِلَيْنِ ؟ كَانَ يَجِبُ أَنْ تَدْعِينِي مِنْ قَبْلُ ! » ثُمَّ أَخَذَ  
زَوْجَتَهُ بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَرَهُ أَوَّلَ الْأَمْرِ ، ثُمَّ أَدْرَكَتْ مَنْ هُوَ  
ذَلِكَ الَّذِي أَمْسَكَ بِهَا .

فَقَالَتْ وَهِيَ تَلْتَفِتُ غَاضِبَةً : « آه ، أَخِيرًا جِئْتُ ، يَا إِدْغَارُ لَنْتُونَ ؟  
وَلَكِنْ كَانَ عَلَيْكَ أَنْ تَجِيءَ قَبْلَ الْآنَ حِينَ كُنْتُ أُرِيدُكَ ، لَقَدْ  
جِئْتَ مُتَأَخِّرًا الْآنَ ، وَلَنْ يُمَكِّنَكَ أَنْ تَمْنَعَنِي عَنْ فِرَاشِي الضِّيقِ فِي  
فِنَاءِ الْمَقَابِرِ . سَوْفَ أَكُونُ هُنَاكَ قَبْلَ أَنْ يَنْتَهِيَ فَصْلُ الرَّبِيعِ . هُنَاكَ  
مَكَانِي ، لَيْسَ مَعَ عَائِلَةٍ لَنْتُونَ ، وَلَكِنْ فِي الْهَوَاءِ الطَّلَقِ بِحَجَرٍ  
عَلَى الْقَبْرِ ! »

« كَاثِرِينَ ، مَاذَا فَعَلْتَ ؟ أَلَمْ تَعُودِي تَهْتَمِينَ بِي ؟ هَلْ تُحَيِّينَ  
ذَلِكَ الْهَيْثَ ... »

صَاخَتْ مُقَاطِعَةً : « أَصُمْتُ ! لَا تَذْكُرْ هَذَا الْأَسْمَ ! أَنَا لَا أُرِيدُكَ  
الْآنَ ، يَا إِدْغَارُ . عُدْ إِلَى كُتُبِكَ . »

قُلْتُ : « إِنَّ ذَهْنَهَا مُشْتَّتٌ ، يَا سَيِّدِي . وَعَلَيْنَا أَلَا نُسَبِّبَ لَهَا  
الْمَزِيدَ مِنَ الْمَتَاعِبِ . »

أَجَابَ : « أَنَا لَا أُرِيدُ آيَةَ نَصِيحَةٍ مِنْكَ ، وَأَغْلَبُ الظَّنُّ أَنَّ هَذَا  
الْمَرَضَ اللَّعِينَ كَانَ بِسَبَبِ خَطْئِكَ . »

لَمْ يَخْطِرْ بِيَالِي أَنَّهُ مِنَ الْعَدَالَةِ أَنْ يُوجَّهَ لِي لَوْمْ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ ،  
فَقُلْتُ : « لَقَدْ قُمْتُ بِوَاجِبِي كَخَادِمَةٍ أَمِينَةٍ ، أَلَمْ يَكُنْ مِنْ وَاجِبِي  
أَنْ أَخْبِرَكُمْ عَنْ هَيْثُكَلَيْفٍ وَإِزَابِيلَا ؟ »



رَبِّمَا كَانَ ذَهْنُ كَاثِرِينَ مُشْتَتَا ، وَلَكِنَّهَا فَهَمَّتْ أَنِّي أَكْشِفُ  
أَسْرَارَهَا .

جَاهَدْتُ أَنْ تُفْلِتَ مِنْ ذِرَاعِي إِدْغَار ، فَأَسْرَعْتُ مِنَ الْغُرْفَةِ ،  
وَحَيْلَ لِي أَنَّهُ قَدْ حَانَ الْوَقْتُ لِنَدْعُو طَبِيبًا .

وَلَقَدْ وَجَدْتُهُ فِي الْمَنْزِلِ ، وَجَاءَ لِنَتَوَّاءِ اللَّحْظَةِ ، وَفَحَصَ كَاثِرِينَ  
وَأَخْبَرَنَا أَنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَى هُدُوءٍ تَامٍ حَتَّى تَسْتَطِيعَ أَنْ تَسْتَرِدَّ قُوَاهَا .  
وَقَالَ لِي إِنَّ الْخَطَرَ لَيْسَ خَطَرُ مَوْتٍ بَلْ خَطَرُ جُنُونٍ .

لَمْ يَكُنْ مَرَضُ كَاثِرِينَ هُوَ كُلُّ مَا أَصَابَنَا مِنْ هَمٍّ فِي تِلْكَ  
الَّيْلَةِ ، فَفِي الصَّبَاحِ اكْتَشَفْنَا أَنَّ غُرْفَةَ إِيْزَابِيلَا كَانَتْ خَالِيَةً ؛ فَقَدْ  
هَرَبَتْ مَعَ هَيْشْكَلِيف ! لَمْ يَكُنْ ثُمَّ شَكُّ فِي ذَلِكَ ، فَقَدْ رَأَاهُمَا  
بَعْضُ النَّاسِ مُسَافِرِينَ فِي مَرَكَبَةٍ ، وَهُمَا يَخْتَرِقَانِ الْقَرْيَةَ بَعْدَ  
مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ تَمَامًا .

وَلَقَدْ تَوَقَّعْتُ أَنْ يُرْسِلَ إِدْغَارُ خَادِمًا وَرَاءَهُمَا ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ،  
بَلْ قَالَ : « إِنَّهَا اخْتَارَتْ أَنْ تَهْرَبَ مَعَهُ ، وَلَنْ أَحَاوِلَ أَنْ أَمْنَعَهَا .  
وَالآنَ أَقْطَعُ عِلَاقَتِي بِهَا تَمَامًا . »

## الفصل الحادي عشر

غَاب هَيْشْكَلِيفُ وَإِيْزَابِيلَا عَنِ الْمَنْزِلِ قُرَابَةَ شَهْرَيْنِ ، وَفِي أَثْنَائِهَا  
كَانَتْ كَاثِرِينَ تَمُرُّ بِفَتْرَةٍ عَصِيْبَةٍ مِنْ مَرَضِهَا الَّذِي اشْتَدَّ عَلَيْهَا بِدَرَجَةٍ  
كَبِيرَةٍ . وَكَانَتْ رِعَايَةُ إِدْغَارِ هِيَ الَّتِي أَنْقَذَتْهَا مِنَ الْمَوْتِ ، فَقَدْ  
رَعَاهَا لَيْلَ نَهَارٍ ، وَلَكِنْ رِعَايَتُهُ لِكَاثِرِينَ وَتَعَبُهُ مَعَهَا أَوْهَنْتْ صِحَّتَهُ  
هُوَ ، وَلَكِنَّهُ حِينَ أَعْلَنَ الطَّبِيبُ أَنَّهَا قَدْ جَاوَزَتْ فَتْرَةَ الْخَطَرِ فَاضَ  
قَلْبُهُ بِالْبَهْجَةِ .

وَلَمْ يَكُنْ فَرَحًا مِنْ أَجْلِ كَاثِرِينَ فَقَطْ ، بَلْ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ  
الطِّفْلِ الَّذِي كَانَتْ تَحْمِلُهُ فِي أَحْشَائِهَا ، وَكَانَ أَمَلُنَا أَلَّا يَمُرَّ  
شَهْرَانِ آخَرَانِ إِلَّا وَيُولَدُ لِإِدْغَارَ لِنَتَوَّاءِ وَرِثَ . وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَعَادَ  
هَيْشْكَلِيفُ إِيْزَابِيلَا إِلَى مَرْتَفَعَاتِ وَذَرْنِغَ ، وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ تَلَقَّيْتُ  
خَطَابًا مِنْهَا . لَقَدْ أَصْبَحَتْ الْآنَ زَوْجَةً هَيْشْكَلِيفَ ، وَاكْتَشَفْتُ  
طَبِيعَتَهُ الْحَقِيقِيَّةَ .



وَقَدْ كَتَبْتُ فِي خِطَابِهَا تَقُولُ : « إِنِّي لَأَبْغُضُهُ وَأَخْشَاهُ كَمَا  
أَخْشَى الْأَسَدَ ، أَوْ كَمَا أَخْشَى تُعْبَانًا ضَخْمًا ، وَلَكِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ  
الْهُرُوبَ مِنْهُ ! وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَحْتَفِظَ بِي سَجِينَةً فِي مُرْتَفَعَاتٍ وَدُرْنَجٍ ،  
وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِلَ لِإِدْغَارِ الَّذِي يَعُدُّهُ السَّبَبَ فِي مَرَضٍ  
كَاثَرِينَ ، وَلِذَا فَهُوَ يُعَاقِبُنِي أَنَا بَدَلًا مِنْهُ ! وَهَنْدَلِي يَبْغُضُهُ أَيْضًا ،  
وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ فَقَدْ فِي لُجَّةِ الْوَرَقِ كُلِّ شَيْءٍ لِهَيْشْكَلِيف ! وَلَكِنَّهُ يُرِيدُ  
أَنْ يَسْتَمِرَّ فِي اللَّعِبِ . وَهَكَذَا أَصْبَحَ هَذَا الْمَخْلُوقُ الشَّرِيرُ يَسْتَحْوِذُ  
عَلَيْنَا تَحْتَ سَيْطَرَتِهِ ! أَرْجُو ، يَا إِلَيْنِ ، أَنْ تَأْتِيَ إِلَيَّ هُنَا وَتَأْتِيَ مَعَكَ  
بِخِطَابٍ مِنْ إِدْغَارِ . »

لَكِنْ إِدْغَارُ رَفَضَ أَنْ يَكْتُبَ لَهَا كَلِمَةً وَاحِدَةً . وَرَحَلَتْ إِلَى  
مُرْتَفَعَاتٍ وَدُرْنَجٍ بِقَلْبٍ مُثْقَلٍ بِالْهَمُومِ .

حِينَ وَصَلَتْ هُنَاكَ دَخَلَتْ الْمَنْزِلَ ، وَكَانَ لِلْأَسَفِ قَدْ تَغَيَّرَ ،  
وَفَارَقَتْهُ بِهِجَتُهُ . وَكَانَ قَدْرًا وَغَيْرَ مُرْتَبٍ ، وَكَانَ هَيْشْكَلِيفُ وَإِيزَابِيلَا  
فِي حُجْرَةِ الْجُلُوسِ وَحَدَّهُمَا . وَوَقَفَ هَيْشْكَلِيفُ وَحَيَانِي بِأَدَبٍ ،  
وَكَانَ مَظْهَرُهُ وَتَصَرُّفُهُ يَنْمَانُ عَنْ رَجُلٍ نَبِيلٍ حَقًّا ، وَلَكِنْ إِيزَابِيلَا بَدَتْ  
فُظَّةً ؛ فَوَجْهُهَا الْجَمِيلُ كَانَ شَاحِبًا وَحَزِينًا ، وَشَعْرُهَا تَدَلَّى فِي غَيْرِ  
نِظَامٍ عَلَى ظَهْرِهَا ، وَكَانَتْ مَلَابِسُهَا قَدِيرَةً .

وَتَقَدَّمَتْ بِشَغَفٍ لِتَحِيَّتِي ، وَمَدَّتْ يَدَهَا لِتَتَنَاوَلَ الَّذِي تَوَقَّعْتُ أَنْ

أَحْمِلُهُ مِنْ إِدْغَارِ ، وَلَكِنِّي هَزَزْتُ رَأْسِي ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَفْهَمْ مَعْنَى  
هَزَّةِ رَأْسِي ، وَهَمَسَتْ لِي بِأَنْ أَسْلَمَهَا مَا أَحْضَرْتُ مَعِي .

وَخَمَنْ هَيْشْكَلِيفُ مَا تُرِيدُ فَقَالَ : « إِذَا كَانَ لَدَيْكَ شَيْءٌ مَا  
لِإِيزَابِيلَا فَلَا دَاعِيَ لِأَنْ تَجْعَلِي هَذَا الْأَمْرَ سِرًّا ، فَلَيْسَ ثَمَّةَ أَسْرَارٍ  
بَيْنَنَا . »

أَجَبْتُ : « لَيْسَ مَعِيَ شَيْءٌ ، وَسَيِّدِي يَبْعَثُ بِتَمَنِّيَاتِهِ لَكُمْ  
بِالسَّعَادَةِ ، يَا سَيِّدَتِي ، وَلَكِنْ لَا تَتَوَقَّعِي خِطَابًا أَوْ زِيَارَةً مِنْهُ . »  
إِعْرُورُوتُ عَيْنَاهَا بِالْذُمُوعِ ، وَعَادَتْ لِمَقْعَدِهَا قُرْبَ النَّافِذَةِ .

بَدَأَ هَيْشْكَلِيفُ يَسْأَلُنِي عَنْ حَقِيقَةِ مَرَضِ كَاثَرِينَ ، وَمَنْ الَّذِي  
كَانَ السَّبَبَ فِي مَرَضِهَا ، وَلَمْ أَشَأْ أَنْ أَفِيضَ كَثِيرًا فِي الْحَدِيثِ ،  
وَأَكْمَلْتُ حَدِيثِي قَائِلَةً : « لَقَدْ أَنْقَذْتُ حَيَاتَهَا وَلَكِنْ لَنْ تَعُودَ كَمَا  
كَانَتْ . لَوْ أَنَّكَ تَهْتَمُّ بِهَا فَلَا أَفْضَلَ أَنْ تَظَلَّ بَعِيدًا عَنْهَا فِي مِثْلِ  
تِلْكَ الظُّرُوفِ . وَعَلَى أَيْةِ حَالٍ فَقَدْ اعْتَرَاهَا تَغْيِيرٌ شَامِلٌ وَلَمْ تَعُدْ نَفْسُ  
الشَّخْصِيَّةِ ، وَالْمَرْءُ لَا يَسَعُهُ الْآنَ إِلَّا أَنْ يَشْعُرَ بِالشُّفَقَةِ عَلَيْهَا ! »

صَاحَ هَيْشْكَلِيفُ بِاحْتِقَارٍ : « شَفَقَةٌ ! لَعَلَّ إِدْغَارَ يَشْعُرُ فَقَطُّ  
بِالشُّفَقَةِ عَلَيْهَا ، وَلَكِنْ مَشَاعِرِي أَنَا غَيْرُ ذَلِكَ . إِنَّ حُبَّهُ الَّذِي  
يَسْتَطِيعُ أَنْ يُكَنِّهَ عَلَى مَدَى ثَمَانِينَ عَامًا لَا يُعَادِلُ حُبِّي فِي  
يَوْمٍ وَاحِدٍ ! لَا بُدَّ أَنْ أَرَاهَا ، يَا إِلَيْنِ ! »



« ما هذا ! يبدو أنك على استعداد لأن تدمر كل الفرص لتحسن صحتها - الآن وقد نسيتك تقريباً ؟ »

« هل تظنين أنها نسيتني ؟ إيه يا إيلين ! فأنت تعلمين أنها لم تفعل ذلك ، فهي كلما فكرت في إدغار مرة واحدة فكرت في آلاف المرات . إن لكثيرين قلباً عميقاً مثل قلبي ، ففكرة أن تسكب كل الحب لإدغار مثل فكرة أن نصب بحراً في إناء صغير ! فهو بالكاد أعز عندها من كلها أو جيادها ! »

صاحت إيزابيلا فجأة : « إن كثيرين وإدغار مغرمان كل بالآخر كما يغرم أي اثنين من البشر ، ولا يحق لك أن تتحدث عن أخي بهذه الطريقة ! »

قال هيثكليف باحتقار : « إن أخاك مغرم بك أيضاً أي غرام ! ليس كذلك ؟ وهو يتوق بشكل يثير الدهشة إلى أن يتخلص منك . »

أجابت : « إنه لا يعلم شيئاً عما أعاني منه ! »

قالت : « يجب أن تعاملها برقة ، يا سيدي ؛ فقد تخلت عن عائلتها وأصدقائها وما كانت تنعم به في منزلها من أجلك . »

أجاب : « لقد تخلت عن كل هذه الأشياء تحت اعتقاد

خادع - لقد تخيلتني بطلاً في قصة ، يتدفق بالحب والعطف عليها ، وما كان يمكنها أن تعتقد أنني لا أحبها ! وقد أظهرت لها كراهيتي بكل الطرق الممكنة التي يمكن أن تفهمها ، وكنت أفكر فيها ، وبرغم قسوتي الشديدة في معاملتها ، كانت تعود إليّ مثلها . وحتى الآن لا تريد أن تتركني ، وكان يمكنها أن تهجرني لو أنها أرادت ذلك . »

صاحت إيزابيلا : « إنه يكذب ، لا تصدقي أية كلمة مما يقوله . لقد أخبرني قبل الآن أنه يمكنني أن أبتعد عنه ، ولقد حاولت أن أفعل ذلك - ولكنني لا أستطيع أن أعيد المحاولة . أرجو ، يا إيلين ، أن تعطيني بالأ تقولي لإدغار أية كلمة مما قلت لك . إن هيثكليف يقول إنه تزوجني لكي يسيطر على إدغار - ولكنني لن أدعه يفعل ذلك ، وأفضل الموت على ذلك . »

قال هيثكليف : « حسناً ، كفي عن هذا ، واصعدي إلى الدور العلوي ، يا إيزابيلا ، فأنا أريد أن أقول شيئاً لإيلين . »

ثم دفعها إلى خارج الغرفة ، وعاد وهو يتحدث إلى نفسه : « ليس بي شفقة ! ليس بي شفقة ! إنني أرى المخلوقات التعيسة تتلوى ألماً ، وكلما ازداد ألمهم ازدادت رغبة في إلحاق الأذى بهم . »



سَأَلَتْهُ : « هَلْ تَفْهَمُ مَا مَعْنَى كَلِمَةِ شَفَقَةٍ ؟ أَلَمْ تَشْعُرْ بِهَا فِي حَيَاتِكَ ؟ »

وَبَيْنَمَا أَضْعُ قُبْعَتِي عَلَى رَأْسِي تَأَهُبًا لِلخُرُوجِ ، إِذَا بِهِ يَقُولُ :  
« لَا ، يَا إِلَيْنِ ، لَا تَذْهَبِي الْآنَ . يَجِبُ أَنْ تَمُدِّي لِي يَدَ الْمُسَاعَدَةِ  
دُونَ تَوَانٍ لِكَيْ أَرَى كَاثَرِينَ . أَقْسِمُ لَكَ أَنِّي لَا أَقْصِدُ أَنْ أَثِيرَ آيَةً  
مَتَاعِبَ ، فَقَطُّ أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ مِنْهَا هِيَ كَيْفَ حَالُهَا الْآنَ . لَقَدْ  
ظَلَلْتُ اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ سِتُّ سَاعَاتٍ فِي حَدِيقَتِهَا ، وَلَسَوْفَ أَكْرُرُ  
الْمَحَاوِلَةَ هَذَا الْمَسَاءَ وَكُلَّ يَوْمٍ ، إِلَى أَنْ أَتَحِينَ فُرْصَةً لِدُخُولِ  
الْمَنْزِلِ . »

قُلْتُ : « إِنَّ لِقَاءَ آخَرِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ سَيِّدِي سَوْفَ يَقْتُلُهَا . »  
« يُمَكِّنُ تَفَادِي هَذَا ، يَا إِلَيْنِ ، بِمُسَاعَدَتِكَ . يَجِبُ أَنْ  
تُسَاعِدَنِي . لَنْ أَدْعَكَ تَعُودِينَ إِلَى الْمَنْزِلِ قَبْلَ أَنْ تَعِدَنِي  
بِالْمُسَاعَدَةِ ! »

وَرَفَضْتُ ذَلِكَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، وَلَكِنَّهُ أَجْبَرَنِي أَخِيرًا عَلَى أَنْ  
أَرْضَخَ ، وَأَعْطَانِي خِطَابًا لِكَاثَرِينَ ، وَوَعَدْتُ بِأَنْ أَسْلَمَهُ ، وَبِأَنْ  
أَسْمَحَ لَهُ بِدُخُولِ الْمَنْزِلِ ، إِذَا وَافَقَتْ ، حَالَةَ غِيَابِ سَيِّدِي .





فَالْبَرِيقُ فِي عَيْنَيْهَا قَدْ تَحَوَّلَ إِلَى حُزْنٍ ، وَبَدَتْ عَيْنَاهَا تَنْظُرَانِ إِلَى مَا  
وَرَاءَ الْأَشْيَاءِ بَعْدَ شَاسِعٍ - إِلَى عَالَمٍ وَرَاءَ عَالَمِنَا هَذَا . وَحِينَ  
لَمَحَتْ هَذِهِ النُّظْرَةَ فِي عَيْنَيْهَا تَأَكَّدَتْ أَنَّهَا تَوْشِكُ أَنْ تَمُوتَ .

كَانَ ثُمَّ كِتَابٌ مَوْضُوعٌ أَمَامَهَا ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ ،  
وَكَانَ إِدْغَارٌ قَدْ سَبَقَ أَنْ وَضَعَهُ فِي مَكَانِهِ . وَقَدْ أَمْضَى سَاعَاتٌ طَوَالاً  
لِيُشِيرَ شَفْغَهَا بِالْكِتَابِ ، الَّتِي طَالَمَا أُغْرِمَتْ بِهَا فِيمَا مَضَى .

قُلْتُ : « ثُمَّ خِطَابٌ لَكَ ، يَا سَيِّدَتِي ، عَلَيْكَ أَنْ تَقْرَيْهِ بِسُرْعَةٍ  
لَأَنَّهُ يَتَطَلَّبُ رَدًّا . هَلْ تَسْمَحِينَ لِي بِأَنْ أَقْضَهُ ؟ »

قَالَتْ وَهِيَ تَحْدَقُ عَبْرَ النَّافِذَةِ : « أَجَلٌ . »

فَقَضَضْتُهُ ، وَكَانَ خِطَابًا قَصِيرًا ، وَقُلْتُ لَهَا :

« وَالْآنَ ، فَلْتَقْرَيْهِ . »

وَتَرَكْتُهُ يَسْقُطُ مِنْ فَوْقِ رُكْبَتَيْهَا ، فَأَعَدَّتْهُ إِلَى مَكَانِهِ ، وَلَكِنَّهَا لَمْ  
تَلْتَقِطْهُ .

قُلْتُ أَخِيرًا : « إِنَّ الْخِطَابَ مِنْ هَيْشَكْلَيْف . » فَرَفَعَتِ الْخِطَابَ  
إِلَى عَيْنَيْهَا بِلَهْفَةٍ ، وَبَدَأَتْ تَقْرَأُ ، وَلَكِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَفْهَمَ مَا بِهِ .

## الفصل الثاني عشر

قَرَّرْتُ أَلَّا أَسْلَمَ كَاثَرِينَ الْخِطَابَ ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْرُجَ سَيِّدِي مِنَ  
الْمَنْزِلِ ؛ وَمِنْ ثُمَّ فَقَدْ ظَلَّ الْخِطَابُ فِي جَيْبِي لِمُدَّةٍ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ .  
وَحِينَ كَانَ هَيْشَكْلَيْفُ يَدْلِفُ إِلَى الْحَدِيقَةِ كُلِّ لَيْلَةٍ ، كُنْتُ أَعْرِفُ  
ذَلِكَ وَلَكِنِّي لَمْ أَكُنْ أَذْهَبُ إِلَيْهِ .

كَانَ الْيَوْمُ الرَّابِعُ هُوَ يَوْمَ الْأَحَدِ ، وَقَدْ ذَهَبَ إِدْغَارُ وَالْخَدَمُ إِلَى  
الْبَلَدَةِ الْمُجَاوِرَةِ لِأَدَاءِ بَعْضِ الْمَهَامِ ، وَكَانَ الْمَنْزِلُ خَالِيًا ، وَقَدْ  
تَرَكْتُ الْأَبْوَابَ مَفْتُوحَةً تَمَامًا ، وَصَعِدْتُ إِلَى غُرْفَةِ كَاثَرِينَ .

وَجَدْتُهَا جَالِسَةً كَعَادَتِهَا أَمَامَ النَّافِذَةِ الْمَفْتُوحَةِ ، وَكَانَتْ تَرْتَدِي  
ثَوْبًا أَيْبَضَ ، وَكَانَ مَظْهَرُهَا قَدْ تَغَيَّرَ تَمَامًا ، وَلَكِنَّهَا حِينَ كَانَتْ  
تَجْلِسُ فِي هُدُوءٍ كَانَتْ تَبْدُو - فِي تَغْيِيرِهَا هَذَا - فِي جَمَالٍ سَمَاوِيٍّ ؛



قُلْتُ : « إِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَرَاكَ . وَهُوَ فِي الْحَدِيقَةِ الْآنَ يَنْتَظِرُ أَنْ يَسْمَعَ  
إِجَابَتَكَ . »

بَدَأَ أَنْ هَيْشَكِلِيفَ لَمْ يَكُنْ فِي الْحَدِيقَةِ آنَ ذَاكَ ، وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ  
سَمِعْنَا وَقَعَ خُطَى فِي رَدْهَةِ الْمَنْزِلِ ، فَالْتَفَتْتُ كَاثْرِينَ صَوْبَ بَابِ  
الْعُرْفَةِ . وَفَجَاةً انْفَتَحَ الْبَابُ وَدَخَلَ هَيْشَكِلِيفُ ، وَمَشَى قُدَمَا مُتَّجِهَاً  
إِلَيْهَا .

ظَلَّ لِمُدَّةٍ خَمْسِ دَقَائِقَ لَا يَنْبَسُ بَيْنَ شَفَةِ ، وَلَمَحْتُ أَنَّهُ لَا  
يَكَادُ يَتَحَمَّلُ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِهَا . وَلَكِنْ نَظَرَةً وَاحِدَةً كَانَتْ كَافِيَةً  
لَأَنْ تُنَبِّئَهُ بِأَنَّهُا تَوْشِكُ أَنْ تَمُوتَ .

قَالَ أَخِيرًا : « آه يَا كَاثِي ! آه يَا حَيَاتِي ! كَيْفَ أَتَحَمَّلُ ؟ »

وَفَجَاةً تَمَلَّكَ الْعَضْبُ كَاثْرِينَ فَقَالَتْ : « مَاذَا تُرِيدُ الْآنَ ؟ لَقَدْ  
حَطَمْتُ قَلْبِي أَنْتَ وَإِدْغَارُ ! لَقَدْ جِئْتُمَا كِلَاكُمَا لِي بِأَحْزَانِكُمَا  
كَمَا لَوْ كُنْتُمَا تَسْتَحِقَّانِ الشَّفَقَةَ ! لَنْ أَشْفِقَ عَلَيْكُمَا ! »

جَثَا هَيْشَكِلِيفُ بِجَانِبِهَا ، وَحَاوَلَ أَنْ يَقُومَ ، وَلَكِنَّهَا أَمْسَكَتْ  
بِشَعْرِهِ وَأَبْقَتْهُ جَاثِيًا .

اسْتَأْنَفْتُ حَدِيثَهَا قَائِلَةً : « أَتَمْنَى لَوْ أَنَّنِي اسْتَطَعْتُ أَنْ أَظِلَّ

مُمْسِكَةً بِكَ إِلَى أَنْ نَمُوتَ نَحْنُ الْاِثْنَانِ ! أَنَا لَا يَهْمُنِي مَا عَانَيْتَهُ .  
وَلَمْ لَا تُعَانِي ؟ فَأَنَا أَعَانِي ! هَلْ سَتَسَانِي ؟ هَلْ سَتَكُونُ سَعِيدًا وَأَنَا  
رَاقِدَةً فِي قَبْرِي ؟ »

صَاحَ هَيْشَكِلِيفُ فِي شَرَاسَةٍ ، وَقَدْ حَرَّرَ رَأْسَهُ مِنْ يَدَيْهَا ، غَيْرَ أَنْ  
بَعْضًا مِنْ شَعْرِهِ بَقِيَ بَيْنَ أَصَابِعِهَا : « لَا تَدْفَعِينِي إِلَى جُنُونٍ مِثْلِ  
جُنُونِكَ ! »

وَمَضَى يَقُولُ : « لَا بُدَّ أَنْ يَدْخُلِكَ شَيْطَانًا جَعَلَكَ تَتَحَدَّثِينَ إِلَيَّ  
وَأَنْتِ تَوْشِكِينَ عَلَى الْمَوْتِ ! كُلُّ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَتَفَوَّهِينَ بِهَا  
سَوْفَ تُخْفَرُ فِي ذَاكَرَتِي ، وَتَظَلُّ تَنْخَرُ فِي عِظَامِي عَمِيقًا عَمِيقًا إِلَى  
الْأَبَدِ ، يَا كَاثْرِينَ . فَأَنْتِ تَعْلَمِينَ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أَتَسَاكَ . وَهَكَذَا  
بَيْنَمَا أَنْتِ تَرْقُدِينَ فِي الْقَبْرِ هَادِئَةً سَاكِئَةً سَاطِلُ أَنَا أَقَاسِي مِنْ أَجْلِكَ  
إِلَى الْأَبَدِ . »

قَالَتْ كَاثْرِينَ : « لَنْ أَنْعَمَ بِالْهُدُوءِ . » وَكَانَ قَلْبُهَا يَدُقُ دَقًّا  
عَنِيفًا ، وَظَلَّتْ لِيَضَعُ دَقَائِقَ عَاجِزَةً عَنِ الْكَلَامِ ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَتْ وَهِيَ  
أَكْثَرُ رَقَّةً : « أَنَا لَا أَتَمْنَى لَكَ أَلْمًا أَكْثَرَ مِمَّا أَقَاسِي ، يَا هَيْشَكِلِيفُ .  
كُلُّ مَا أَتَمْنَاهُ أَلَا يُفَرِّقُ الدَّهْرَ بَيْنَنَا ، وَإِذَا كَانَتْ كَلِمَاتِي تُسَبِّبُ لَكَ



أَلَمَّا بَعْدَ أَنْ نَفَرْتُ ، فَتَذَكَّرْتُ أَنِّي سَاعَانِي الْأَلَمَ نَفْسُهُ وَأَنَا فِي قَبْرِ .  
وَأَرْجُو أَنْ تَعْفُو عَنِّي ! تَعَالِ هُنَا وَاجْتُ مَرَّةً أُخْرَى .

ذَهَبَ إِلَى مَقْعِدِهَا مِنَ الْخَلْفِ وَأَنَحَنِي عَلَيْهِ ، وَلَكِنَّهُ حَجَبَ  
عَنْهَا وَجْهَهُ حَتَّى لَا تَرَاهُ ، الْأَمْرُ الَّذِي أَفْصَحَ عَنْ مَشَاعِرِهِ بِوُضُوحٍ .  
وَأَسْتَدَارَتْ هِيَ إِلَى الْخَلْفِ لِتَنْظُرَ إِلَيْهِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْمَحْ لَهَا بِذَلِكَ ،  
وَأَسْتَدَارَ وَذَهَبَ إِلَى الْمِدْفَأَةِ حَيْثُ وَقَفَ صَامِتًا مَوْلِيًا لَنَا ظَهْرَهُ .

رَاقِبَتُهُ كَاثِرِينَ بِأَمْعَانٍ ، وَبَعْدَ لَحْظَاتٍ قَالَتْ فِي حَزْنٍ : « هَا أَنْتِ  
ذِي ، يَا إِلَيْنِ ، تَرَيْنَ كَيْفَ يُحِبُّنِي ! لَا بَأْسَ ! لَيْسَ هَذَا الرَّجُلُ  
فَتَايَ هَيْكَلِي . إِنَّنِي أَحِبُّ فَتَايَ وَسَاخِذُهُ مَعِي ، فَهُوَ كَامِنٌ فِي  
رُوحِي . » وَاسْتَمَرَّتْ فِي الْحَدِيثِ : « وَرَعْمَ ذَلِكَ ، فَإِنْ مَا يُسَبِّبُ لِي  
ضَيْقًا شَدِيدًا هُوَ هَذَا السَّجْنُ الْمُحْطَمُ - جِسْمِي ، إِنَّنِي لَفِي كَرْبٍ  
شَدِيدٍ لِأَنِّي مُحَاصَرَةٌ هُنَا . أُرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ إِلَى ذَلِكَ الْعَالَمِ الرَّائِعِ ،  
وَأَنْ أَكُونَ هُنَاكَ دَائِمًا ، حَيْثُ أَرْتَفِعُ بَعِيدًا عَنْكُمْ عَالِيًا فَوْقَ  
الْجَمِيعِ . » وَرَاحَتْ تُخَاطِبُ نَفْسَهَا قَائِلَةً : « يَا عَزِيزِي هَيْكَلِي ،  
تَعَالِ إِلَيَّ . »

وَنَهَضَتْ وَهِيَ فِي هَذَا الشَّوْقِ ، وَاسْتَنَدَتْ إِلَى ذِرَاعِ مَقْعِدِ ،  
فَاسْتَدَارَ إِلَيْهَا وَاعْرُورِقَتْ عَيْنَاهُ بِالدَّمُوعِ . وَلَبِثَا هَكَذَا لَحْظَةً ، ثُمَّ

فَقَفَزَتْ كَاثِرِينَ إِلَى الْأَمَامِ فَأَمْسَكَ بِهَا قَائِلًا : « لِمَاذَا احْتَقَرْتَنِي ؟  
لِمَاذَا تَصَرَّفْتَ ضِدَّ قَلْبِكَ ، يَا كَاثِرِي ؟ لَقَدْ أَحْبَبْتَنِي فَلِمَاذَا سَمَحْتَ  
لِنَفْسِكَ بِأَنْ تَتَخَلَّى عَنِّي ؟ لَيْسَ عِنْدِي لَكَ مِنْ كَلِمَةٍ مُوَاسَاةٍ  
وَاحِدَةٍ ؛ فَأَنْتِ تَسْتَحْقِينَ ذَلِكَ ! لَقَدْ قَتَلْتَ نَفْسَكَ . أَنَا لَمْ أَحْطَمْ  
قَلْبَكَ ، فَأَنْتِ الَّتِي حَطَمْتِهِ ، وَفِي تَحْطِيمِكَ لِقَلْبِكَ حَطَمْتَ مَعَهُ  
قَلْبِي . هَلْ تَظُنِّينَ أَنَّنِي أَحِبُّ أَنْ أَعِيشَ ؟ وَآيُ حَيَاةٍ تِلْكَ الَّتِي  
أَعِيشُهَا عِنْدَمَا - آه يَا إِلَهِي ! أَتَرَعِّينَ فِي أَنْ تَعِيشِي مَعَ رُوحِكَ  
فِي الْقَبْرِ ؟ »

قَالَتْ كَاثِرِينَ بِأَكْيَافَةٍ : « كَفَى ! كَفَى ! إِذَا كُنْتُ قَدْ أَخْطَأْتُ  
فَأَنَا الْآنَ أَمُوتُ بِخَطْئِي ، وَفِي هَذَا الْكَفَايَةِ . وَأَنْتِ أَيْضًا قَدْ تَخَلَّيْتَ  
عَنِّي وَلَكِنِّي لَنْ أَلُومَكَ . إِنَّنِي أَسَامِحُكَ ، فَسَامِحْنِي أَنْتِ أَيْضًا . »

أَجَابَتْ : « مِنَ الصَّعْبِ أَنْ يَتَسَامَحَ وَيَصْفَحَ الْإِنْسَانُ ، وَأَنْ يَنْظُرَ  
إِلَى تِلْكَ الْعَيْنَيْنِ وَيَلْمِسَ هَاتَيْنِ الْيَدَيْنِ النَّحِيلَتَيْنِ . لَا تَدْعِينِي أَرِ  
الْعَيْنَيْنِ . إِنِّي لِأَصْفَحُ وَأَتَسَامَحُ فِيمَا سَبَّيْتَهُ لِي مِنْ مَتَاعِبٍ . إِنِّي  
أَحِبُّ قَاتِلَتِي - وَلَكِنْ كَيْفَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصْفَحَ عَنْ قَاتِلِكَ ؟ »

وَلَاذَ كِلَاهُمَا بِالصَّمْتِ ، وَقَدْ خَبَأَ كُلُّ وَجْهَهُ أَمَامَ الْآخَرِ ،



وَعَسَلَتْ دُمُوعُهُمَا مَا بِهِمَا . وَخِيلَ إِلَيَّ أَنَّ الْبُكَاءَ كَانَ مِنْ  
كِلَيْهِمَا ، وَبَدَأَ لِي أَنَّ هَيْثَكْلَيْفَ كَانَ يَسْتَطِيعُ الْبُكَاءَ فِي الْأَوْقَاتِ  
الْعَصِيَّةِ مِثْلَ ذَلِكَ الظَّرْفِ .

مَرَّتْ فِتْرَةٌ بَعْدَ الظُّهْرِ سَرِيعًا ، فَأَعْلَنْتُ أَنَّ سَيِّدِي فِي طَرِيقِهِ  
لِلْعُودَةِ ، فَرَأَى هَيْثَكْلَيْفَ يَلْعَنُ وَيَسْخَطُ .

وَقَبْلَ أَنْ يَمْضِيَ وَقْتُ طَوِيلٍ رَأَيْتُ الْخَدَمَ وَهُمْ يَأْخُذُونَ طَرِيقَهُمْ  
إِلَى بَابِ الْمَطْبَخِ ، وَخَلْفَهُمُ السَّيِّدُ لِنَتُونِ بِمَسَافَةٍ أَمْتَارٍ ؛ فَصَحْتُ :  
« الْآنَ قَدْ وَصَلَ هُوَ إِلَى هُنَا .. أَسْتَحْلِفُكَ بِالسَّمَاءِ أَنْ تُسْرِعَ وَلَكِنْ  
تَقَابِلَ أَحَدًا عَلَى السُّلَمِ الْأَمَامِيِّ . أَرْجُوكَ أَنْ تُسْرِعَ ! »

حَاوَلَ أَنْ يَقِفَ وَلَكِنَّهَا تَشَبَّثَتْ بِهِ بِقُوَّةٍ ، وَصَرَخَتْ بِحِدَّةٍ :  
« لَا تَذْهَبْ ، يَا هَيْثَكْلَيْفَ ! سَامُوتُ ! سَامُوتُ ! »

صَحْتُ : « هَلْ سَتَصْنَعِي إِلَى جُنُونِهَا ؟ أَمْ تَنْوِي أَنْ تُحَطِّمَهَا ؟  
إِنَّهَا لَا تَعْرِفُ مَعْنَى مَا تَقُولُ ! سَتُدَمِّرُ كُلَّنَا ! » وَأَسْرَعَ إِدْغَارُ بِالْذُّخُولِ  
إِلَى الْمَنْزِلِ .

سَقَطَتْ ذِرَاعَا كَاثَرِينَ مِنْ عُنُقِ هَيْثَكْلَيْفَ ، وَمَالَ رَأْسُهَا ، فَظَنَنْتُ  
أَنَّهَا قَدْ أَعْمِيَ عَلَيْهَا .

قَفَزَ إِدْغَارُ إِلَى هَيْثَكْلَيْفَ بِوَجْهِ غَاضِبٍ مُكْفَهَرٍ ، وَلَكِنْ  
هَيْثَكْلَيْفَ أَرْقَدَ بِسُرْعَةٍ ذَلِكَ الْجِسْمَ الَّذِي بَدَأَ وَكَأَنَّ لَا حَيَاةَ فِيهِ ،  
وَقَالَ : « سَاعِدْهَا لِتَسْتَرِدَّ أَنْفَاسَهَا أَوَّلًا ، ثُمَّ تَحَدِّثْ إِلَيَّ . » وَخَرَجَ  
إِلَى الْحَدِيقَةِ .



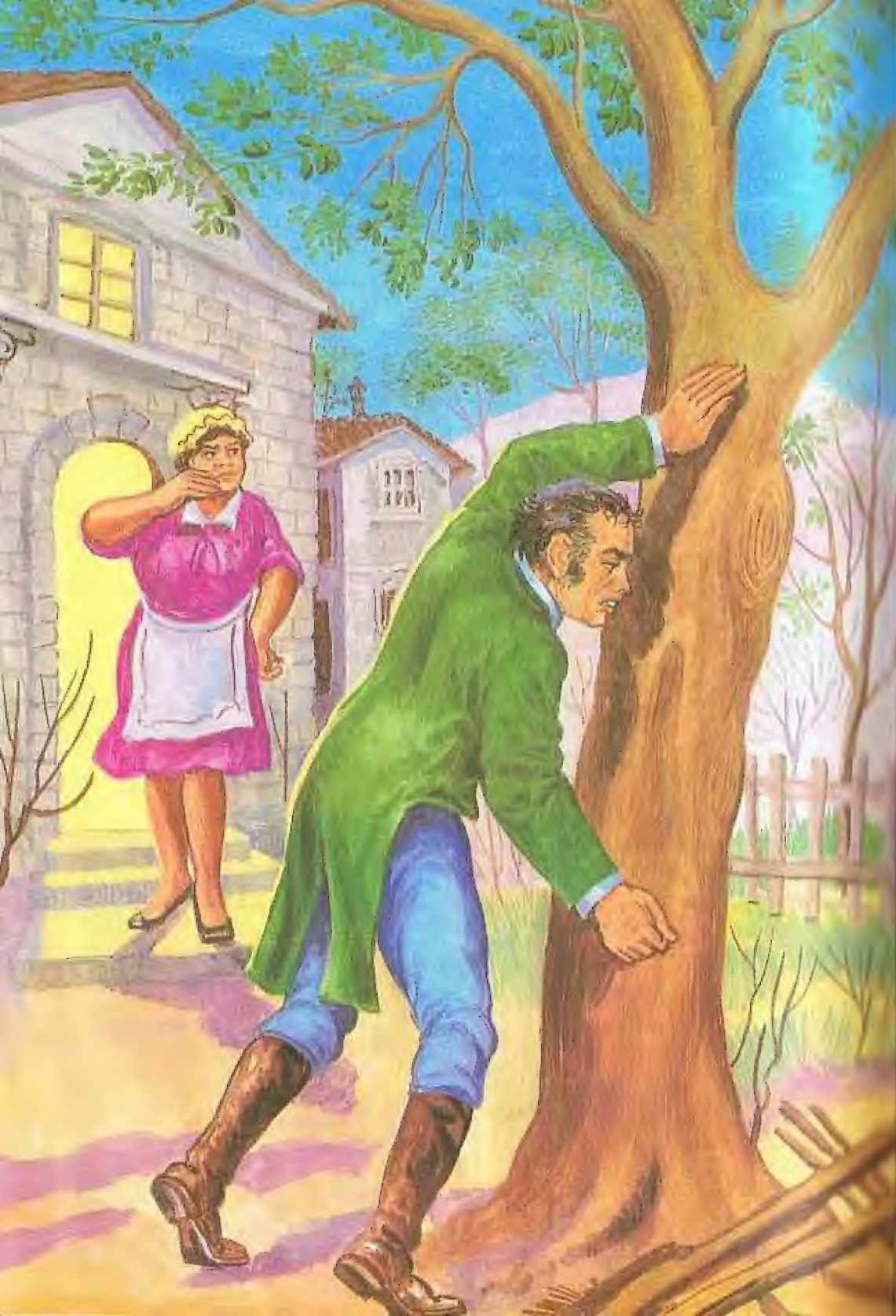
## الفصل الثالث عشر

أَنجَبَتْ كَاثِرِينَ بَنَاتًا فِي حَوَالِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ . وَكَانَتْ طِفْلَةً هَزِيلَةً بَائِسَةً ، جَاءَتْ إِلَى الْعَالَمِ قَبْلَ مِيعَادِهَا بِشَهْرَيْنِ . وَقَدْ مَاتَتْ أُمُّهَا بَعْدَ مَوْلِدِهَا بِضَعِّ سَاعَاتٍ ، وَلَمْ تَفْتَحْ عَيْنَيْهَا لِتَرَى إِدْغَارَ أَوْ لِتَوَدَّعَ هَيْشَكَلِيفَ .

وَكَانَ وَجْهُهَا فِي الْمَوْتِ تَغْطِيهِ مَسْحَةٌ مِنَ السَّلَامِ التَّامِّ ، وَقَدْ تَطَلَّعَتْ إِلَيْهَا وَهِيَ مُمَدَّدَةٌ فِي الصَّبَاحِ الْمَشْرِقِ ، فَرَأَيْتُ جَمَالًا سَمَاوِيًّا يَنْبَعِثُ مِنْ وَجْهِهَا ؛ وَعِنْدَئِذٍ شَعُرْتُ بِأَنَّ رُوحَهَا قَدْ صَعِدَتْ إِلَى بَارئِهَا .

وَكَانَ إِدْغَارُ يَرْقُدُ إِلَى جِوَارِهَا مُجْهِدًا مِنْ طَوْلِ مُعَانَاتِهِ ، وَقَرَّرْتُ أَنْ أَخْرِجَ لِأُبَحِّثَ عَنْ هَيْشَكَلِيفَ .

وَوَجَدْتُهُ فِي الْحَدِيقَةِ يَسْتَنِدُ إِلَى شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ عَجُوزٍ فِي رُكْنِ





هَادِيٍّ مِنَ الْحَدِيقَةِ ، وَحِينَ اقْتَرَبْتُ مِنْهُ شَخَصَ بَصَرِهِ إِلَيَّ قَائِلًا :

« لَقَدْ مَاتَ ، وَقَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ قُبِيلَ هَذِهِ اللَّحْظَةِ . أَبْعِدِي مِنْدِيلَكَ ، وَلَا تَبْكِي أُمَامِي ، فَإِنِّي أَلْعَنُكُمْ جَمِيعًا ! إِنَّهَا لَا تَرِيدُ دُمُوعَكُمْ . »

كُنْتُ أَذْرِفُ الدَّمْعَ لِأَجْلِهِ وَلِأَجْلِهَا ، وَنَحْنُ نُشْفِقُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ عَلَى أَنَاسٍ لَا يُشْفِقُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَا عَلَى غَيْرِهِمْ . وَرَأَيْتُ شَفْتَيْهِ تَتَحَرَّكَانِ ، فَظَنَنْتُ بِغَبَاءٍ أَنَّهُ يُصَلِّي .

أَجَبْتُ : « أَجَلْ ، قَدْ مَاتَ . »

« كَيْفَ ... ؟ » وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُكْمِلَ سُؤَالَهُ ، وَوَقَفَ يَحْدِجُنِي بِنَظَرَاتِهِ ، رَافِضًا إِشْفَاقِي عَلَيْهِ ؛ وَلَكِنَّهُ كَانَ يَنْتَفِضُ بِكُلِّ جِسْمِهِ حَتَّى أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ ، وَسَأَلَ أَخِيرًا : « كَيْفَ مَاتَ ؟ »

أَجَبْتُ : « فِي هُدُوءٍ كَالْحَمَلِ الْوَدِيعِ ، فَقَدْ أَخَذَتْ نَفْسًا عَمِيقًا كَطِفْلِ اسْتَيْقَظَ لِلتَّوْتُمِ اسْتَسْلَمَ لِلنَّوْمِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَسَمِعَتْ قَلْبَهَا - بَعْدَ خَمْسِ دَقَائِقَ - يَنْبِضُ مَرَّةً وَاحِدَةً ثُمَّ تَوَقَّفَ إِلَى الْأَبَدِ . »

سَأَلَ : « هَلْ .. هَلْ ذَكَرْتَ اسْمِي ؟ »

أَجَبْتُ : « إِنَّهَا لَمْ تَتَعَرَّفْ عَلَى أَحَدٍ مُنْذُ تَرَكْتُهَا . وَقَدْ رَقَدَتْ

وَأَبْتَسَامَةٌ عَذِيبَةٌ عَلَى شَفَتَيْهَا . وَانْتَهَتْ حَيَاتُهَا فِي حُلْمٍ جَمِيلٍ . وَآمِلْ أَنْ تَسْتَيْقِظَ فِي السَّمَاءِ بِمِثْلِ هَذِهِ الرِّقَّةِ ! »

صَاحَ بِعُنفٍ مُفَاجِئٍ : « آمِلْ أَنْ تَسْتَيْقِظَ فِي الْجَحِيمِ ! لَقَدْ خَدَعْتَنَا حَتَّى النِّهَايَةِ . فَهِيَ الْآنَ لَيْسَتْ فِي الْجَنَّةِ . أَيْنَ هِيَ ؟ لَقَدْ ذَكَرْتَ أَنَّكَ لَا تَأْبَهُينَ لِأُمَامِي ! وَأَنَا لِي طَلَبٌ فِي صَلَاتِي : أَلَا تَهْدَأُ رُوحُ كَاثَرِينَ يُرِنُشُوا مَا دُمْتُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ ! لَقَدْ قُلْتُ ذَاتَ مَرَّةٍ إِنَّنِي قَتَلْتُكَ ، فَلْتَدْعِي رُوحَكَ تَظْهَرْ لِي إِذَا ! فَلْتَكُونِي مَعِي دَائِمًا ، وَلْتَأْخُذِي أَيَّ شَكْلِ يُعْجِبُكَ . وَلْتَدْفَعِينِي إِلَى الْجُنُونِ ! فَقَطْ أَرْجُو أَلَا تَتَرَكِينِي وَحِيدًا فِي هَذَا الْعَالَمِ الْأَجُوفِ ! يَا إِلَهِي ، لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعِيشَ بِدُونِ حَيَاتِي ! لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعِيشَ بِدُونِ رُوحِي ! »

وَضَرَبَ رَأْسَهُ بِعُنفٍ فِي الشَّجَرَةِ ، ثُمَّ رَفَعَ عَيْنَيْهِ وَصَاحَ لَا كَرَجُلٍ وَلَكِنْ كَحَيَوَانٍ مُفْتَرَسٍ يُسَاقُ إِلَى الْمَوْتِ . وَقَدْ رَأَيْتُ بَقْعًا مِنْ دِمَائِهِ عَلَى الشَّجَرَةِ ، وَبَقْعًا أُخْرَى عَلَى يَدِهِ وَرَأْسِهِ ، وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ غَالِبًا مَرَاتٍ عَدِيدَةً أَثْنَاءَ اللَّيْلِ . وَبَعْدَ دَقِيقَةٍ لَاحَظَ أَنِّي أَرَاقِبُهُ ، فَأَمَرَنِي بِكُلِّ خَشُونَةٍ أَنْ أَبْتَعدَ ، فَأَنْصَعْتُ لِلْأَمْرِ .

وَلَمْ تُدْفَنْ كَاثَرِينَ مَعَ عَائِلَتِهِ لَتَتَوَّنَ ، وَلَا مَعَ عَائِلَتِهَا ، بَلْ حُفِرَ لَهَا قَبْرٌ فِي مُنَحَدَرٍ بِجَوَارِ الْأَرْضِ الْقَفْرِ الَّتِي كَانَتْ تُحِبُّهَا ، وَوُضِعَ عَلَى قَبْرِهَا حَجَرٌ يُشِيرُ إِلَيْهِ .



مُرْتَفَعَاتٍ وَذُرْنِغَ عَدَوًا . وَكَانَتْ عَلَى وَجْهِهَا بُقْعٌ دَمٍ ، وَكَانَتْ ثِيَابُهَا فِي حَالَةٍ رَثَةٍ ، وَقَدْ هَرَبَتْ مِنْ زَوْجِهَا أَثْنَاءَ عِرَاكِهِ مَعَ هِنْدَلِي ، وَيَبْدُو أَنَّ هِنْدَلِي كَانَ يُحَاوِلُ قَتْلَ هِيْشْكِليْف .

لَمْ تَبْقَ إِيْزَابِيْلَا فِي ثَرْشْكَرُوسْ غِرَانْغَ ، لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْرِفُ أَنَّ إِدْغَارَ لَا يُرْحَبُ بِتَوَاجُدِهَا هُنَاكَ . وَكَانَتْ تَخْشَى أَيْضًا أَنْ يَذْهَبَ هِيْشْكِليْفُ إِلَى هُنَاكَ فِي مُحَاوَلَةٍ لِلْعُثُورِ عَلَيْهَا . وَلَكِي تَأْمَنَ جَانِبَهُ ، كَانَ عَلَيْهَا أَنْ تَبْتَعدَ عَنْهُ ، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ تَرَكْتَ جَمْرَتُونَ إِلَى الْأَبَدِ ، وَقَدْ تَلَقَّى سَيِّدِي رَبُّ الْمَنْزِلِ أَخْبَارًا بِأَنَّهَا اسْتَقَرَّتْ فِي الْجَنُوبِ قُرْبَ لَنْدَنَ ، وَمُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ أَخَذَا بِتَرَاسِلَانِ بِالنِّظَامِ .

ظَلَّ هِيْشْكِليْفُ فِي مُرْتَفَعَاتٍ وَذُرْنِغَ مَعَ هِنْدَلِي وَهِيْرْتُونِ الصَّغِيرِ ، وَكُنْتُ أَقَابِلُهُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ فِي الْقَرْيَةِ ، وَلَكِنْ إِدْغَارُ كَانَ يُكِنُّ لَهُ كِرَاهِيَةً عَمِيقَةً ، لِذَرَجَةِ أَنَّهُ كَانَ لَا يَذْهَبُ إِلَى أَيِّ مَكَانٍ يُحْتَمَلُ أَنْ يَرَاهُ فِيهِ أَوْ يَسْمَعَ عَنْهُ . وَلِذَا وَلَحْزَنُهُ عَلَى كَاثَرِينَ فَقَدْ انْقَطَعَ إِدْغَارُ عَنْ كُلِّ الرِّفَاقِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِيُغَادِرْ مَنْزِلَهُ إِلَّا لِتَرِيضِ وَحْدَهُ فِي الْأَرْضِ الْقَفْرِ ، أَوْ لِيُزَوِّرَ قَبْرَ زَوْجَتِهِ فِي أَوْقَاتٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنَ اللَّيْلِ ، أَوْ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ حِينَ لَا يَكُونُ هُنَاكَ أَحَدٌ .

وَبِمُضِيِّ الزَّمَنِ بَدَأَتْ أَحْزَانُهُ تَقِلُّ ، وَاسْتَطَاعَ أَلَا يَطِيلَ فِتْرَةً

## الفصل الرابع عشر

تَلَقَّتْ طِفْلَةٌ كَاثَرِينَ قَلِيلًا مِنَ الرُّعَايَةِ خِلَالَ السَّاعَاتِ الْأُولَى مِنْ مِيلَادِهَا ، وَكَانَ إِدْغَارُ شَدِيدَ الْحُزَنِ لِمَوْتِ كَاثَرِينَ ؛ فَلَمْ يَكُنْ لِيُفَكِّرَ فِي طِفْلَتِهِ ، وَقَدْ أَبْقَيْتُهَا - بَادِيَّ الْأَمْرِ - بَعِيدًا عَنْهُ . كَمْ كَانَتْ هَذِهِ الطِّفْلَةُ بَائِسَةً لِكُونِهَا فَتَاةً وَلَيْسَتْ وَلَدًا ! فَلَمْ يَعُدْ لِإِدْغَارِ وَلَدٌ لِيَرِثَ مُمْتَلَكَاتِهِ ، فَسَوْفَ تَوُولُ مُمْتَلَكَاتَهُ لِأَخْتِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ وَلَيْسَ لِابْنَتِهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ يَتَمَشَّى مَعَ رَغَبَاتِ الْأَبِ لِنَتُونِ كَبِيرِ الْعَائِلَةِ .

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ لَوَفَاةِ كَاثَرِينَ ، كُنْتُ فِي عُرْفَةِ الْجُلُوسِ ، وَكَانَتْ الطِّفْلَةُ الْبَاكِئَةُ عَلَى رُكْبَتِي ، وَقَفْجَاءً انْدَقَعَتْ امْرَأَةٌ شَابَّةٌ إِلَى دَاخِلِ الْمَنْزِلِ ، لَا تَكَادُ تَقْوَى عَلَى التِّقَاطِ أَنْفَاسِهَا ، وَتَضْحَكُ بِهَسْتِيرِيَّةٍ . كَانَتْ إِيْزَابِيْلَا ، وَقَدْ أَخْبَرْتَنِي أَنَّهَا قَطَعَتْ الطَّرِيقَ مِنْ



تَعَاسَتْهُ ، فَلَمْ يَتَمَنَّ أَنْ يَظْهَرَ لَهُ شَبَحُ كَاثَرِينَ !

وَكَانَ عَزَاؤُهُ الْوَحِيدُ هُوَ ابْنَتُهُ الطُّفْلَةُ ، فَفِي بَادِي الْأَمْرِ لَمْ يَكُنْ لِيُعِيرَهَا اهْتِمَامًا ، وَلَكِنْ فَتُورُهُ سَرْعَانِ مَا تَلَا شَيْ . وَقَدْ تَحَكَّمَتْ فِي قَلْبِهِ تِلْكَ الطُّفْلَةُ الصَّغِيرَةُ قَبْلَ أَنْ تَسْتَطِيعَ النُّطْقَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَقَبْلَ أَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَخْطُو خُطْوَةً وَاحِدَةً . وَقَدْ أَسَمَاهَا كَاثَرِينَ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يُنَادِيهَا بِكَاثِي لِيَكُونَ ثَمَّ اخْتِلَافٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أُمِّهَا .

وَلَمْ تَمْضِ بَضْعَةُ أَصَابِعَ عَلَى هُرُوبِ إِيْزَابِيلَا مِنْ هَيْشَكْلِيْفَ حَتَّى وَصَلْتُنَا أَخْبَارٌ بِأَنَّهَا أَيْضًا أَنْجَبَتْ طِفْلًا ، وَكَانَ وَلَدًا ، وَقَدْ أَطْلَقَتْ عَلَيْهِ اسْمَ لَنْتُون . وَكَانَ الْوَلَدُ كَمَا قَالَتْ مُنْذُ وَلَادَتِهِ ضَعِيفَ الْبَنِيَّةِ .

سَمِعَ هَيْشَكْلِيْفَ عَنْ وَلَادَةِ ابْنِهِ ، وَاکْتَشَفَ أَيْضًا الْمَكَانَ الَّذِي تَعِيشُ فِيهِ إِيْزَابِيلَا وَلَكِنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهَا ، وَلَكِنَّهُ كَثِيرًا مَا كَانَ يَسْأَلُ عَنِ الطُّفْلِ حِينَ كَانَ يَرَانِي ؛ وَإِذْ سَمِعَ أَنَّهُ سَمِيَ لَنْتُون ، افْتَرَّتْ ثَغْرَهُ عَنِ ابْتِسَامَةِ بَاهِتَةٍ ، وَقَالَ : « إِنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ أَبْغِضَهُ أَيْضًا ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

أَجَبْتُ : « إِنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ أَنْ تَعْرِفَ شَيْئًا عَنْهُ . »

قَالَ : « وَلَكِنِّي سَأَعْرِفُ عِنْدَمَا أُرِيدُ . »

كَثِيرًا مَا طَافَ بِخَاطِرِي كَمْ يَخْتَلِفُ إِدْغَارُ عَنْ هِنْدَلِي إِيْرَتَشُو ، فَهُمَا فِي مُوَاجَهَةٍ مُشْكِلَاتٍ مُتَشَابِهَةٍ يَتَصَرَّفَانِ تَصَرُّفَاتٍ مُتَضَارِبَةٍ ، فَكِلَاهُمَا قَدْ فَقَدَ زَوْجَةً كَانَ يُحِبُّهَا حُبًّا جَمًّا ، وَكِلَاهُمَا تَرَكَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ طِفْلًا ؛ فَقَدْ هِنْدَلِي كُلُّ أَمَلٍ فِي الْحَيَاةِ ، وَلَكِنْ إِدْغَارُ أَظْهَرَ شَجَاعَةً حَقِيقِيَّةً ، فَهُوَ قَدْ وَثِقَ بِاللَّهِ وَبَعَثَ اللَّهُ فِيهِ الْعَزَاءَ وَالسَّكِينَةَ . وَيَبْدُو أَنَّ هِنْدَلِي كَانَ أَقْوَى شَخْصِيَّةً مِنْ إِدْغَارَ ، وَلَكِنَّهُ رَغِمَ ذَلِكَ كَانَ الْأَضْعَفَ تَحْمُلًا .

لَمْ يَعِشْ هِنْدَلِي ، بَعْدَ مَوْتِ أُخْتِهِ ، سِوَى سِتَّةِ شُهُورٍ ؛ وَمَاتَ وَهُوَ فِي السَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ عُمُرِهِ ، أَيَّ فِي مِثْلِ عُمْرِي .

وَبِمَوْتِهِ لَمْ تَوُلْ مُرْتَفَعَاتٌ وَذَرْنِعَ لَابْنِهِ هِيرْتُون ، وَلَكِنَّهَا آتَتْ لِهَيْشَكْلِيْفَ ؛ لِأَنَّ هِنْدَلِي كَانَ قَدْ خَسِرَ كُلَّ شَيْءٍ يَمْتَلِكُهُ فِي لَعِبِ الْوَرَقِ .

وَلَمْ يَنْلُ هِيرْتُونُ شَيْئًا ، فَأَرَادَ إِدْغَارُ أَنْ يَأْخُذَهُ لِيَعِيشَ فِي لِرَشْكُرُوسِ غِرَانِغَ ، وَلَكِنِّي حِينَ أَخْبَرْتُ هَيْشَكْلِيْفَ بِذَلِكَ ؛ ضَحِكَ ضِحْكَةً لَا تَنُمُّ عَنْ رِضًا وَقَالَ : « إِنِّي لِأَحِبُّ فِكْرَةَ تَرْبِيَةِ طِفْلٍ ؛ لِأَنَّ كُنْتُ سَتَأْخُذِينَ هَذَا الصَّغِيرَ فَسَوْفَ أُسْتَرِدُّ ابْنِي عَوَضًا عَنْهُ . »

وَمِنْ ثَمَّ لَمْ نَفْعَلْ أَيَّ شَيْءٍ إِزَاءَ هَذَا ، وَتَرَكَنَا الطُّفْلَ هِيرْتُونُ فِي



وهكذا انتقم هيثكليف لنفسه من عدوه القديم هندلي ، وقد أصبح سيد مرتفعات ودرنغ ، وأصبح ابن هندلي خادماً له . ولكن انتقام هيثكليف لم يقف عند هذا الحد ، فقد كان له عدو آخر - هو إدغار .

## الفصل الخامس عشر

كانت الاثنتا عشرة سنة التي أعقبت ذلك ، أسعد أيام حياتي ؛ حيث كنت أرقب الطفلة الصغيرة كاثي وهي تنمو لتصبح طفلة صحيحة البدن ، قوية البنية . وقد جلبت السعادة في ذلك البيت العيس . كانت جميلة حقاً ، وتتمتع بعينين مثل عيون عائلة إيرنشو الجميلة الداكنة ، وشعر عائلة لتون الأصفر . وكانت مثل أمها مريحة ، بقلب كريم يغمره الحب ، ولكنها كانت في الحقيقة تختلف عن أمها ؛ فغضبها لم يكن قط حاداً ، وحبها لم يكن عنيفاً ، وكان صوتها رقيقاً وتعبيرات وجهها تأملية ، ولكن كان لها أخطاؤها ، وأحدها إصرارها على التمسك برأيها في كل شيء .

منذ أن كانت طفلة صغيرة امتلكت زمام قلب والدها ، فكان



يَنْسَى أَحْزَانَهُ فِي ظِلِّ الْبَهْجَةِ الَّتِي كَانَ يَشْعُرُ بِهَا فِي رُقَّتِهَا .  
وَكَانَتْ هِيَ وَأَبُوهَا مُتَلَازِمَيْنِ مُعْظَمَ سَاعَاتِ الْيَوْمِ ، وَكَانَ يَعْلَمُهَا  
كُلَّ دُرُوسِهَا . وَكَانَتْ سَرِيعَةَ الْخَاطِرِ ، وَتَعَلَّمَتْ بِسُهُولَةٍ وَيَسْرٍ  
وَشَغَفٍ .

وَلَمْ تَكُنْ تَعْدَى وَحْدَهَا - إِلَى أَنْ بَلَغَتْ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ مِنْ  
عُمْرِهَا - حُدُودَ الْحَدِيقَةِ . وَكَانَ إِدْغَارُ يَصْحَبُهَا مَعَهُ لِلخَارِجِ أحيانًا ،  
وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ يَعْهَدُ بِهَا لِأَحَدٍ غَيْرِهِ . وَلَمْ تَسْمَعْ عَنْ مُرْتَفَعَاتِ  
وَذِرْنِغِ أَوْ السَّيِّدِ هَيْشَكَلِيفِ .

وَكَانَتْ تَبْدُو رَاضِيَةً عَنْ حَيَاتِهَا الْهَادِئَةِ ، وَلَكِنَّهَا أحيانًا كَانَتْ  
تَتَطَلَّعُ مِنْ نَافِذَةِ عُرْفَةِ نَوْمِهَا إِلَى التَّلَالِ الْبَعِيدَةِ ، وَتَسْأَلُ إِلَيْنِ :  
« لَيْتَنِي أَدْرِي مَا يَقُومُ عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنْ تِلْكَ التَّلَالِ ، هَلْ  
هُوَ الْبَحْرُ ؟ »

« لَا ، يَا أُنْسَةُ كَاثِي ، إِنَّهَا أَيْضًا تِلَالٌ مِثْلُ هَذِهِ . »

كَانَتْ تَهْتَمُ بِوَجْهِ خَاصٍّ بِسِلْسِلَةِ التَّلَالِ الصَّخْرِيَّةِ الَّتِي يُطْلِقُونَ  
عَلَيْهَا صُخُورَ بَنِيسْتُونِ الشَّامِخَةِ . وَكَانَتْ هَذِهِ الْمُرْتَفَعَاتُ الصَّخْرِيَّةُ  
تَبْدُو عِنْدَ الْأَصِيلِ ذَهَبِيَّةَ اللَّوْنِ ، عَلَى حِينِ كَانَتْ الْحُقُولُ أَسْفَلَهَا  
غَارِقَةً فِي ظِلَالٍ بَاهِتَةٍ .

قَالَتْ : « أَتَمَنَّى أَنْ أَقِفَ عَلَى قِمَّةِ هَذِهِ الصُّخُورِ . وَإِنِّي لِأَتَسَاءَلُ

لِمَاذَا تَبْدُو مُشْرِقَةً إِلَى وَقْتِ مُتَأَخِّرٍ حَتَّى بَعْدَ حُلُولِ الْمَسَاءِ ؟ »

« لِأَنَّهَا جِدُّ عَالِيَةٍ ، تَضْرِبُ فِي عَنَانِ السَّمَاءِ ، وَمُنْحَدِرَةٌ ، وَهِيَ  
لَا تَسْتَحِقُّ عَنَاءَ زيارَتِهَا بَأَنْفُسِنَا ، وَحَدِيقَةُ ثَرْشُكْرُوسِ غِرَانِغِ أَفْضَلُ  
مِنْهَا بِكَثِيرٍ . »

« وَلَكِنِّي أَعْرِفُ الْحَدِيقَةَ وَلَا أَعْرِفُ تِلْكَ التَّلَالِ ، وَبَسْتَطِيعُ  
حِصَانِي الصَّغِيرُ « مِينِي » أَنْ يَأْخُذَنِي إِلَيْهَا فِي يَوْمٍ مَا ، وَسَوْفَ  
أَطْلُبُ مِنْ أَبِي أَنْ يَذْهَبَ مَعِي . »

وَلَكِنْ الطَّرِيقَ إِلَى صُخُورِ بَنِيسْتُونِ كَانَ يَسِيرُ بِجَانِبِ مُرْتَفَعَاتِ  
وَذِرْنِغِ ، وَلَمْ يَكُنْ إِدْغَارُ يَتَحَمَّلُ اجْتِيَازَهَا ، وَمِنْ ثَمَّ حِينَ كَانَتْ  
كَاثِي تَسْأَلُهُ : « أَلَمْ أَكْبُرْ بِمَا يَكْفِي لَأَنْ أَذْهَبَ إِلَى صُخُورِ  
بَنِيسْتُونِ ؟ » كَانَ يُجِيبُهَا : « لَمْ يَحِنْ الْوَقْتُ بَعْدُ ، يَا حَبِيبَتِي . لَمْ  
يَحِنْ . »

تَوَفَّيْتُ إِنْزَابِيلَا هَيْشَكَلِيفَ بَعْدَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً تَقْرِيبًا مِنْ تَرْكِهَا  
لِزَوْجِهَا ، وَذَلِكَ - عَلَى مَا أَعْتَقِدُ - نَتِيجَةُ حُمَى ، وَقَدْ كَتَبْتُ  
لَأَخِيهَا إِدْغَارُ تَقُولُ لَهُ إِنَّهَا فِي طَرِيقِهَا إِلَى الْمَوْتِ ، وَتَطْلُبُ مِنْهُ فِي  
الْوَقْتِ نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَيْهَا لِتُودِعَهُ وَتُسَلِّمَهُ لِتَتَوَلَّى لِعَيْشِ فِي أَمَانٍ  
بِأَيْدِيهِ . وَكَانَ يَحْدُودُهَا الْأَمَلُ بِأَنْ يَرْفُضَ أَبُوهُ التَّكْفُلَ بِتَرْبِيَتِهِ ، وَمِنْ  
لَمْ يَتْرَكْهُ لِإِدْغَارِ .



وَأَقْبَ سَيِّدِي أَنْ يَذْهَبَ فِي الْحَالِ ، فَتَرَكَ كَاثِي فِي رِعَايَتِي مُحَذِّراً  
أَلَّا تَتَجَاوَزَ الْحَدِيقَةَ حَتَّى وَهِيَ بِصُحْبَتِي ، وَلَمْ يَكُنْ يُفَكِّرُ عَلَى  
الإِطْلَاقِ أَنَّهَا سَتَذْهَبُ وَحْدَهَا !

غَابَ سَيِّدِي عَنِ الْمَنْزِلِ ثَلَاثَةَ أَسَابِيعَ . وَفِي أَوَّلِ يَوْمٍ أَوْ فِي الْيَوْمَيْنِ  
الْأَوَّلَيْنِ كَانَتْ تَجْلِسُ فِي رُكْنٍ مِنَ الْمَكْتَبَةِ ، وَمَنْعَهَا حَزَنُهَا مِنْ  
الْقِرَاءَةِ أَوْ اللَّعِبِ ، ثُمَّ بَدَأَتْ تُسَلِّي نَفْسَهَا بِالذَّهَابِ إِلَى الْحَدِيقَةِ ،  
مُتَظَاهِرَةً بِأَنَّهَا سَائِحَةٌ فِي أَرْضٍ نَائِيَةٍ . وَكَانَتْ تَظَلُّ دَائِمًا بَعِيدَةً  
عَنِ الْمَنْزِلِ مِنْ إِفْطَارِ الصَّبَاحِ حَتَّى مَوْعِدِ شَرْبِ الشَّاي ، ثُمَّ تَقْضِي  
الْمَسَاءَ فِي سَرْدِ قِصَّةِ رِحْلَاتِهَا الْخَيَالِيَّةِ .

وَذَاتَ صَبَاحٍ جَاءَتْني وَقَالَتْ إِنَّهَا تَتَخَيَّلُ نَفْسَهَا تَاجِرَةً فِي  
طَرِيقِهَا إِلَى عُبُورِ الصَّحْرَاءِ ، وَعَلَيْ أَنْ أَزُودَهَا بِكَمِيَّةٍ مِنَ الطَّعَامِ  
لِنَفْسِهَا وَحَيَوَانَاتِهَا ، فَمَلَأَتْ لَهَا سَلَّةً مِنَ الطَّعَامِ وَأَقْلَعَتْ مَعَ  
حِصَانِهَا وَثَلَاثَةَ كِلَابٍ وَهِيَ سَعِيدَةٌ .

جَاءَ وَقْتُ تَنَاوُلِ الشَّاي ، وَلَمْ تَعُدْ كَاثِي ، وَلَكِنْ ظَهَرَ  
«رَحَالَةٌ» ، وَهُوَ أَكْبَرُ الْكِلَابِ سِنًا ، وَلَكِنْ كَاثِي وَحِصَانُهَا  
وَالْكَلْبَيْنِ الْآخَرَيْنِ لَمْ يُعْثَرْ لَهَا عَلَى أَثَرٍ فِي أَيِّ مَكَانٍ . وَأَخِيرًا  
ذَهَبْتُ أَنَا لِلْبَحْثِ عَنْهَا فَوُجِدْتُ قُرْبَ نِهَايَةِ الْحَدِيقَةِ رَجُلًا يَعْمَلُ فِي  
السُّورِ ، وَسَأَلْتُهُ عَمَّا إِذَا كَانَ قَدْ رَأَى كَاثِي .

أَجَابَ : « لَقَدْ رَأَيْتُهَا فِي هَذَا الصَّبَاحِ . وَقَدْ دَفَعْتُ حِصَانَهَا  
لِيَقْفِزَ مِنْ فَوْقِ السُّورِ ، ثُمَّ امْتَنَطَتْ صَهْوَتَهُ وَرَكَضَتْ بِهِ بَعِيدًا . »

وَأَدْرَكْتُ فِي الْحَالِ أَنَّهَا لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ قَدْ تَوَجَّهَتْ إِلَى صُخُورِ  
بَنِيَسْتُونِ ، وَأُسْرِعْتُ لِأَلْحَقَ بِهَا فِي الطَّرِيقِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى مُرْتَفَعَاتِ  
وُذْرَنْغِ . وَتَأَمَّلْتُ الْمَوْقِفَ : مَاذَا أَفْعَلُ لَوْ أَنَّهَا انْزَلَقَتْ عَلَى الصَّخْرِ  
وَانْكَسَرَتْ إِحْدَى عِظَامِهَا ؟

وَلَكِنِّي وَجَدْتُ أَحَدَ كِلَابِنَا خَارِجَ بَيْتِ السَّيِّدِ هَيْشَكْلِيْفَ يَرْقُدُ  
تَحْتَ الْجِدَارِ ، وَالْدَّمُ يَسِيلُ مِنْ أُذُنَيْهِ ، فَفَرَعْتُ الْبَابَ بِشِدَّةٍ .

فَتَحَتِ مُدِيرَةُ الْمَنْزِلِ الْبَابَ وَقَالَتْ : « آه . لَقَدْ جِئْتَنَا مِنْ قَبْلِ  
سَيِّدَتِكُمُ الصَّغِيرَةِ . إِنَّهَا هُنَا فِي أَمَانٍ . تَفْضُلِي بِالْدُّخُولِ وَخُذِي  
قِسْطًا مِنَ الرَّاحَةِ ، قُرْبَ الْبَيْتِ وَجُوزَيْفَ فِي الْخَارِجِ . »

دَخَلْتُ فَوُجِدْتُ كَاثِي تَجْلِسُ عَلَى الْمَقْعَدِ الَّذِي كَانَ فِيمَا مَضَى  
مَقْعَدَ وَالِدَتِهَا وَهِيَ طِفْلَةٌ . وَكَانَتْ قُبْعُهَا مُعَلَّقَةً عَلَى الْجِدَارِ ، وَبَدَتْ  
فِي غَايَةِ الْاطْمِئْنَانِ وَالْهُدُوءِ ، تَضْحَكُ وَتَتَحَدَّثُ إِلَى هِيرْتُونِ الَّذِي  
أَصْبَحَ الْآنَ شَابًّا يَافِعًا فِي الثَّامِنَةِ عَشْرَةِ مِنْ عُمُرِهِ . وَكَانَ يُحَدِّثُ  
الْبُهَا بِاهْتِمَامٍ ، وَلَكِنَّهُ بَدَأَ لَا يَفْهَمُ إِلَّا الْقَلِيلَ مِنَ الْمُلَاحَظَاتِ  
وَالْأَسْئَلَةِ الَّتِي تَوَالَتْ مِنْهَا .

وَقَدْ عَلِمْتُ فِيمَا بَعْدَ أَنَّهُمَا تَقَابِلَا خَارِجَ بَوَابَةِ الْبَيْتِ ، حَيْثُ



حَدَّثَتْ مَعْرَكَةً بَيْنَ كِلَابِ الْمَرْعَةِ وَكِلَابِ كَاثِي ، وَقَدْ بَدَّلَ  
أَصْحَابُ الْمَرْعَةِ جَهْدًا كَبِيرًا فِي الْفَصْلِ بَيْنَهَا . ثُمَّ دَلَّ هِيرْتُونُ  
كَاثِي عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى صُخُورِ بَنِيستون ، وَيَبْدُو أَنَّهُمَا أَصْبَحَا  
صَدِيقَيْنِ حَمِيمَيْنِ .

سَعِدْتُ حِينَ رَأَيْتُ كَاثِيًا بِخَيْرٍ ، وَلَكِنِّي أَخَفَيْتُ سَعَادَتِي هَذِهِ  
تَحْتَ وَجْهِ غَاضِبٍ .

« أَيَّتُهَا الْفَتَاةُ السَّيِّئَةُ ! لَقَدْ وَقَعْتَ فِي خَطَأٍ جَسِيمٍ ، فَمَاذَا  
سَيَقُولُ وَالِدُكَ إِذَا عَارَفَ ؟ لَنْ أَثِقَ بِكَ مَرَّةً أُخْرَى ! ضَعِي هَذِهِ الْقُبْعَةَ  
عَلَى رَأْسِكَ وَتَعَالِي مَعِيَ إِلَى الْمَنْزِلِ فِي الْحَالِ ! »

قَالَتْ بَاكِئَةً : « أَيُّ خَطَأٍ ارْتَكَبْتُ ؟ لَنْ يَغْضَبَ مِنِّي أَبِي . إِنَّهُ  
لَا يَغْضَبُ كَمَا تَغْضِبِينَ أَبَدًا ! » وَأَزَاحَتْ الْقُبْعَةَ الَّتِي كُنْتُ أَقُومُ  
بِوَضْعِهَا عَلَى رَأْسِهَا .

قُلْتُ : « حَسَنٌ ، يَا آنِسَةُ كَاثِي ! لَوْ أَنَّكَ عَلِمْتَ مِنْ صَاحِبِ  
هَذَا الْبَيْتِ فَسَيَسْعِدُكَ جِدًّا أَنْ تَخْرُجِي مِنْهُ ! »

اسْتَدَارَتْ إِلَى هِيرْتُونِ قَائِلَةً : « إِنَّهُ بَيْتُ أَبِيكَ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

أَجَابَ وَقَدْ احْمَرَّتْ وَجْهَهُ : « لَا . »

« بَيْتٌ مَنْ إِذَا ؟ هَلْ هُوَ بَيْتُ سَيِّدِكَ ؟ »

ازْدَادَ وَجْهَهُ حُمْرَةً ، وَبَدَأَ يَشْتُمُ فِي نَفْسِهِ .

الْتَفَتَتْ إِلَيَّ كَاثِي قَائِلَةً : « لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ ابْنُ  
صَاحِبِ الْمَنْزِلِ ، فَقَدْ كَانَ يَتَحَدَّثُ عَنْ « مَنْزِلِنَا » وَلَمْ يَقَعْ بِكَلِمَةٍ  
« آنِسَةُ » وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ إِذَا كَانَ خَادِمًا ، أَلَيْسَ  
كَذَلِكَ ؟ »

انْقَلَبَ وَجْهُ هِيرْتُونِ عِنْدَمَا سَمِعَ هَذَا الْكَلَامَ الصَّبِيَّانِي دَاكِئًا  
كَغَمَامَةِ عَاصِفَةٍ ، وَأَنَا لَمْ أَجِبْهَا وَلَكِنِّي هَزَزْتُهَا بِصَمْتٍ وَتَمَكَّنْتُ  
مِنْ وَضْعِ قُبْعَتِهَا عَلَى رَأْسِهَا .

قَالَتْ لِهِيرْتُونِ كَمَا لَوْ كَانَ أَحَدُ خَدَمِهَا فِي غَرَانِغَ : « وَالْآنَ  
أَحْضِرْ لِي حِصَانِي . » وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَحَرَّكْ ، فَأَعَادَتْ بِحِدَّةٍ : « مَا هَذَا ؟  
قُلْتُ أَحْضِرْ لِي حِصَانِي ! »

أَجَابَ بِفُظَاظَةٍ : « نَبَأُ لَكَ ! سَوْفَ تَكُونِينَ أَنْتِ فِي الْجَحِيمِ قَبْلَ  
أَنْ أَكُونَ أَنَا خَادِمَكَ ! »

تَسَاءَلْتُ كَاثِيًا فِي دَهْشَةٍ : « سَتَرَانِي مَاذَا ؟ »

« مَلْعُونَةٌ فِي الْجَحِيمِ ، أَيَّتُهَا الْفَتَاةُ الْوَقِحَةُ . »

قُلْتُ : « أَنْتِ تَرَيْنَ أَيَّ نَوْعٍ مِنَ الرِّفَاقِ كُنْتُ مَعَهُمْ . يَجِبُ أَنْ  
تُسْتَخْدَمَ كَلِمَاتٌ رَقِيقَةٌ لِفَتَاةٍ رَقِيقَةٍ ! تَعَالِي لِنَبْحَثِ عَنْ حِصَانِكَ  
« مِينِي » بِأَنْفُسِنَا . »



صاحت : « ولكن ، يا إيلين ، كيف تجرؤ على التحدث إلي  
بهذه الطريقة ؟ »

قالت زيلاه مديرة المنزل : « اهدئي ، يا آنسة ، فالسيد هيرتون  
ليس ابن صاحب البيت ، ولكنه ابن خالك . »

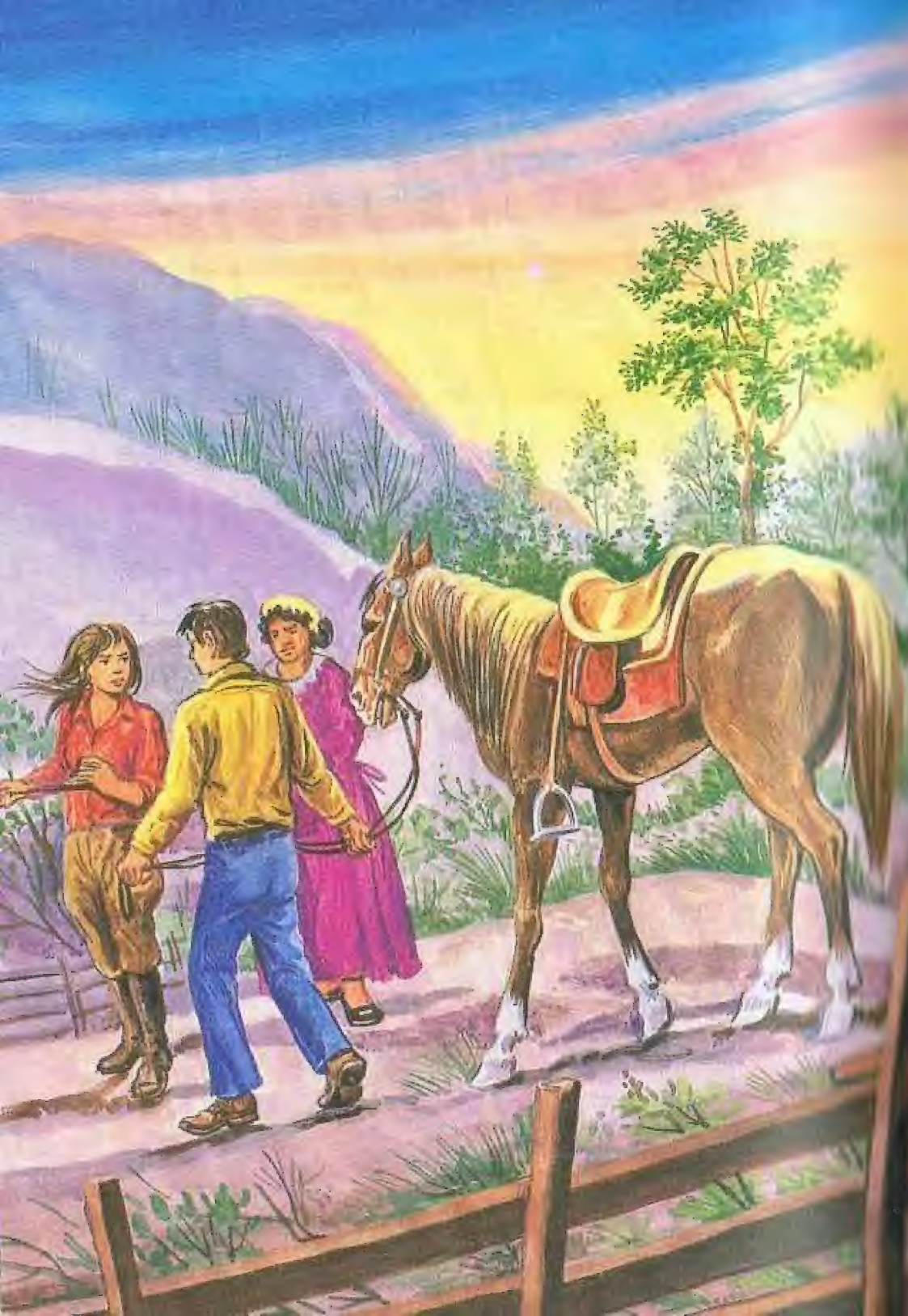
ضحكت كاثلين بخفية قائلة : « هو ابن خالي !  
« أجل . إنه ابن خالك . »

« إيه ، يا إيلين ! لا تدعيهم يقولون مثل هذا الكلام ؛ فأبي قد  
ذهب إلى لندن ليأتي بابن عمتي . فأبن عمتي هو ابن رجل  
نيل . » ثم بدأت في البكاء .

همست : « اهدئي ، فالمرء قد يكون له أبناء عم أو خال  
كثيرون ومن جميع الأنواع دون أن يكونوا سيئين بسبب ذلك . »  
صاحت باكياً وهي تعلق على هذا الأمر بصوت أكثر نشيجاً :  
« لا ، إنه ليس ابن خالي ، ليس ابن خالي ، يا إيلين . »

لاحت على هيرتون علامات الأسى إذ رأى كاثلين تبكي ،  
فأحضر لها الحصان ورحلنا إلى منزلنا في الحال .

لم أستطع أن أمنع نفسي من الابتسام لكرهيتها لهذا الإنسان





المسكين . وَكَانَ يَلْبَسُ مَلَابِسَ عَامِلٍ فِي مَزْرَعَةٍ ، وَكَذَلِكَ كَانَ يَتَحَدَّثُ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ قَوِيَّ الْبَنِيَّةِ وَسِيمًا . وَقَدْ لَمَحْتُ فِي وَجْهِهِ عِلَامَاتٍ تَدُلُّ عَلَى عَقْلِ أَفْضَلٍ وَشَخْصِيَّةٍ تَفْضُلُ شَخْصِيَّةَ وَالِدِهِ ، وَلَكِنَّ هَذَا وَذَلِكَ كَانَا يَخْتَفِيَانِ تَحْتَ سَحْنَةِ قِطْعَةٍ ، فَلَمْ يَتَعَلَّمِ الْقِرَاءَةَ أَوْ الْكِتَابَةَ وَلَا كَيْفَ وَمَا يَجِبُ أَنْ يَسْلُكَ .

وَرُحْتُ أَفَكِّرُ : كَيْفَ بَلَغَ هَيْشَكْلِيْفُ حَدًّا مِنَ الْقَسْوَةِ جَعَلَهُ رَبِّي هِيرَتُونَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ ؛ فَمَا كَانَ لِيَضْرِبَهُ . وَكَانَتْ طَبِيعَةُ الْفَتَى الَّتِي لَا تَعْرِفُ الْخَوْفَ هِيَ الَّتِي أَنْقَذَتْهُ مِنَ الضَّرْبِ . فَهَيْشَكْلِيْفُ كَانَ يُجِبُ أَنْ يَضْرِبَ النَّاسَ الَّذِينَ كَانُوا يَخْشَوْنَهُ ، وَلَكِنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الْقَسْوَةِ كَانَ أَسْوَأَ ، فَهَيْشَكْلِيْفُ بِتَرْبِيَّتِهِ الْوَلَدَ وَالنُّزُولِ بِهِ إِلَى مَرْتَبَةِ الْحَيَوَانِ ، كَانَ قَدْ أَكْمَلَ انْتِقَامَهُ مِنْ هِنْدَلِي .

## الفصل السادس عشر

وَصَلَ خِطَابٌ مِنْ إِدْغَارٍ يُبَلِّغُنَا فِيهِ بِوَفَاةِ إِيْزَابِيلَا ، وَأَنَّهُ سَوْفَ يَأْتِي بِابْنِهَا لَنْتُونِ ، فَعَمَرَتِ الْفَرَحَ وَالتَّائُرَ كَاثِي ؛ فَهِيَ هُوَ ذَا أَبُوهَا يَعُودُ إِلَيْهَا ، وَهِيَ سَوْفَ تُقَابِلُ ابْنَ عَمَّتِهَا الْحَقِيقِي .

قَالَتْ وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ الْعَرَبَةَ : « إِنَّ لَنْتُونِ يَصْغُرُنِي بِسِتَّةِ شُهُورٍ . وَكَمْ جَمِيلٌ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي اللَّعِبِ ! إِنِّي سَعِيدَةٌ ، وَأَبِي الْعَزِيزُ سَعِيدٌ . »

وَأَخِيرًا لَاحَتْ لَنَا الْعَرَبَةُ ، وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَتْ لَمَحْتُ كَاثِي وَالِدَهَا مِنَ النَّافِذَةِ ، فَمَدَّتْ إِلَيْهِ ذِرَاعَيْهَا . وَتَوَقَّفَتِ الْعَرَبَةُ ، فَتَنَزَلَ مِنْهَا وَهُوَ فِي شَوْقٍ عَارِمٍ إِلَيْهَا . وَظَلًّا لِيَضَعُ دَقَائِقَ لَا يُفَكِّرُ كُلُّ مَنْهُمَا إِلَّا فِي الْآخَرِ ، وَقَدْ تَطَلَّعْتُ أَنَا إِلَى دَاخِلِ الْعَرَبَةِ بَحْثًا عَنْ لَنْتُونِ ؛ فَوَجَدْتُهُ يَغِطُّ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ فِي رُكْنٍ مِنَ الْعَرَبَةِ . وَكَانَ وَلَدًا ذَائِلًا ضَعِيفًا



الْبَيْتِ ، وَجْهَهُ يُشَبِّهُ وَجْهَ إِدْغَارٍ إِلَى حَدِّ بَعِيدٍ بِاسْتِثْنَاءِ نَظَرَتِهِ الْغَوَّائِيَّةِ  
الَّتِي لَا تُشَبِّهُ نَظْرَةَ إِدْغَارٍ .

قَالَ إِدْغَارٌ : « إِنَّهُ لَجِدُّ مَنَّهُكَ مِنْ مَتَاعِبِ الرُّحْلَةِ . » وَاقْظَ لَنْتُونُ  
ثُمَّ أَنْزَلَهُ إِلَى الْأَرْضِ ، وَقَالَ لِكَاثِي : « هَذَا ابْنُ عَمَّتِكَ . » ثُمَّ شَبَّكَ  
أَيْدِيَهُمَا مَعًا قَائِلًا لِلَنْتُونِ : « إِنَّهَا مُغْرَمَةٌ بِكَ ، فَحَاوِلْ أَلَّا تُضَايِقَهَا  
بِيُكَاثِكَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، وَلْتَحَاوِلْ أَنْ تَبْتَهَجَ الْآنَ ، فَالرُّحْلَةُ قَدْ انْتَهَتْ ،  
وَمَا عَلَيْكَ سِوَى أَنْ تَسْتَرِيحَ وَتَسْتَمْتَعَ . »

أَجَابَ الصَّبِيُّ وَهُوَ يَتَعَدُّ عَنْ قُبَلَاتِ كَاثِي : « إِذَا دَعَنِي أَذْهَبُ  
لَأَنَامَ . »

ذَهَبْنَا جَمِيعًا إِلَى الْمَكْتَبَةِ حَيْثُ وَجَدْنَا الشَّايَ قَدْ أُعِدَّ ، وَقَدْ  
أَجْلَسْتُ لَنْتُونُ فِي كُرْسِيِّ بِجَوَارِ الْمُنْضَدَةِ ، وَلَكِنَّهُ بَدَأَ يَبْكِي  
قَائِلًا : « لَا أَسْتَطِيعُ الْجُلُوسَ عَلَى مَقْعَدٍ . »

قَالَ لَهُ خَالُهُ بِرْقَةً : « إِذَا فَلْتَذْهَبْ إِلَى الْأَرِيكَةِ ، وَسَوْفَ تُحْضِرُ  
لَكَ إِبِلِينَ بَعْضَ الشَّايِ . »

رَقَدَ لَنْتُونُ عَلَى الْأَرِيكَةِ ، وَحَمَلَتْ إِلَيْهِ كَاثِي كُوبَ الشَّايِ ،  
وَقَدْ اتَّخَذَتْ قَرَارًا لَا رَجْعَةَ فِيهِ ، وَهُوَ أَنْ تُدَلِّلَ ابْنُ عَمَّتِهَا ؛ فَبَدَأَتْ  
تَحْسِسُ شَعْرَهُ النَّاعِمَ ، وَتَرَبَّتْ عَلَى ذِرَاعِهِ ، ثُمَّ رَفَعَتْ الشَّايَ إِلَى

شَفَتَيْهِ لِيَشْرَبَ كَالطُّفْلِ . وَقَدْ سَرَّهُوَ لِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ وَجْهِهِ  
عَدِيدَةً يُشَبِّهُ طِفْلاً صَغِيرًا .

قَالَ لِي رَبُّ الْمَنْزِلِ وَهُوَ يَرَاقِبُهُمَا : « سَوْفَ يَنْصَلِحُ حَالُهُ إِذَا أَبْقَيْنَاهُ  
مَعَنَا ، يَا إِبِلِينَ . »

قُلْتُ : « أَجَلٌ ، إِذَا أَبْقَيْنَاهُ . » وَتَمَنَيْتُ أَلَّا تَنْشُرَ كَاثِي خَبْرَ  
وُصُولِهِ فِي مُرْتَفَعَاتِ وَدْرَنْغٍ .

وَقَدْ تَقَرَّرَ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى قَبْلَ الْوَقْتِ الَّذِي كُنْتُ أَتَوَقَّعُهُ ، فَقَدْ  
بَعَثَ هَيْشَكْلِيْفُ بِجُوزِيْفٍ لِيَأْتِيَ بِابْنِهِ فِي نَفْسِ هَذَا الْمَسَاءِ . وَلَمَّا  
كَانَ الصَّبِيُّ نَائِمًا ، فَقَدْ رَفَضَ إِدْغَارُ أَنْ يُسَلِّمَهُ لِجُوزِيْفٍ ؛ وَلَكِنَّهُ  
وَعَدَ بِأَنْ يَبْعَثَ بِهِ فِي الْيَوْمِ التَّالِي . وَكَانَ يَشْعُرُ بِالْأَسَى حِينَ يُفَكِّرُ  
فِي تَسْلِيمِهِ لَهُمْ ، وَلَكِنْ كَيْفَ كَانَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَفْعَلَ سِوَى أَنْ  
يَنْصَاعَ لِرَغْبَةِ وَالِدِهِ ، وَيُسَلِّمَ الصَّبِيَّ ؟

لَمْ يَكُنْ لَنْتُونُ سَعِيدًا حِينَ أَقْظَطَهُ مُبَكَّرًا فِي الصَّبَاحِ التَّالِي ،  
وَأَخْبَرَتْهُ بِأَنْ عَلَيْهِ أَنْ يُعِدَّ نَفْسَهُ لِرُحْلَةٍ أُخْرَى ، وَقُلْتُ لَهُ : « لَسَوْفَ  
تَقْضِي بَعْضَ الْوَقْتِ مَعَ أَبِيكَ . »

صَاحَ قَائِلًا : « أَبِي ! إِنَّ أُمِّي سَبَقَ أَنْ أَخْبَرْتَنِي أَنَّهُ لَيْسَ لِي أَبٌ ،  
وَإِنِّي لِأَفْضَلُ أَنْ أَبْقَى مَعَ خَالِي . وَلِمَاذَا لَمْ تَعِشْ أُمِّي وَهُوَ مَعًا



كَمَا يَفْعَلُ غَيْرُهُمَا مِنَ الْبَشَرِ ؟

أَجَبْتُ : « كَانَ وَالِدُكَ مُضْطَرًّا إِلَى أَنْ يَبْقَى فِي الشَّمَالِ لِظُرُوفٍ خَاصَّةٍ بِعَمَلِهِ ، وَمِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى كَانَ عَلَى أُمِّكَ أَنْ تَعِيشَ فِي الْجَنُوبِ لِظُرُوفٍ خَاصَّةٍ بِصِحَّتِهَا . »

« وَلَكِنْ لِمَاذَا لَمْ تَتَحَدَّثْ أُمِّي مَعِي عَنْ أَبِي ؟ فَهِيَ كَثِيرًا مَا تَحَدَّثُ عَنْ خَالِي مُدَّةَ طَوِيلَةٍ ، الْأَمْرُ الَّذِي حَدَا بِي إِلَى أَنْ أَجِيبَهُ ، فَكَيْفَ اسْتَطِيعُ أَنْ أَحِبَّ أَبِي ، وَأُمِّي لَمْ تُحَدِّثْنِي عَنْهُ قَطُّ ؟ فَأَنَا لَا أَعْرِفُهُ . »

قُلْتُ : « كُلُّ الْأَطْفَالِ يُحِبُّونَ آبَاءَهُمْ . »

وَأَقْلَعْنَا لِلرَّحْلَةِ فِي صَبَاحِ يَوْمِ مُشْمَسٍ ، وَقَدْ امْتَطَى لَنْتُونُ صَهْوَةَ جَوَادِ « مِينِي » ، وَمَشَيْتُ أَنَا إِلَى جِوَارِهِ .

وَحِينَ وَصَلْنَا إِلَى مُرْتَفَعَاتٍ وَدُرْنَعٍ تَقَدَّمْتُ أَنَا وَفَتَحْتُ الْبَابَ ، وَكَانَتِ الْعَائِلَةُ قَدْ فَرَعَتْ لِلتَّوْمِ مِنْ تَنَاوُلِ طَعَامِ الْإِفْطَارِ .

صَاحَ هَيْثَكْلَيْفُ : « مَرْحَبًا ، يَا إِلَيْنِ ! لَقَدْ أَحْضَرْتُ مَعَكَ مَنْ يَنْتَمِي إِلَيَّ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ لَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَضْطُرَّ إِلَى الذَّهَابِ بِنَفْسِي لِأَحْضَرَةٍ . دَعِينَا نَلْقَى نَظْرَةً عَلَيْهِ . »

ذَهَبَ هَيْثَكْلَيْفُ إِلَى الْبَابِ يَتَّبِعُهُ هِيرْتُونُ وَجُوزَيْفُ ، وَقَدْ بَدَأَ ثَلَاثَتُهُمْ يُحْمَلِقُونَ إِلَى وَجْهِ لَنْتُونِ الْمُسْكِينِ .

قَالَ جُوزَيْفُ أَخِيرًا : « إِنِّي مُوقِنٌ مِنْ أَنَّهُ أَرْسَلَ ابْنَتَهُ بَدَلًا مِنْ ابْنِكَ ، يَا سَيِّدِي ! »

فَهَقَّ هَيْثَكْلَيْفُ بِطَرِيقَةٍ سَاخِرَةٍ وَقَالَ : « يَا إِلَهِي ! مَا هَذَا الْجَمَالُ ! مَا أَرَوْعَ هَذَا الْمَخْلُوقَ الظَّرِيفَ اللَّطِيفَ ! يَه .. تَبًّا لَهُ ، يَا إِيلَيْنِ ، فَهُوَ أَسْوَأُ مِمَّا كُنْتُ أَتَوَقَّعُ رَغْمَ أَنِّي لَمْ أَتَوَقَّعُ الْكَثِيرَ ! »

طَلَبْتُ مِنَ الصَّبِيِّ الْمَذْعُورِ أَنْ يَتَرَجَّلَ وَيَدْخُلَ الْبَيْتَ ، وَلَمْ يَكُنْ الصَّبِيُّ لِيَفْهَمَ مَغْزَى كَلَامِ وَالِدِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ - فِي الْوَاقِعِ - مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ الْغَرِيبَ الدَّاكِنَ الْبَشْرَةَ ، السَّاخِرَ الضَّحْكَةَ ، هُوَ وَالِدُهُ ! وَالتَّصَقَّ بِي وَقَدْ صَعَقَهُ خَوْفُ مُتَصَاعِدٍ . وَلَمَّا سَأَلَهُ هَيْثَكْلَيْفُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَيْهِ أَخْفَى وَجْهَهُ فِي كَتْفِي .

قَالَ هَيْثَكْلَيْفُ وَقَدْ جَلَسَ وَسَحَبَ الْوَلَدَ بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ : « نَحْنُ لَنْ نَمْسُكَ بِسُوءٍ ، يَا لَنْتُونِ . إِنَّكَ تُشَبِّهُ أُمِّكَ تَمَامًا . » وَرَاحَ يَتَحَسَّسُ شَعْرَةَ الْأَشْقَرِ بِيَدَيْهِ ، وَبَرَّتْ عَلَى سَاقِيهِ وَذِرَاعِيهِ الَّتِي كَانَتْ جَمِيعًا ضَعِيفَةً بِنَسَبِ مُتَسَاوِيَةٍ . وَرَفَعَ الصَّبِيُّ عَيْنَيْهِ الزَّرْقَاوَيْنِ الْوَاسِعَتَيْنِ إِلَى وَجْهِ أَبِيهِ هَيْثَكْلَيْفِ .



سَأَلَهُ هَيْثَكِلَيْفَ : « هَلْ تَعْرِفُنِي ؟ »

أَجَابَ لَنْتُونٌ مَذْعُورًا : « لَا ! »

« أَغْلَبَ الظَّنُّ أَنَّكَ سَمِعْتَ عَنِّي . »

أَجَابَ الطِّفْلُ مَرَّةً أُخْرَى : « لَا ! »

« لَا ؟ لَقَدْ أَخْطَأْتَ أُمُّكَ خَطَأً بَالِغًا ، إِذْ لَمْ تَذْكُرْ لَكَ شَيْئًا عَنْ

أَبِيكَ ! سَوْفَ أَخْبِرُكَ أَنَا إِذَا : أَنْتَ ابْنِي ! كُنْ وَلَدًا عَاقِلًا ، وَسَوْفَ

أَرْعَاكَ . مَاذَا تَنْتَظِرِينَ ، يَا إِلَيْنِ ؟ يُمْكِنُكَ أَنْ تَعُودِي إِلَى الْمَنْزِلِ . »

أَجَبَتْ : « آمَلُ أَنْ يَنَالَ الْوَلَدُ عَطْفَكَ ، يَا سَيِّدِي هَيْثَكِلَيْفَ ، وَإِلَّا

فَلَنْ تَبْقِيَهِ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ ، وَتَذْكُرُ أَنَّ الْوَلَدَ لَيْسَ بِقَوِيٍّ الْبَنِيَّةِ . »

قَالَ هَيْثَكِلَيْفَ ضَاحِكًا : « سَوْفَ أَكُونُ جَدًّا عَطُوفٍ عَلَيْهِ ،

وَلَأَبْدَأُ هَذَا الْعَطْفَ الْآنَ . أَحْضِرْ لِلْوَلَدِ ، يَا جُوزَيْفَ ، شَيْئًا

لِلْإِفْطَارِ ، وَادْهَبْ أَنْتَ ، يَا هِيرْتُونُ ، لِعَمَلِكَ . » وَخَرَجَ الْاِثْنَانِ مَعًا ،

وَأَقْتَرَبَ هَيْثَكِلَيْفَ مِنِّي .

وَقَالَ : « لَقَدْ اتَّخَذْتُ قَرَارًا بِأَنْ يُصْبِحَ ابْنِي مَالِكًا لِرُشْكَرُوسِ

غِرَانِغَ ، وَلَا أَرْغَبُ الْآنَ فِي أَنْ يَمُوتَ ، وَلَيْسَ قَبْلَ أَنْ أَتَأَكَّدَ مِنْ أَنْ

رُشْكَرُوسِ غِرَانِغَ سَتُؤَوَّلُ مِنْهُ إِلَيَّ . وَبِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ ، فَهُوَ

وَلَدِي ، وَأَرِيدُ أَنْ أَسْعِدَ بِرُؤْيَايَ طِفْلِي سَيِّدًا مَالِكًا لِأَرْضِ إِدْغَارِ . وَهَذَا  
هُوَ السَّبَبُ الْوَحِيدُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ سَوْفَ أَتَحْمَلُهُ ؛ فَأَنَا أَحْتَقِرُهُ  
لِذَاتِهِ ، وَأَبْغِضُهُ لِلذِّكْرِيَّاتِ الَّتِي يُعِيدُهَا مَرَاهُ لِخَيَالِي . سَوْفَ أَرْعَاهُ  
كَمَا يَجِبُ ، وَقَدْ أَعْدَدْتُ عُرْفَةً مُرِيحَةً لَهُ ، وَاتَّفَقْتُ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيْهِ  
مُدْرَسٌ خَاصٌّ لِيُعَلِّمَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كُلَّ أُسْبُوعٍ . وَقَدْ أَمَرْتُ هِيرْتُونُ  
بِأَنْ يُطِيعَهُ ، وَأَقْصِدُ بِذَلِكَ أَنْ أَجْعَلَهُ يَحْتَفِظُ بِأَخْلَاقِ النَّبَالَةِ الْكَامِنَةِ  
فِيهِ ! »

وَحَدَجَ الْوَلَدُ الَّذِي كَانَ مُنْزَوِيًا فِي رُكْنٍ بِنَظَرَةٍ غَاضِبَةٍ ، ثُمَّ قَالَ :  
« وَلَكِنِّي آسِفٌ إِذْ يُسَاوِرُنِي الشُّعُورُ بِأَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ إِلَّا قَبْسًا ضَعِيفًا  
مِنْ هَذَا الْعَنَاءِ ، وَكُنْتُ أَتَمْنَى مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِي أَنْ أَشْعَرَ بِالْفَخَارِ  
بِابْنِي - وَهَذِهِ هِيَ النِّعْمَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي أَتَمَنَّاها فِي هَذَا الْعَالَمِ . »

وَجَاءَ جُوزَيْفُ بِنَعْضِ الطَّعَامِ لِلَنْتُونِ ، أَمَّا أَنَا فَقَدْ أُنْسَلْتُ إِلَى  
الْخَارِجِ . وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَغْلِقُ الْبَابَ خَلْفِي سَمِعْتُ صَرَخًا :

« لَا تَتْرُكْنِي ! لَنْ أَبْقَى هُنَا ! »

وَلَكِنِ الْبَابَ ظَلَّ مُغْلَقًا ، وَمَكَثَ لَنْتُونُ فِي مَرْتَفَعَاتٍ وَذُرْنَعٍ .



وَمَرَّ الْوَقْتُ وَالرَّضَا يَعُمُّ الْبَيْتَ فِي ثَرْشُكُورَسْ غِرَانِغْ ، إِلَى أَنْ  
بَلَغَتْ كَاثِي السَّادِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهَا ، وَكَانَ يَوْمٌ مِيلَادِهَا هُوَ  
نَفْسُهُ يَوْمَ مَوْتِ أُمِّهَا ، وَلِهَذَا كَانَ وَالِدُهَا يَقْضِي يَوْمَهُ فِي الْمَكْتَبَةِ  
وَحِيدًا . وَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ رِبِيعِيًّا جَمِيلًا ، وَطَلَبْتُ مِنِّي كَاثِي أَنْ  
أَذْهَبَ مَعَهَا لِلتَّرِيضِ فِي الْأَرْضِ الْقَفْرِ .

## الفصل السابع عشر

وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَسِيرُ شَعَرْتُ بِمُتَعَةٍ وَأَنَا فِي كَنْفِ شَمْسٍ دَافِئَةٍ ،  
وَأَصْغَيْتُ إِلَى شَقِشَقَةِ الْعَصَافِيرِ وَهِيَ تَغْرُدُ فِي الْجَوِّ ، وَتَقْدَمْتَنِي  
كَاثِي فِي السَّيْرِ وَقَدْ تَطَايَرَ شَعْرُهَا الذَّهَبِيُّ خَلْفَهَا ، وَكَانَتْ جِدًّا  
سَعِيدَةً فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ .

عَلَى سُفُوحِ التَّلَالِ وَفِي جَنَابِ الْأُودِيَةِ وَعَبْرَ الشَّوْاطِئِ سِرْنَا ،  
وَكَُنْتُ قَدْ بَدَأْتُ أَشْعُرُ بِالتَّعَبِ .

قُلْتُ : « لَقَدْ حَانَ الْوَقْتُ لِنَعُودِ إِلَى الْبَيْتِ ، يَا كَاثِي . »  
وَأَسْتَمَرْتُ تَقُولُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ : « لِنَذْهَبْ إِلَى مَدَى أَبْعَدَ ، يَا  
إِلِينَ . » وَجَرْتُ أَمَامِي إِلَى أَنْ اخْتَفَتْ عَنْ نَظَرِي ، وَكُنَّا قَدْ وَصَلْنَا  
إِلَى مُرْتَفَعَاتِ وَذَرْنِغْ . وَحِينَ لَاحَتْ لِعَيْنِي مَرَّةً أُخْرَى ، رَأَيْتُهَا  
تَتَحَدَّثُ مَعَ شَخْصٍ مَا ، وَاتَّضَحَ لِي أَنَّهُ هَيْشَكَلِيفْ نَفْسُهُ ، وَكَانَ  
هَيَرْتُونُ يَقِفُ إِلَى جَوَارِهِمَا ، وَقَدْ بَدَأَ فُظًّا كَمَا عَهْدُنَاهُ .

بَكَتُ كَاثِي بُكَاءً مَرًّا عِنْدَمَا اكْتَشَفْتُ ذَهَابَ ابْنِ عَمِّهَا ، وَقَدْ  
أَفْهَمْنَاهَا أَنَّ أَبَاهُ قَدِمَ وَأَخَذَهُ لِيَعِيشَ مَعَهُ هُنَاكَ ، وَلَكِنْ لَمْ نُخْبِرْهَا  
بِهَوِيَّةِ أَبِيهِ . وَلَمْ تَكُنْ تَتَصَوَّرُ قَطُّ أَنَّ الْأَبَ هُوَ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ الرَّاسِخِ  
الَّذِي شِيدَ فِي الْأَرْضِ الْقَفْرِ الَّتِي سَبَقَ أَنْ زَارَتْهَا ، وَلَا أَنَّ لِنَتُونِ  
يَعِيشُ عَلَى بَعْدِ بَضْعَةِ كِيلُو مِتْرَاتٍ مِنْهَا .

وَكَُنْتُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ أَقَابِلَ مُدِيرَةِ الْمَنْزِلِ ، وَهِيَ قَادِمَةٌ مِنْ  
مُرْتَفَعَاتِ وَذَرْنِغِ إِلَى الْقَرْيَةِ . وَكَُنْتُ أَطْلُبُ إِلَيْهَا أَنْ تَحْكِيَ لِي شَيْئًا  
مِنْ أَخْبَارِ لِنَتُونِ ، فَكَانَتْ تَقُولُ إِنَّهُ دَائِمًا مُتَوَعِّكُ الصَّحَّةِ ، وَدَائِمُ  
السُّعَالِ ، أَوْ يُصَابُ بِنَزْلَةٍ بَرْدٍ ، وَأَحْيَانًا بِالْأَلَمِ مِنْ نَوْعٍ مَا . وَإِنَّهَا  
لَمْ تَكُنْ تُحِبُّهُ ، فَقَدْ كَانَ - فِي رَأْيِهَا - وَلَدًا أَنَانِيًّا لَا يُفَكِّرُ فِي  
شَيْءٍ سِوَى صِحَّتِهِ هُوَ .



سَأَلْتُ كَاثِي هَيْشَكْلَيْفَ : « مَنْ أَنْتَ ؟ هَلْ هَذَا الْفَتَى ابْنُكَ ؟  
لَقَدْ سَبَقَ لِي أَنْ رَأَيْتَهُ . »

أَجَابَ هَيْشَكْلَيْفَ : « لَا ، إِنَّهُ لَيْسَ ابْنِي ، وَلِي ابْنٌ وَقَدْ سَبَقَ لَكَ  
أَنْ رَأَيْتَهُ أَيْضًا . إِنَّ مَنْزِلِي لَقَرِيبٌ مِنْ هُنَا ، فَلِمَ لَا تَتَفَضَّلِينَ  
بِالدُّخُولِ وَتَأْخُذِينَ قِسْطًا مِنَ الرَّاحَةِ ؟ »

هَمَسْتُ لِكَاثِي بِأَنَّهُ يَنْبَغِي أَلَّا نَذْهَبَ مَعَهُ ، وَلَكِنَّهَا رَفَضَتْ  
طَاعَتِي ، وَأَخَذَتْ تَعْدُو بِشَغَفٍ تَجَاهَ بَيْتِ الْمَزْرَعَةِ الرَّمَادِيِّ اللَّوْنِ ،  
وَالْمَبْنِيِّ بِالْحِجَارَةِ .

قَالَ هَيْشَكْلَيْفَ وَهُوَ يُمْسِكُ بِذِرَاعِي : « هَيَّا ، يَا إِلَيْنِ . »

أَجَبْتُ : « لَا ، يَا هَيْشَكْلَيْفَ . إِنِّي لَمَتَأَكَّدَةٌ أَنَّكَ تَقْصِدُ شَرًّا !  
سَوْفَ تُقَابِلُ هِيَ لَنْتُون ، وَ... »

« إِنِّي أُرِيدُهَا أَنْ تُقَابِلَ لَنْتُون ! إِنَّ خُطْبَتِي خُطَّةٌ أَمِينَةٌ ، وَكَرِيمَةٌ ،  
فَإِنِّي أَمَلُّ أَنْ يَقَعَ كُلُّ مِنْهُمَا فِي حُبِّ الْآخَرِ ، وَيَنْتَهِيَ هَذَا الْحُبُّ  
بِالزَّوْاجِ . وَفِي الْوَقْتِ الْحَالِيِّ لَنْ تَرِثَ الْفَتَاةُ شَيْئًا بَعْدَ مَوْتِ وَالِدِهَا ،  
وَلَكِنْ لَوْ أَنَّهَا تَزَوَّجَتْ لَنْتُون فَسَوْفَ تَشْتَرِكُ مَعَهُ وَرِثَةً لِثَرْشُكُروس  
غِرَانِغِ . »

كَانَتْ كَاثِي فِي انْتِظَارِنَا عِنْدَ الْبَوَابَةِ ، وَقَدْ عَلَتْ ابْتِسَامَةٌ شَفَتِي  
هَيْشَكْلَيْفَ حِينَ رَمَقَهَا بِنَظَرَةٍ وَتَحَدَّثَ بِصَوْتٍ رَفِيقٍ . وَكُنْتُ أَنَا  
بِلَهَاءٍ حِينَ سَاوَرَنِي الْاِعْتِقَادُ بِأَنْ ذِكْرِي أُمُّهَا سَوْفَ يَقِفُ حَائِلًا  
دُونَ رَغْبَتِهِ فِي الْإِحَاقِ الْأَذَى بِهَا .

دَخَلْنَا الْبَيْتَ ، وَكَانَ لَنْتُونُ يَقِفُ بِجِوَارِ الْمِدْفَأَةِ ، وَبَدَأَ أَطْوَلَ مِنْ  
عُمْرِهِ - سِتَّةَ عَشَرَ عَامًا تَقْرِيبًا - وَوَسِيمًا بِطَرِيقَةِ انْتَوِيَّةِ .

سَأَلَ هَيْشَكْلَيْفَ كَاثِي : « وَالْآنَ مَنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ ؟ »

أَجَابَتْ مُتَسَائِلَةً : « هَلْ هُوَ ابْنُكَ ؟ » وَرَاحَتْ تُجِيلُ بَيْنَهُمَا  
النَّظَرَ فِي شَكٍّ .

أَجَابَ هَيْشَكْلَيْفَ : « أَجَلٌ .. أَجَلٌ . وَلَكِنْ هَلْ هَذِهِ أَوَّلُ مَرَّةٍ  
تَرَيْنَهُ ؟ أَلَا تَتَذَكَّرُ ، يَا لَنْتُون ، ابْنَةَ خَالِكَ ؟ »

صَاحَتْ كَاثِي فِي دَهْشَةٍ تَمْتَرِجُ بِالْفَرَحِ : « هَلْ هَذَا هُوَ لَنْتُونُ  
الصَّغِيرُ ؟ لَقَدْ أَصْبَحَ أَطْوَلُ مِنِّي قَامَةً ! »

وَقَبْلَتَهُ بِحَرَارَةٍ وَأَخَذَا كِلَاهُمَا يَتَبَادَلَانِ النَّظَرَاتِ وَهُمَا فِي دَهْشَةٍ ،  
ثُمَّ اقْتَرَبَتْ كَاثِي مِنْ هَيْشَكْلَيْفَ وَصَاحَتْ : « أَنْتَ إِذَا عَمِّي ! »  
وَدَنَتْ مِنْهُ لِتُقَبِّلَهُ وَهِيَ تَسْأَلُهُ : « لِمَاذَا لَا تَزُورُنَا فِي ثَرْشُكُروسِ غِرَانِغِ  
مَعَ لَنْتُونِ مَا دُمْتَ تَعِيشُ قَرِيبًا مِنَّا ؟ »



أجاب: « لَقَدْ زُرْتُ مَنْزِلَكُمْ هَذَا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ قَبْلَ أَنْ تُولَدِي .  
مَضَتْ كَأَنِّي تَقُولُ : « لَسَوْفَ أَتَرِيضُ سَيِّراً عَلَى الْأَقْدَامِ هُنَا كُلُّ  
صَبَاحٍ ، وَسَوْفَ آتَى بِأَبِي ، أَلَا يَسُرُّكَ أَنْ تَلْتَقِينَا ؟ »

أجاب العمُّ : « هَذَا أَمْرٌ لَا شَكَّ فِيهِ ! وَلَكِنْ أَنْتَظِرِي . . إِنَّ  
السَّيِّدَ لَنْتَوْنَ يَبْغِضُنِي ؛ فَقَدْ تَشَاجَرْنَا ذَاتَ يَوْمٍ . وَإِذَا أَفْضَيْتِ إِلَيْهِ  
بِأَنَّكَ كُنْتِ هُنَا ، فَلَنْ يَسْمَحَ لَكَ بَعْدَ الْآنَ بِزِيَارَتِكَ لَنَا .

سَأَلَتْهُ كَأَنِّي : « وَلَمْ تَشَاجَرْتُمَا ؟ »

« لِأَنَّهُ كَانَ يَعْتَبِرُنِي أَقْلٌ مِنْ أَنْ أُسْتَحِقَّ أَنْ أَتَزَوَّجَ أُخْتَهُ .

قَالَتْ كَأَنِّي : « كَانَ هَذَا خَطَأً مِنْهُ ، وَلَكِنْ لَنْتَوْنَ وَأَنَا لَا شَأْنَ لَنَا  
بِهَذَا الشَّجَارِ ، وَعَلَى ذَلِكَ فَإِذَا مُنِعْتُ مِنَ الْمَجِيءِ إِلَى هُنَا ، يُمَكِّنُهُ  
هُوَ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى ثَرْشَكُرُوسِ غِرَانِغِ .

قَالَ ابْنُ عَمَّتِهَا : « سَتَكُونُ الْمَسَافَةُ جِدًّا بَعِيدَةً . إِنَّ مَسِيرَةَ سِتَّةِ  
كِيلُومِتْرَاتٍ لَخَلِيقَةٌ بِأَنْ تُخَمِدَ أَنْفَاسِي ! لَا ، يَا كَأَنِّي ، تَعَالِي أَنْتِ  
إِلَيْنَا هُنَا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ كُلَّ أُسْبُوعٍ ، وَلَيْسَ كُلُّ صَبَاحٍ .

حَدَجَ هَيْشَكَلِيفُ ابْنَهُ بِنَظَرَةٍ سَاخِرَةٍ ، وَأَسْرَأَ إِلَيْهَا قَائِلاً : « يُؤَسِّفُنِي ،  
يَا إِلَيْنِ ، أَنْ يَذْهَبَ تَعْبِي هَبَاءً ؛ فَالْفَتَاةُ لَا بُدَّ أَنْ تَكْتَشِفَ حَقِيقَتَهُ ثُمَّ

تَنْفُضَهُ عَنْهَا إِلَى الشَّيْطَانِ ! لَوْ أَنَّهُ كَانَ هِيرْتُونُ ! أَتَعْلَمِينَ أَنَّنِي  
كُنْتُ أَتَمَنَّى عَشْرَاتِ الْمَرَّاتِ يَوْمِيًّا لَوْ أَنَّهُ كَانَ ابْنِي ؟ كَانَ يُمَكِّنُ  
أَنْ أَحِبُّ هَذَا الْوَلَدَ لَوْ لَمْ يَكُنْ ابْنُ هَنْدَلِي !

ثُمَّ اسْتَدَارَ إِلَى لَنْتَوْنَ قَائِلاً : « أَلَيْسَ ثَمَّةَ مِنْ شَيْءٍ فِي الْمَزْرَعَةِ  
تُريهِ لَابْنَةَ خَالِكَ ؟ إِصْطَحَبَهَا لِتَرَى حِصَانَكَ .

قَالَ لَنْتَوْنَ لِكَأَنِّي : « أَلَا تَفْضُلِينَ أَنْ تَجْلِسِي هُنَا ؟ »

أَجَابَتْ وَهِيَ تُلْقِي نَظْرَةً إِلَى الْبَابِ : « لَسْتُ أَذْرِي .

مِنْ الْوَاضِحِ أَنَّهَا كَانَتْ مُتَلَهِّفَةً لِلْقِيَامِ بِبَعْضِ النَّشَاطِ ، وَلَكِنَّهُ  
ظَلَّ جَالِسًا ، وَاقْتَرَبَ بِمَقْعَدِهِ مِنَ الْمِدْفَأَةِ .

وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ دَخَلَ هِيرْتُونُ مُبْتَلِّ الشَّعْرِ ؛ إِذْ كَانَ يَغْتَسِلُ .  
صَاحَتْ كَأَنِّي ، وَقَدْ تَذَكَّرَتْ كَلِمَاتِ مُدِيرَةِ الْمَنْزِلِ : « إِنَّهُ لَيْسَ  
بِابْنِ خَالِي ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

قَالَ هَيْشَكَلِيفُ : « بَلْ إِنَّهُ ابْنُ خَالِكَ . وَضَحِكَ لِتَغْيِيرِهَا  
الْمَشُوبَ بِالْدَّهْشَةِ الْغَاضِبَةِ .

« هِيرْتُونُ ، خُذِ ابْنَةَ عَمَّتِكَ وَطُفْ بِهَا فِي الْمَزْرَعَةِ ، وَإِنِّي لَأَلْفِتُ  
نَظْرَكَ لِأَنْ تَتَصَرَّفَ كَرَجُلٍ نَبِيلٍ ، فَلَا تَنْبَسْ بِلَفْظِ مُسِيءٍ ، وَلَا



تَحْدَقُ إِلَى وَجْهِ الْفَتَاةِ ، وَكُنْ وَاضِحًا فِي كَلَامِكَ ، وَلَتُخْرِجَ يَدَيْكَ  
مِنْ جَيْبَيْكَ . هِيَ أَذْهَبُ وَرَفَّةً عَنْهَا بِمَنْتَهَى اللَّطْفِ .

وَأَخَذَ يَرَاقِبُهُمَا وَهُمَا يَتَّبِعَانِ عَنِ النَّافِذَةِ وَقَدْ أَشَاحَ هِيرَتُونَ بِوَجْهِهِ  
عَنْ كَاثِي .

قَالَ هَيْثَكْلَيْفُ : « لَقَدْ أَخْرَسْتُ لِسَانَهُ ، فَلَنْ يَجْرؤُ عَلَى أَنْ يَتَفَوَّهَ  
لَهَا بِكَلِمَةٍ . هَلْ تَتَذَكَّرِينَ ، يَا إِلِينَ ، حِينَ كُنْتُ فِي مِثْلِ عُمُرِهِ -  
أَقْصِدُ حِينَ كُنْتُ أَصْغَرَ مِنْهُ بِبَضْعِ سَنَوَاتٍ ، هَلْ كُنْتُ أَبْدُو فِي  
مِثْلِ بِلَاهَتِهِ ؟ »

أَجَبَتْ : « بَلْ أَسْوَأُ ، لِأَنَّكَ كُنْتَ صَاحِبَ مِزَاجٍ مُتَقَلِّبٍ . »

« لَقَدْ حَقَّقَ هِيرَتُونَ آمَالِي ، فَقَدْ نَزَلْتُ بِهِ إِلَى حَضِيضٍ مِثْلِ  
الَّذِي أَنْزَلَنِي إِلَيْهِ وَالِدُهُ . لَوْ أَنَّهُ كَانَ أَبْلَهُ مَا كَانَ ذَلِكَ لِيَرَوْفَنِي ،  
وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِأَبْلَهُ . إِنِّي لِأَفْهَمُ مَا يَجْتَاحُهُ مِنْ مِشَاعِرٍ ، لِأَنِّي قَدْ  
مَرَرْتُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمِشَاعِرِ ، وَإِنِّي لِأَدْرِكُ كَمْ يُعَانِي الْآنَ تَمَامًا .  
إِنَّهَا بِدَايَةِ لِمَا سَوْفَ يُعَانِي ، وَلَنْ يَتِمَّ كُنْ مِنْ أَنْ يُفِيقَ مِنْ قُظَاظَتِهِ  
لِأَنِّي قَدْ دَرَبْتُهُ عَلَى احْتِقَارِ الْكُتُبِ وَالْعِلْمِ ، لِذَلِكَ فَإِنَّهُ أَصْبَحَ فِي  
الْحَقِيقَةِ مُغْرَمًا بِي أَنَا ؛ فَهُوَ يَعْتَبِرُنِي صَدِيقَهُ الْوَحِيدَ ! »

لَمْ يَسْتَطِعْ لَنْتُونُ أَنْ يَسْمَعَ كَلِمَاتِ وَالِدِهِ ، وَتَمَلَّكَتْهُ حَيْرَةٌ .

وَجَالَ بِخَاطِرِي أَنَّهُ حَزَنَ إِذْ فَاتَتْهُ فُرْصَةُ رُقُقَةٍ كَاثِي ، وَقَدْ لَاحَ ذَلِكَ  
لِوَالِدِهِ أَيْضًا .

صَاحَ بِهِ وَالِدُهُ بِلَهْجَةٍ مَشْوِيَةٍ بِبَهْجَةٍ مُفْتَعَلَةٍ : « انْهَضْ أَبْهَا  
الْكَسُولُ وَاتَّبِعْهُمَا ! لَقَدْ خَرَجَا لِلتَّو . »

وَقَفَ لَنْتُونُ ثُمَّ خَرَجَ ، وَكَانَتْ كَاثِي إِذْ ذَاكَ تَتَطَلَّعُ إِلَى  
الْكَلِمَاتِ الْمُحْفَوْرَةِ فَوْقَ الْبَابِ ، وَسَمِعَتْهَا تَسْأَلُ رَفِيقَهَا عَنْهَا ،  
فَحَمَلَتْ هِيرَتُونَ إِلَى أَعْلَى ، وَحَكَ رَأْسَهُ قَائِلًا : « إِنَّهَا نَوْعٌ سَخِيفٌ  
مِنَ الْكِتَابَةِ ، وَلَا اسْتَطِيعُ أَنْ أَقْرَأَهَا . »

صَاحَتْ كَاثِي : « لَا تَسْتَطِيعُ قِرَاءَتَهَا ؟ أَنَا اسْتَطِيعُ قِرَاءَتَهَا . إِنَّهَا  
الْإِنْجِيلِيَّةُ . وَلَكِنْ لِمَاذَا كَتَبْتَ هُنَا ؟ »

ضَحِكَ لَنْتُونُ ، وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ بَدَأَ مَبْتَهَجًا ، وَقَالَ : « إِنَّ هِيرَتُونَ لَا  
يَعْرِفُ الْقِرَاءَةَ . »

قَالَتْ كَاثِي : « يَبْدُو أَنَّهُ غَيِي ! أَمْ مَرِيضٌ هُوَ بِعَقْلِهِ ؟ يَبْدُو أَنَّهُ لَا  
يَفْهَمُ مَا أَقُولُ . »

ضَحِكَ لَنْتُونُ مَرَّةً أُخْرَى وَقَالَ : « إِنَّهَا تَظُنُّ ، يَا هِيرَتُونَ ، أَنَّكَ  
أَبْلَهُ ، وَهَذِهِ نَتِيجَةُ احْتِقَارِكَ التَّعْلَمِ مِنَ الْكُتُبِ . »



أَحْمَرَّ وَجْهَهُ هِيرَتُونَ حَزَنًا وَغَضَبًا ، وَصَاحَ تَارِكًا إِيَّاهُمَا : « لَوْ لَمْ  
تَكُنْ فِتْنَةً أَكْثَرَ مِنْكَ فَتَى ، يَا لَنْتُونَ ، لَطَرَحْتُكَ أَرْضًا . » وَبَقِيَ الْاِثْنَانِ  
سَعِيدَيْنِ مَعًا .

ظَلَلْنَا فِي مُرْتَفَعَاتٍ وَذُرْنُغٍ حَتَّى بَعَدَ الظُّهَيْرَةَ ، وَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ  
أَقْنَعَ كَاثِي بِالرَّحِيلِ قَبْلَ ذَلِكَ . وَحِينَ وَصَلْنَا الْمَنْزِلَ أَقْضَتْ لَوَالِدِهَا  
بِقِصَّةِ زِيَارَتِنَا ، وَأَنْهَتْ حَدِيثَهَا بِقَوْلِهَا : « إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّهُ حَدَثَ شَجَارَ  
بَيْنَكَ وَبَيْنَ السَّيِّدِ هَيْشَكْلَيْفَ ، يَا أَبِي ، وَلَكِنْ لَنْتُونَ وَأَنَا لَا شَأْنَ لَنَا  
بِذَلِكَ ؛ فَلَنْكُنْ عَلَى الْأَقْلَى أَصْدِقَاءَ ! وَلَيْسَ ثَمَّةَ مِنْ مُعَارَضَةٍ مِنْ  
جَانِبِ السَّيِّدِ هَيْشَكْلَيْفَ . »

قَالَ وَالِدُهَا : « إِنَّ هَيْشَكْلَيْفَ رَجُلٌ شَرِيرٌ جِدًّا ، وَيَجِدُ لَذَّةً فِي  
تَدْمِيرِ مَنْ يَكْرَهُهُمْ . إِنَّهُ يَكْرَهُنِي ، يَا كَاثِي ، وَسَوْفَ يَكْرَهُكَ أَيْضًا  
بِسَبَبِي ، وَلِهَذَا فَإِنِّي أَمْنَعُكَ مِنَ الدَّهَابِ إِلَى بَيْتِهِ . » ثُمَّ أَقْضَى  
بِقِصَّةٍ عَنْ مُعَامَلَةِ هَيْشَكْلَيْفَ لِإِيزَابِيلَا ، وَكَيْفَ اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَحْوِذَ  
عَلَى مُرْتَفَعَاتٍ وَذُرْنُغٍ ، وَلَمْ اسْتَحْوِذْ عَلَيْهَا .

وَقَدْ أَصَابَتْ قِصَّةُ هَيْشَكْلَيْفَ كَاثِي فِي الصُّمِيمِ ، وَلَكِنَّهَا لَمْ  
تَكُنْ لِنَتَنَازُلٍ عَنْ صِدَاقَتِهَا لِلَنْتُونَ ، فَقَدْ بَعَثَتْ إِلَيْهِ - سِرًّا -  
بِخِطَابٍ ، وَبَادَلَهَا الرَّدَّ عَلَى خِطَابِهَا ، وَاسْتَمَرَّتِ الْخِطَابَاتُ الْمُتَبَادِلَةُ

بَيْنَهُمَا لِمُدَّةٍ سِتَّةِ أَسَابِيعَ ، وَهِيَ خِطَابَاتٌ يُمَكِّنُ أَنْ نُطْلِقَ عَلَيْهَا  
خِطَابَاتٍ غَرَامِيَّةً . وَقَدْ اعْتَبَرْتُ تِلْكَ الْخِطَابَاتِ أَشْيَاءَ نَافِهَةً فَأَحْرَقْتُهَا  
جَمِيعًا ، وَحَدَّرْتُ كَاثِي مِنْ أَنِّي سَأَقْضِي لَوَالِدِهَا بِهَا إِذَا اسْتَمَرَّتْ  
فِي كِتَابَةٍ مِثْلِ هَذِهِ الْخِطَابَاتِ إِلَى لَنْتُونَ ، فَأَخَذْتُ كَاثِي تَبْكِي  
وَتَلْتَمِسُ مِنِّي أَلَّا أَفْعَلَ ذَلِكَ ، وَوَعَدْتَنِي بِعَدَمِ إِرْسَالِ خِطَابَاتٍ  
أُخْرَى إِلَى مُرْتَفَعَاتٍ وَذُرْنُغٍ .



سألتها : « لِمَاذَا تَبْكِينَ ، يَا حَبِيبَتِي كَاثِي ؟ مَا مِنْ ضَرَرٍ أَصَابَ  
أَبَاكَ ؛ إِنَّهَا لَيْسَتْ سِوَى نَزْلَةٍ بَرْدٍ خَفِيفَةٍ . »

قَالَتْ كَاثِي : « سَوْفَ تَزْدَادُ حَالَتَهُ سُوءًا ، وَمَاذَا سَأَفَعَلُ أَنَا حِينَ  
يَتْرَكُنِي أَبِي وَأَنْتِ ، وَأَجِدُ نَفْسِي وَحِيدَةً أَمَامَ أَعَاصِيرِ الْحَيَاةِ الْقَاسِيَةِ ؟  
كَمْ سَيَكُونُ هَذَا الْعَالَمُ تَعَسًا حِينَ يَخْتَفِي أَبِي وَأَنْتِ وَرَاءَ الْقَبْرِ ! »

قُلْتُ لَهَا : « إِنَّ أَبَاكَ لَمْ يَزَلْ شَابًّا ، وَأَنَا مَا زِلْتُ فِي فُتُوْتِي فِي  
الْخَامِسَةِ وَالْأَرْبَعِينَ مِنَ الْعُمُرِ فَقَطْ ، وَأَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَمَامَنَا بَقِيَّةٌ مِنَ  
الْعُمُرِ طَوِيلَةً قَبْلَ أَنْ نَمُوتَ ! »

وَبَيْنَمَا كُنَّا نَسِيرُ وَصَلْنَا إِلَى نِهَآيَةِ الْمَتَرَزِ ، فَتَسَلَّقَتْ كَاثِي الْجِدَارَ  
وَجَلَسَتْ عَلَيْهِ ، وَأَخَذَتْ تَطْلُ عَلَى الطَّرِيقِ أَسْفَلَهَا ، وَسَمِعَتْ فَجَاءَةً  
وَقَعَ أَقْدَامِ جَوَادٍ ، ثُمَّ سَمِعَتْ صَوْتَ رَجُلٍ يَقُولُ :

« إِيهَ ، يَا آنِسَةُ لَنْتُون ! لَا تَذْهَبِي . »

رَدَّتْ كَاثِي : « لَنْ أَتَحَدَّثَ إِلَيْكَ ، يَا سَيِّدُ هَيْشَكَلِيف ! »

« لَدَيَّ مِنَ الْأَخْبَارِ الْهَامَةِ مَا أُرِيدُ أَنْ أَقْضِيَ بِهِ إِلَيْكَ ، أَخْبَارٌ عَنْ  
لَنْتُون . أَرَاكَ مَلَيْتَ مِنْ كِتَابَةِ خِطَابَاتٍ لَطِيفَةٍ إِلَيْهِ ، أَلَيْسَ  
كَذَلِكَ ؟ وَلَكِنَّهُ هُوَ كَانَ يُحِبُّكَ . وَلَكِنْ الْحَقِيقَةُ الْمُؤَكَّدَةُ أَنَّهُ يَمُوتُ

## الفصل الثامن عشر

أَخَذَ الصَّيْفُ يَقْتَرِبُ مِنْ نِهَآيَتِهِ ، وَحَلَّ الْخَرِيفُ ، وَلَمْ تَكُنْ كَاثِي  
سَعِيدَةً فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، بَلْ أَخَذَتْ أَحْزَانُهَا تَتَزَايَدُ ، كَمَا بَدَأَ بِأَلْهَا  
يُصَابُ بِالْبَلْبَلَةِ مُنْذُ أَنْ أَوْقَفَتْ الْخِطَابَاتُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ لَنْتُون . وَكَانَتْ  
أَيْضًا قَلِقَةً عَلَى وَالِدِهَا الَّذِي أَصِيبَ بِنَزْلَةٍ بَرْدٍ شَدِيدَةٍ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ  
أَنْ يَتَرِيضَ مَعَهَا كَمَا كَانَ يَفْعَلُ كُلَّ يَوْمٍ ، بَلْ قَبَعَ رَهْنِ الْمَنْزِلِ  
طَوَالَ الشِّتَاءِ ، وَرَحَّتْ أَنَا أَتَرِيضُ مَعَ كَاثِي بَدَلًا مِنْهُ .

وَحَدَّثَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ أَكْتُوبَرِ بَعْدَ الظُّهَيْرَةِ أَنْ كُنْتُ أَتَرِيضُ  
مَعَهَا ، وَكَانَ إِدْغَارٌ أَسْوَأَ حَالًا مِنَ الْمُعْتَادِ ، وَبَدَتْ كَاثِي حَزِينَةً  
جِدًّا . وَكَانَتْ تَسِيرُ إِلَى جِوَارِي بَطِيئَةً تَحْتَ الْأَشْجَارِ ، فَلَمْ يَكُنْ  
ثَمَّةَ مِنْ عَدُوٍّ أَوْ قَفْزٍ الْآنَ ، وَرَأَيْتُهَا تَرْفَعُ يَدَهَا لِتَمْسَحَ دَمْعَةً طَفَرَتْ  
مِنْ عَيْنَيْهَا .



حُبًّا فَيْكِ ! وَلَسَوْفَ يُوَارِي الْقَبْرَ مَا لَمْ تُنْقِذِيهِ أَنْتِ !

صَحَّتْ : « لَا تُصْغِي إِلَى كَذِبِهِ ، يَا أَنْسَةُ كَاثِي ! »

قَالَ هَيْشَكْلَيْف : « إِيهِ ، يَا إِلَيْنِ ، أَنْتِ هُنَا ؟ أَقْسِمُ إِنَّ لَنْتُون فِي الطَّرِيقِ إِلَى الْمَوْتِ . تَعَالَوْا لِنَرَوْا بِأَنْفُسِكُمْ . سَوْفَ أَتَغِيبُ عَنْ الْبَيْتِ لِمُدَّةِ أُسْبُوعٍ . »

وَانْطَلَقَ بَعِيدًا بِجَوَادِهِ ، وَرَجَعْنَا نَحْنُ إِلَى الْمَنْزِلِ ، وَكَانَ يَبْدُو الْجِدُّ عَلَى وَجْهِ كَاثِي .

قُلْتُ : « أَرْجُو أَنْ تَتَذَكَّرِي الْآنَ أَنْ لَنْتُون حَتَّى الْآنَ لَمْ يَرَكَ غَيْرَ مَرَّتَيْنِ اثْنَتَيْنِ فَقَطْ ! وَمِنْ الْمَحَالِ أَنْ يَمُوتَ شَخْصٌ حُبًّا فِي آخِرِ غَرِيبٍ عَنْهُ . »

أَجَابَتْ : « قَدْ تَكُونِينَ عَلَى صَوَابٍ ، يَا إِلَيْنِ ، وَلَكِنْ لَنْ يَهْدَأَ لِي بَالٌ إِلَى أَنْ أَرَى بِنَفْسِي . »

وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ انْفَقَتْ أَنْ أَدْهَبَ مَعَهَا إِلَى مُرْتَفَعَاتٍ وَدَرَنُغٍ . وَحِينَ وَصَلْنَا وَجَدْنَا لَنْتُون وَحِيدًا فِي عُرْقَةِ الْمَعِيشَةِ ، جَالِسًا فِي كُرْسِيٍّ ضَخْمٍ بِجَوَارِ الْمِدْقَةِ الَّتِي أَخَذَتْ نَارَهَا تَحْبُو مَبْنًى فَشِيئًا ، فَرَكَضْتُ كَاثِي إِلَيْهِ .





قَالَ وَهُوَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ : « أَهَذِهِ أَنْتِ ، يَا آنِسَةُ لَنْتُون ؟ لَا تَقْبَلِينِي !  
فَالْقُبْلَةُ تَقْطَعُ أَنْفَاسِي . لَقَدْ قَالَ أَبِي إِنَّكَ مِثْلَانِ . هَلْ تَسْمَحِينَ  
بِإِغْلَاقِ الْبَابِ ؟ لَقَدْ تَرَكْتِهِ مَفْتُوحًا ، وَلَكِنْ يُحْضِرُ أَحَدًا فَحَمًا لِلنَّارِ .  
إِنَّ الْجَوَّ شَدِيدُ الْبُرُودَةِ ! »

أَحْضَرْتُ بِنَفْسِي بَعْضَ الْفَحْمِ ، وَأَوْقَدْتُ النَّارَ فَأَخَذْتُ تَلْتَمِعُ .  
وَجَالَ بِخَاطِرِي أَنَّ لَنْتُونَ أَصِيبَ بِحُمَى وَسَقَطَ مَرِيضًا .

قَالَتْ كَاثِي : « هَلْ أَنْتِ سَعِيدَةٌ بِرُؤْيَايَ ؟ »

سَأَلَهَا : « لِمَ لَمْ تَأْتِي مِن قَبْلُ ؟ كَانَ يَجِبُ أَنْ تَأْتِي بَدَلًا مِنْ  
كِتَابَةِ الْخِطَابَاتِ ، فَقَدْ أَصَابَتْنِي كِتَابَةُ تِلْكَ الْخِطَابَاتِ الطَّوِيلَةِ  
بِأَعْيَاءِ . »

أَجَابَتْ : « وَلَكِنْ أَنْتِ سَعِيدَةٌ أَنْ تَرَانِي الْآنَ ؟ »

ابْتَسَمَ ابْتِسَامَةً خَافِتَةً ، وَقَالَ : « أَجَلٌ ، أَنَا سَعِيدٌ . وَإِنَّهُ لَشَيْءٌ  
جَمِيلٌ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتًا كَصَوْتِكَ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَعِيشُ فِي تَعَاسٍ  
لَأَنَّكَ لَمْ تَأْتِي ، وَقَدْ قَالَ لِي أَبِي إِنَّكَ لَمْ تَأْتِي بِسَبَبِ خَطَا مِنِّي ،  
وَقَدْ اعْتَبَرَنِي شَيْئًا لَا قِيَمَةَ لَهُ يَسْتَحِقُّ الْعُطْفَ ، وَقَالَ إِنَّكَ تَحْتَقِرِينَنِي ،  
وَلَكِنْ أَنْتِ لَا تَحْتَقِرِينَنِي ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ يَا آنِسَةُ ... ؟ »

قَالَتْ سَيِّدَتِي : « أَرْجُو أَنْ تَدْعُونِي كَاثِي . أَحْتَقِرُكَ أَنْتِ ! أَنْتِ

تَلِي أَبِي وَالَّذِينَ فِي قَلْبِي . إِنِّي أُحِبُّكَ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ . »  
« يَقُولُ أَبِي إِنَّكَ لَوْ كُنْتُ زَوْجَتِي لأَحْبَبْتَنِي أَكْثَرَ مِنْ أَيْبِكَ وَمِنْ  
كُلِّ الْعَالَمِ . »

أَجَابَتْ بِصُورَةٍ جَدِيَّةٍ : « لَا ، يَجِبُ عَلَيَّ أَلَّا أُحِبَّ أَيَّ شَخْصٍ  
أَكْثَرَ مِنْ أَبِي . وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ يَكْرَهُ الرِّجَالُ زَوْجَاتِهِمْ ، فَأَبُوكَ  
كَانَ يَبْغِضُ أُمَّكَ . »

« هَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ ! »

« لَا ، إِنَّهُ صَحِيحٌ . أَبِي أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ ، وَهُوَ لَا يَكْذِبُ أَبَدًا . »

قَالَ لَنْتُون : « سَأُخْبِرُكَ بِشَيْءٍ : كَانَتْ أُمَّكَ تُبْغِضُ أَبَاكَ ! »

صَاحَتْ كَاثِي وَهِيَ جِدُّ غَاضِبَةٍ ، الْأَمْرُ الَّذِي دَعَاهَا أَلَّا تَسْتَمِرَّ  
فِي الْحَدِيثِ : « مَاذَا ! ؟ »

أَضَافَ : « وَهِيَ كَانَتْ تُحِبُّ أَبِي . »

بَلَغَ الْغَضَبُ بِكَاثِي حَدًّا جَعَلَهَا تَدْفَعُ الْمَقْعَدَ بِقَدَمِهَا دَفْعَةً  
شَدِيدَةً ، فَأَصَابَ لَنْتُونَ الَّذِي سَقَطَ عَلَى ذِرَاعِهِ ، وَبَدَأَ يَسْعَلُ بِشِدَّةٍ ،  
وَأَسْتَمَرَ السُّعَالُ مَعَهُ فِتْرَةً طَوِيلَةً ، مِمَّا جَعَلَنِي أَشْعُرُ بِخَوْفٍ شَدِيدٍ .  
أَمَّا كَاثِي فَقَدْ أَصِيبَتْ بِفَرْعٍ لَمَّا سَبَيْتَهُ لَهُ مِنْ أَذَى ، وَرَاحَتْ تَبْكِي  
بِكَاءً مُرًّا .



وَأَمْسَكَتْ بِلِتْنُونِ إِلَى أَنْ تَوَقَّفَ عَنِ السُّعَالِ ، وَسَأَلَتْهُ : « كَيْفَ  
حَالُكَ الْآنَ ، يَا سَيِّدُ لِنْتُون ؟ »

أَجَابَ : « إِنِّي أَتَمَنَّى لَوْ أَنَّ شُعُورَهَا يَكُونُ مِثْلَ شُعُورِي . كَانَ  
الْأَمْرُ صَعْبًا . ثُمَّ أَخَذَ يَبْنِي بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ .

قَالَتْ كَاثِي أَخِيرًا : « إِنِّي آسِفَةٌ ، يَا لِنْتُون ، لِأَنِّي أَذَيْتُكَ . هَلْ  
إِصَابَتُكَ شَدِيدَةٌ ؟ »

أَجَابَ : « كُفِّي عَنِ الْكَلَامِ ، فَأَنَا لَا أَطِيقُ أَنْ أَسْمَعَكَ  
تَتَحَدَّثِينَ . وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا أَوْ يَتَحَدَّثَ مَرَّةً أُخْرَى .

وَأَخِيرًا نَهَضَتْ كَاثِي لِتَنْصَرِفَ ، وَتَبِعَتْهَا ، وَلَكِنْ مَا إِنَّ وَصَلْنَا  
إِلَى الْبَابِ حَتَّى سَمِعْنَا صَرْخَةً مُدَوِيَّةً : فَقَدْ انْزَلَقَ لِنْتُونُ مِنْ مَقْعَدِهِ  
إِلَى أَرْضِيَّةِ الْغُرْفَةِ ، وَظَلَّ يَتَقَلَّبُ وَيَتَلَوَّى كَطِفْلِ مُدْلَلٍ .

رَفَعَتْهُ إِلَى الْأَرِيكَةِ قَائِلَةً : « هِيََّا نَنْصَرِفْ ، يَا أُنْسَةُ كَاثِي ! يُمَكِّنُكَ  
أَنْ تَرَى بِنَفْسِكَ الْآنَ أَنَّ صِحَّتَهُ السُّيُئَةَ لَيْسَتْ بِسَبَبِ مُعَانَاتِهِ فِي  
حُبِّكَ ! »

وَضَعَتْ كَاثِي وَسَادَةً تَحْتَ رَأْسِهِ ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَ يَتَقَلَّبُ بِضَيْقٍ ،  
وَقَالَ : « هَذِهِ الْوَسَادَةُ غَيْرُ مُرْتَفِعَةٍ بِدَرَجَةٍ كَافِيَةٍ . » فَأَحْضَرَتْ كَاثِي  
وَسَادَةً أُخْرَى وَوَضَعَتْهَا فَوْقَ الْوَسَادَةِ الْأُولَى .

قَالَ لِنْتُونُ : « لَقَدْ أَصْبَحْتُ مُرْتَفِعَةً أَكْثَرَ مِنَ الْإِلَازِمِ . إِجْلِسِي  
عَلَى الْأَرِيكَةِ وَدَعِينِي أُسْنِدُ رَأْسِي إِلَى رُكْبَتَيْكَ . » فَجَلَسَتْ وَأَرَاخَ  
رَأْسَهُ عَلَى رُكْبَتَيْهَا قَائِلًا : « هَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي تَعُودْتُ أَمِّي أَنْ  
تَجْلِسَ بِهَا مَعِي . وَالْآنَ يُمَكِّنُكَ أَنْ تُغْنِيَ لِي أَغْنِيَّةً أَوْ تَقُولِي قَصِيدَةً  
طَوِيلَةً لَطِيفَةً . »

وَأَلْقَتْ كَاثِي مِنْ ذَاكِرَتِهَا أَطْوَلَ قَصِيدَةٍ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَتَذَكَّرَهَا ،  
ثُمَّ اسْتَعَادَتْ قَصِيدَةً ثُمَّ أُخْرَى . وَهَكَذَا شَعَرَ الْاِثْنَانِ بِمُتَعَةٍ كَبِيرَةٍ ،  
وَاسْتَمَرَّا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ إِلَى أَنْ عَادَ هِيرْتُونُ لِتَنَاوُلِ الْغَدَاءِ .

سَأَلَهَا لِنْتُونُ وَقَدْ أَمْسَكَ بِرِدَائِهَا حِينَ هَمَّتْ بِالْقِيَامِ : « هَلْ  
مَسَانِينَ غَدًا ، يَا كَاثِي ؟ »

أَجَبَتْ أُنَا : « لَا ، وَلَا حَتَّى بَعْدَ عَدٍ . » وَلَكِنْ كَاثِي انْحَنَتْ  
وَهَمَسَتْ بِشَيْءٍ فِي أُذُنِهِ ؛ فَلَا حَتَّ عَلَى شَفَتَيْهِ ابْتِسَامَةٌ .



كَانَتْ تَجِدُ مَتْعَةً فِي الْحَدِيثِ مَعَهُ ، أَمَا فِي الزِّيَارَاتِ الْأُخْرَى فَقَدْ  
كَانَتْ تَسَوِّهَا إِمَّا مُعَانَاةً أَوْ أَنَانِيَّةً .

وَفِي إِحْدَى الْأُمُسيَّاتِ كَانَتْ تَدْخُلُ إِلَى الْمَنْزِلِ ، فَقَابَلَتْ هِيرْتُونَ  
فِي الْحَدِيقَةِ ، فَأَشَارَ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ السَّاطِعِ إِلَى كِتَابَةِ أَعْلَى الْبَابِ  
الْأَمَامِيِّ .

قَالَ بِلَهْفَةٍ : « إِنِّي أَسْتَطِيعُ ، يَا كَاثِرِينَ ، أَنْ أَقْرَأَ الْآنَ . » وَقَرَأَ  
بَأَنَاءٍ وَبَاهْتِمَامٍ اسْمَ هِيرْتُونَ إِيرَنْشُو ، وَلَكِنْ حِينَ طَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَقْرَأَ  
التَّارِيخَ الَّذِي يَلِي الْأِسْمَ لَمْ يَسْتَطِعْ ، فَهُوَ ، كَمَا قَالَ لَهَا ، لَمْ  
يَتَعَلَّمْ كَيْفَ يَقْرَأُ الْأَرْقَامَ حَتَّى ذَلِكَ الْوَقْتُ ، الْأَمْرُ الَّذِي جَعَلَ  
كَاثِي تَضَحَّكَ مِلْءَ سِدْقِيهَا .

قَالَتْ لِي : « يَا لَهُ مِنْ غَيْبٍ ، يَا إِلَيْنِ ! »

أَجَبْتُ : « لَا ، يَا عَزِيزَتِي ، كَاثِي ! يَجِبُ أَلَّا تُوجَّهِي إِلَيْهِ مِثْلَ  
هَذِهِ التُّهْمَةِ ؛ فَهِيرْتُونَ كَانَ طِفْلاً حَسَّاساً وَمُجْتَهِداً ، كَمَا كُنْتُ  
أَنْتِ نَفْسُكَ . وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْلُ حِظاً مِنَ الدُّرُوسِ مِثْلِكَ . وَهَذَا مَا جَعَلَهُ  
طِفْلاً غَلِيظاً . »

لَقَدْ كَانَتْ هُنَاكَ مُشَاجَرَاتٌ كَثِيرَةٌ بَيْنَ كَاثِي وَلَنْتُونِ ، وَكُلُّهَا

## الفصل التاسع عشر

خَمِنْتُ أَنَّ كَاثِي تَخَطَّطُ لَزِيَارَةِ لَنْتُونِ مَرَّةً أُخْرَى ، فَصَمَّمْتُ أَنْ  
أَحُولَ دُونَ ذَلِكَ ، وَلَكِنِّي فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ مَرَضْتُ ، وَكَانَ ذَلِكَ  
أَشَدَّ مَرَضٍ أَصِبتُ بِهِ طَوَالَ حَيَاتِي ، فَقَدْ ظَلَمْتُ ثَلَاثَةَ أَسَابِيعَ وَأَنَا  
حَبِيسَةٌ حُجْرَتِي ، لَا أَغَادِرُهَا .

كَانَتْ كَاثِي أَعْظَمَ سُلُوى لِي ؛ فَحَالَمَا كَانَتْ تَتْرُكُ عُرْفَةَ السَّيِّدِ  
لَنْتُونِ ، كَانَتْ تَأْتِي إِلَى فِرَاشِي ؛ فَقَدْ كَانَ يَوْمُهَا مُوزَعاً بَيْنَنَا ،  
وَلَكِنَّ الْمَسَاءَ كَانَ لَهَا . وَلَمْ أَفَكِّرْ فِيمَا كَانَتْ تَفْعَلُ بَعْدَ السَّاعَةِ  
السَّادِسَةِ مَسَاءً . وَحِينَ تَحَسَّنَتْ حَالَتِي اكْتَشَفْتُ سِرَّهَا ، فَقَدْ  
كَانَتْ فِي كُلِّ أُمُسيَّةٍ تَقْرِيباً تَرْكَبُ جَوَادَهَا ، وَتَذْهَبُ إِلَى مُرْتَفَعَاتِ  
وَذَرْنِغَ ؛ كَيْ تَرَى لَنْتُونِ .

وَقَدْ رَأَتْهُ فِي زِيَارَتِهَا لَهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مَبْتَهَجاً ، وَحِينَئِذٍ



نَتِيجَةُ طَبِيعَتِهِ الْمُتَوَيَّةِ . وَكَانَتْ تَصْفَحُ عَنْهُ فِي كُلِّ مُشَاجَرَةٍ ،  
وَتَعَلَّمَتْ أَنْ تَتَحَمَّلَ طَبْعَهُ الْحَادُّ وَصِحَّتُهُ السَّيِّئَةُ .

مَضَتْ كَاثِي تَقُولُ : « أَمَّا بِخُصُوصِ هَيْشَكَلِيف ، فَإِنِّي لَا أَكَادُ  
أَرَاهُ ؛ فَهُوَ يَتَحَاشَانِي عَنْ عَمْدٍ ، وَأَنَا أَزُورُّ لَنْتُون فِي عُرْفَةِ الْجُلُوسِ  
الصَّغِيرَةِ الْخَاصَّةِ بِهِ . وَالْآنَ ، يَا إِيلِين لَقَدْ سَمِعْتُ كُلَّ شَيْءٍ فَإِذَا مَا  
مَنْعَتَنِي مِنَ الذَّهَابِ إِلَى مُرْتَفَعَاتِ وَذُرْنِغ فَسَوْفَ تَكُونِينَ السَّبَبَ فِي  
تَعَاسَةِ شَخْصَيْنِ ! لَا تُخْبِرِي أَبِي بِهِذِهِ الْأُمُورِ - هَلْ تَعِدِينَ بِذَلِكَ ؟ »

أَجَبَتْ : « سَوْفَ أَعْقِدُ الْعَزْمَ تَجَاهَ هَذِهِ النُّقْطَةِ بِالذَّاتِ غَدًا ،  
يَا آنِسَةُ كَاثِي . » وَذَهَبَتْ مِنْ عُرْفَتِي إِلَى عُرْفَةِ سَيِّدِي وَأَخْبَرَتْهُ بِالْقِصَّةِ  
كُلِّهَا .

وَبَدِيهِي أَنْ السَّيِّدَ لَنْتُون رَفَضَ أَنْ يَسْمَحَ لِكَاثِي بِزِيَارَةِ مُرْتَفَعَاتِ  
وَذُرْنِغ مَرَّةً أُخْرَى .

تَتَابَعَتْ أَيَّامُ الرَّبِيعِ ، وَتَحَسَّنَتْ صِحَّةُ السَّيِّدِ لَنْتُون بِدَرَجَةٍ تَسْمَحُ  
لَهُ بِالْخُرُوجِ ، وَبَدَأَ يَخْرُجُ لِلتَّرِيضِ مَعَ كَاثِي مَرَّةً أُخْرَى فِي الْأَمَاكِنِ  
الْمُجَاوِرَةِ كُلِّ يَوْمٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ تَتَحَسَّنْ صِحَّتُهُ تَحَسُّنًا مَلْمُوسًا ،  
وَأَدْرَكَ أَنَّهُ لَنْ يَعِيشَ طَوِيلًا .

وَقَدْ أَلَحَّ عَلَيْهِ وَأَزْعَجَهُ خَاطِرُ طَغَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ أَنَّ  
كَاثِي قَدْ تَحْيَا وَحِيدَةً ، وَقَدْ عَادَ بِخَاطِرِهِ إِلَى ابْنِ أَخْتِهِ لَنْتُون : هَلْ  
يَصْلُحُ زَوْجًا لِكَاثِي ؟ لَقَدْ خَشِيَ أَنْ يَكُونَ لَنْتُون أَلْعُوبَةُ فِي يَدَي  
أَبِيهِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ طَافَ بِهِ الْأَمَلُ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْعَثَ فِي قَلْبِ  
كَاثِي الْأَمَانَ وَالْإِطْمِئْنَانَ لِفَقْدِهِ ، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ كَتَبَ خِطَابًا إِلَى  
لَنْتُون ، وَرَدَّ لَنْتُون بِخِطَابِ طَالِبًا مِنْ خَالِهِ أَنْ يَسْمَحَ لَهُ بِمُقَابَلَةِ  
كَاثِي .

وَمَا إِنْ انْقَضَى الرَّبِيعُ وَحَلَّ الصَّيْفُ حَتَّى بَدَأَ سَيِّدِي يَزْدَادُ  
ضَعْفًا ، وَقَالَ أَخِيرًا إِنَّ كَاثِي يُمَكِّنُهَا أَنْ تُقَابِلَ ابْنَ عَمَّتِهَا فِي  
الْأَرَاضِي الْقَفَرِ وَهِيَ بِرُفْقَتِي . وَقَدْ قَرَّرَ أَنْ زَوَّجَ كَاثِي بِلَنْتُون هُوَ  
أَفْضَلُ حَلٍّ لِمَشْكِلَةِ كَاثِي ، فَهِيَ حِينَ تَتَزَوَّجُ بِوَرِيثِ وَالِدِهَا سَوْفَ  
يُمَكِّنُهَا أَنْ تَظَلَّ فِي مَنْزِلِ الْعَائِلَةِ .

وَلَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ لَهُ بِإِلِالِ أَنْ حَيَوِيَّةَ لَنْتُون كَانَتْ فِي سَبِيلِهَا إِلَى  
الْأَفُولِ بِسُرْعَةٍ كَسُرْعَةِ أَفُولِ صِحَّتِهِ هُوَ ؛ فَمَا مِنْ طَبِيبٍ كَانَ يَزُورُ  
الْمُرْتَفَعَاتِ ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ أَبَانَ عَنْ حَالَةِ لَنْتُون الصَّحِيَّةِ . وَلَمْ نَكُنْ  
لِنَتَصَوَّرْ أَنَّ هَيْشَكَلِيفَ يُمَكِّنُ أَنْ يُعَامِلَ طِفْلًا فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْمَوْتِ  
بِهَذِهِ الْقَسْوَةِ ، وَلَكِنْ هَيْشَكَلِيفَ كَانَ يَخْشَى أَنْ خُطِطَةَ الْآثِمَةِ



يُمْكِنُ أَنْ يُفْسِدَهَا الْمَوْتُ ، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ أَجْبَرَ لَنْتُونُ الْمِسْكِينَ بِأَنْ  
يَتَظَاهَرَ بِأَنَّهُ عَاشِقٌ مُتِمِّمٌ .

وَمَا إِنْ وَافَى شَهْرُ أَوْغُسْتُسَ حَتَّى دُبُرَتْ أَوَّلُ مُقَابَلَةٍ بَيْنَ كَاثِي  
وَلَنْتُونِ ، وَكَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَرْكَبَ جَوَادِينَا لِمُقَابَلَتِهِ فِي الْأَرْضِي  
الْقَفْرِ ، فِي مُتَنَصِّفِ الطَّرِيقِ بَيْنَ الْمَنْزِلَيْنِ .

كَانَ فِي انْتِظَارِنَا ، وَحِينَ قَامَ لَاحَظْتُ أَنَّهُ كَانَ تَقْرِيبًا قَدْ وَصَلَ  
إِلَى حَالَةٍ مِنَ الضَّعْفِ تُعْجِزُهُ عَنِ الْوُقُوفِ ، فَقَدْ بَدَأَ ذَابِلًا  
بِشَكْلِ مُرْبِعٍ ، وَهَزِيلًا إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ . وَقَدْ نَدَّتْ عَنْ كَاثِي صَرَخَةٌ  
دَهْشَةٍ عِنْدَ رُؤْيَاهُ .

تَسَاءَلْتُ : « هَلْ أَنْتَ ، يَا لَنْتُونُ ، أَسْوَأُ مِنْ عَهْدِنَا بِكَ ؟ »

أَجَابَ وَهُوَ مُنْقَطِعُ الْأَنْفَاسِ : « لَا ، فَأَنَا أَفْضَلُ . إِنِّي لَمُتَّعَبٌ -  
هَذَا كُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ ، وَالْجَوُّ حَارٌّ لِدَرَجَةٍ لَا تَسْمَحُ بِالْمَشْيِ فَهَيَّا  
بِنَا نَسْتَرِيحُ . »

جَلَسْتُ كَاثِي . وَمَالَ هُوَ نَحْوَهَا ، وَبَدَأَتْ الْحَدِيثَ إِلَيْهِ ، وَلَكِنَّهُ  
لَمْ يَكُنْ لِيُجِيبَ ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ فَاهَتْ بِهِ قَابِلُهُ بِاهْتِمَامٍ .

وَسَرَّعَانَ مَا أَدْرَكَتْ كَاثِي أَنْ رَفَقْتَنَا لَهُ كَانَتْ عُقُوبَةُ لَهُ وَلَيْسَ

مُتَّعَةٌ . وَاقْتَرَحَتْ هِيَ أَنْ نَعُودَ إِلَى الْمَنْزِلِ ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الْفِكْرَةَ  
أَفْرَعْتُ لَنْتُونِ بِشَكْلِ غَرِيبٍ ، فَأَلْقَى بِنَظَرَةٍ إِلَى الْمُرْتَفَعَاتِ وَطَلَبَ  
إِلَيْهَا أَنْ تَبْقَى نِصْفَ سَاعَةٍ عَلَى الْأَقْلَى .

تَطَلَّعْتُ كَاثِي إِلَيْهِ فِي دَهْشَةٍ ، فَاسْتَأْنَفَ حَدِيثَهُ قَائِلًا : « وَتَعَالَى  
إِلَى هُنَا مَرَّةً أُخْرَى يَوْمَ الْخَمِيسِ الْمُقْبِلِ ، وَإِذَا قَابَلْتُ أَبِي فَلَا تَجْعَلِيهِ  
يَظُنُّ أَنِّي كُنْتُ صَامِتًا وَأَبْلَهَ فَلَسَوْفَ يَثُورُ غَضَبًا . »

قَالَتْ كَاثِي : « أَنَا لَا أَعْبَأُ بِغَضَبِهِ . »

قَالَ لَنْتُونُ : « وَلَكِنِّي أَنَا أَعْبَأُ . »

جَلَسْنَا فِي صَمْتٍ لِبُضْعِ دَقَائِقَ ، وَسَقَطَ رَأْسُ لَنْتُونِ عَلَى  
صَدْرِهِ ، فَقَدْ غَلَبَهُ النَّعَاسُ .

هَمَسْتُ كَاثِي لِي : « هَلْ مَضَتْ نِصْفُ سَاعَةِ الْآنَ ، يَا إِبِلِينَ ؟  
لِمَاذَا أَرَادَ أَنْ يَرَانِي ؟ هَلْ تَظُنِّينَ أَنَّ وَالِدَهُ أَرْغَمَهُ عَلَى هَذَا  
الْلِّقَاءِ ؟ »

اسْتَيْقَظَ لَنْتُونُ فَجَاءَهُ قَائِلًا : « أَعْتَقِدُ أَنِّي سَمِعْتُ صَوْتَ أَبِي .  
ثُمَّ صَرَخَ فِي فَرْعٍ : « إِنَّهُ قَادِمٌ . »

وَعِنْدَمَا سَمِعْتُ كَاثِي هَذَا الْخَبَرَ ابْتَعَدْتُ عَنْهُ بِسُرْعَةٍ ، وَصَاحَتْ



وَهِيَ تَقْفِزُ فَوْقَ جَوَادِهَا : « سَوْفَ أَكُونُ هُنَا يَوْمَ الْخَمِيسِ الْمُقْبِلِ .

إِلَى الْلِقَاءِ ! أَسْرِعِي ، يَا إِيلِينَ . »

وَلَمْ يَنْتَبِهْ إِلَيْنَا عِنْدَمَا رَكِبْنَا وَابْتَعَدْنَا ؛ فَقَدْ كَانَ يُفَكِّرُ فَقَطَّ فِي

وَالِدِهِ .

## الفصل العشرون

مَرَّتْ عَشْرَةُ أَيَّامٍ كَانَ فِيهَا إِدْغَارُ لَنْتُونٍ يَزْدَادُ ضَعْفًا يَوْمًا بَعْدَ  
يَوْمٍ ، فَلَمْ يَكُنْ بِاسْتِطَاعَتِنَا أَنْ نَخْدَعَ كَاثِي بَعْدَ الْآنَ : لَقَدْ فَهِمَتْ  
تَمَامًا أَنَّ أَبَاهَا فِي الطَّرِيقِ إِلَى الْمَوْتِ .

كَانَتْ تَقْضِي كُلَّ دَقِيقَةٍ مِنَ النَّهَارِ إِلَى جَوَارِهِ ، وَقَدْ شَحَبَ  
وَجْهُهَا مِنْ طَوْلِ مُلَازِمَتِهَا لَهُ وَ أَحْزَانِهَا عَلَيْهِ ، . وَحِينَ جَاءَ يَوْمُ  
الْخَمِيسِ لَمْ يَكُنْ لَهَا رَغْبَةٌ فِي الْخُرُوجِ لِمُقَابَلَةِ لَنْتُونٍ ، رَغْمَ أَنَّ  
وَالِدَهَا كَانَ يُرِيدُهَا أَنْ تَذْهَبَ إِلَيْهِ ، فَقَدْ شَعَرَ بِرَاحَةٍ عِنْدَمَا جَالَ  
بِخَاطِرِهِ أَنَّ كَاثِي لَنْ تَتْرَكَ وَحِيدَةً بَعْدَ وَفَاتِهِ .

كَانَ الْوَقْتُ بَعْدَ الظُّهَيْرَةِ حِينَ سَرْنَا ، وَوَجَدْنَا لَنْتُونٍ فِي نَفْسِ  
الْمَكَانِ الَّذِي اخْتَارَ أَنْ يَظُلَّ فِيهِ مِنْ قَبْلُ .

قَالَ بِصُعُوبَةٍ : « إِنَّ الْوَقْتَ مُتَأَخَّرٌ . أَلَيْسَ أَبُوكَ جِدًّا مَرِيضِي ؟ »



لَقَدْ خِيلَ إِلَيَّ أَنَّكَ لَنْ تَأْتِي .

صاحَتُ كاثي : « لَقَدْ اشْتَدَّتْ وَطْأَةُ الْمَرَضِ عَلَى وَالِدِي ،  
فَلِمَاذَا إِذَا تَبِعِدُنِي عَنْهُ ؟ وَأَسْتَطِيعُ أَنْ أَكْتَشِفَ مِنْ مَلَامَحِ وَجْهِكَ  
أَنَّكَ عَازِفٌ عَنْ مِقَابِلَتِي ! وَهَذِهِ هِيَ الْمَرَّةُ الثَّانِيَّةُ الَّتِي تَأْتِي بِي إِلَى  
هُنَا دُونَ دَاعٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ . »

قَالَ لِنْتُونُ مُتَوَسِّلًا : « أَسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ ، يَا كَاثِي ، أَلَا تَغْضِبُنِي .  
اِحْتَقِرْنِي إِذَا أَرَدْتَ ، وَلَكِنْ لَا تَبْغِضْنِي ، فَأَنَا لَا أَسْتَحِقُّ غَضَبَكَ . »  
ثُمَّ أَلْقَى بِنَفْسِهِ عَلَى الْأَرْضِ عِنْدَ قَدَمَيْهَا وَأَمْسَكَ بِثَوْبِهَا .  
صاحَتُ كاثي : « أَيُّهَا الْوَلَدُ الْأَحْمَقُ الْغَبِيُّ ! إِنِّي لِأَحْتَقِرُكَ  
فِعْلًا ! أَتَرَكَ ثَوْبِي ، فَسَوْفَ أَعُودُ إِلَى الْمَنْزِلِ . انْهَضْ وَلَا تَتَصَرَّفْ  
تَصَرُّفًا مُخْرِيًا - لَا لَا تَتَصَرَّفْ هَكَذَا ! »

صاحَ لِنْتُونُ بِأَكْيَا : « آه ! لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَحْمَلَ ! كَاثِي ،  
كَاثِي ، لَوْ أَنَّكَ تَرَكَتَنِي فَإِنَّكَ تَحْكُمِينَ عَلَيَّ بِالْمَوْتِ ، وَلَا أَجْرُؤُ  
عَلَى أَنْ أَخْبِرَكَ بِالسَّبَبِ . إِنَّ حَيَاتِي بَيْنَ يَدَيْكَ ، يَا عَزِيزَتِي كَاثِي .  
لَقَدْ سَبَقَ أَنْ قُلْتُ إِنَّكَ تُحِبِّينِي - إِذَا لَا تَتْرَكِينِي ، يَا كَاثِي  
الْعَطُوفُ .. الْجَمِيلَةُ .. الطَّيِّبَةُ ! وَلَعَلَّكَ تَقْبَلِينَ - وَعِنْدَئِذٍ سَوْفَ  
يَتْرَكُنِي أَعِيشُ مَعَكَ حَتَّى الْمَوْتِ . »

انْحَنَتْ سَيِّدَتِي الشَّابَّةُ عَلَيْهِ بِمَا يَتَدَافَعُ فِيهَا مِنْ مَشَاعِرِ حَنَانٍ قَدِيمٍ  
وَسَأَلَتْهُ : « أَقْبَلُ مَاذَا ؟ أَقْبَلُ أَنْ أَبْقَى هُنَا ؟ أَخْبِرْنِي بِمَعْنَى هَذَا  
الْحَدِيثِ الْغَرِيبِ ، وَسَابِقِي . »

« وَلَكِنْ وَالِدِي سَوْفَ يُؤْذِنِي ، وَإِنِّي لِأَخْشَاهُ .. لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ  
أَخْبِرَكَ . »

كُنْتُ أَتَسَاءَلُ مَا هُوَ السِّرُّ الَّذِي يُخْفِيهِ ، وَإِذَا بِهِ يَشْكُلِيكَ يَظْهَرُ .  
قَالَ بِإِنْشِرَاحٍ : « حَسَنًا ، يَا إِيلِينَ .. كَيْفَ حَالُكُمْ فِي ثَرْشُكْرُوسِ  
عِرَانِغِ ؟ يَقُولُ الْبَعْضُ إِنَّ إِدْغَارَ لِنْتُونِ فِي فِرَاشِ الْمَوْتِ ، هَلْ هَذَا  
صَحِيحٌ ؟ »

أَجَبْتُ : « أَجَلٌ ، إِنَّ سَيِّدِي يُحْتَضِرُ . »

سَأَلَ : « كَمْ تَظُنِّينَ سَيَمْتُدُّ بِهِ الْعَمْرُ ؟ الْأَفْضَلُ أَنْ يُعْجَلَ  
بِنَهَايَتِهِ ، وَإِلَّا فَإِنَّ ذَلِكَ الْفَتَى سَيَمُوتُ قَبْلَهُ ! أَمَلُ أَنْ يَمُوتَ خَالَهُ  
قَبْلَهُ . »

وَأَلْقَى بِنَظَرَةٍ عَلَى لِنْتُونِ الَّذِي كَانَ لَا يَزَالُ مُمَدِّدًا عَلَى الْأَرْضِ .  
« انْهَضْ ، يَا لِنْتُونُ ! انْهَضْ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ ! »

حَاوَلَ لِنْتُونُ مُحَاوَلَاتٍ عَدِيدَةً أَنْ يُطِيعَ ، غَيْرَ أَنَّ نَظْرَةَ وَالِدِهِ إِلَيْهِ



سَبَبَتْ لَهُ خَوْفًا وَعَجْزًا ، وَأَنهَارَتْ قُوَّتَهُ فَسَقَطَ عَلَى ظَهْرِهِ .

« عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ ! انْهَضْ فِي الْحَالِ !! »

التَّفَقَّطَ أَنْفَاسَهُ قَائِلًا : « سَوْفَ أَفْعَلُ ذَلِكَ ، يَا أَبِي . دَعْنِي وَحْدِي لِحُظَّةٍ . مَدِّي لِي يَدَكَ ، يَا كَاثِي . »

قَالَ وَالِدُهُ : « انْهَضِ الْآنَ عَلَى قَدَمَيْكَ ، وَسَوْفَ تَمُدُّ إِلَيْكَ يَدَهَا . هَلْ تَتَعَطَّفِينَ قَتَمَشِينَ مَعَهُ إِلَى الْبَيْتِ ، يَا آنِسَةُ كَاثِي ؟ إِنَّهُ يَرْتَعِشُ إِذَا لَمَسْتَهُ ؛ فَهُوَ يَخْشَانِي كَمَا لَوْ كُنْتُ أَنَا الشَّيْطَانُ مُجَسِّمًا . »

قَالَتْ كَاثِي : « إِنِّي ، يَا عَزِيزِي لَنْتُون ، لَا أَسْتَطِيعُ الذَّهَابَ إِلَى مُرْتَفَعَاتِ وَذَرْنِغ ؛ فَأَبِي قَدْ مَنَعَنِي مِنْ ذَلِكَ . وَأَبُوكَ أَنْتَ لَنْ يُؤْذِيكَ ؛ فَلِمَ إِذَا تَقِفُ مَدْعُورًا بِهَذِهِ الصُّورَةِ ؟ »

أَجَابَ : « أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ دُخُولَ ذَلِكَ الْبَيْتِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَلَا بُدَّ أَنْ تُرَافِقَنِي فِي دُخُولِهِ مَرَّةً أُخْرَى . »

قَالَ وَالِدُهُ : « كَفَّ عَنْ هَذَا الْكَلَامِ ، فَلَنْ نُلْحَظَ عَلَى كَاثِي يَا لَنْتُون ، وَلَا بُدَّ مِنْ دُخُولِكَ مَعِي . »

تَشَبَّهَتْ لَنْتُون بِابْنَةِ عَمَّتِهِ كَاثِي ، وَتَوَسَّلَ إِلَيْهَا بِحَرَارَةٍ أَنْ تَذْهَبَ

مَعَهُ ، وَقَدْ بَدَأَ فِي حَالِهِ تَقَرُّبٌ مِنَ الْجُنُونِ خَوْفًا وَدُغْرًا . كَيْفَ يُمْكِنُهَا أَنْ تَرْفُضَ الذَّهَابَ مَعَهُ ؟

وَصَلْنَا إِلَى بَوَابَةِ مُرْتَفَعَاتِ وَذَرْنِغ ، وَانْتَظَرْتُ أَنَا هُنَاكَ فِي حِينِ مَسَتْ كَاثِي بِلَنْتُونِ إِلَى كُرْسِيِّ .

قَالَ هَيْشَكْلِيْفُ وَهُوَ يَدْفَعُنِي إِلَى الْأَمَامِ : « تَعَالِي ، يَا إِيلِين ، إِلَى الدَّخْلِ وَاجْلِسِي وَدَعِينِي أَنَا أَغْلِقُ الْبَابَ . » وَأَغْلَقَ الْبَابَ بِالْقِفْلِ ، وَقَفَزْتُ أَنَا فِي دُغْرِ وَانْتَحَيْتُ جَانِبًا .

أَضَافَ قَائِلًا : « سَوْفَ تَتَنَاولِينَ الشَّيْءَ قَبْلَ أَنْ تَذْهَبِي إِلَى الْبَيْتِ ؛ فَأَنَا وَحْدِي فِي الْبَيْتِ الْيَوْمَ ، وَلِذَا فَأَنَا فِي حَاجَةٍ إِلَى رَفِيقٍ لَطِيفٍ يُؤْنِسُنِي . اجْلِسِي بِجَوَارِهِ ، يَا آنِسَةُ كَاثِي ، سَوْفَ أَهْدِيكَ كُلَّ مَا أَمْتَلِكُ ، وَهَدِيَّتِي هَذِهِ لَا تَسْتَحِقُّ أَنْ تَقْبَلَهَا ، وَلَكِنْ لَيْسَ ثَمَّةَ مِنْ شَيْءٍ آخَرَ أَقْدِمُهُ إِلَيْكَ ، وَأَقْصِدُ بِهَدِيَّتِي هَذِهِ لَنْتُون . لَا تَحْدِجْنِي بِنَظَرَاتِكَ بِهَذَا الشَّكْلِ ! يَا لِلْعَجَبِ ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْطِشَ بِأَيِّ شَيْءٍ يَتَمَلَّكُهُ الْخَوْفُ مِنِّي . »

صَاحَتْ كَاثِي : « أَنَا لَسْتُ بِخَائِفَةٍ مِنْكَ . » وَكَانَتْ عَيْنَاهَا السُّودَاوَانِ تَلْتَمِعَانِ غَضَبًا وَهِيَ تَقُولُ : « أَعْطِنِي هَذَا الْمِفْتَاحَ ! سَوْفَ أَخْذُهُ . » وَحَاوَلَتْ أَنْ تُمْسِكَ بِالْمِفْتَاحِ مِنْ يَدِهِ ، وَلَكِنَّهُ ضَمَّ



أَصَابِعُهُ عَلَى الْمِفْتَاحِ بِأَحْكَامٍ .

قَالَ : « ابْتَغِدِي ، يَا كَاثِرِينَ لِنَتُونِ . »

لَمْ تُلَقِ كَاثِرِينَ بِالْأَلَا لِنَحْذِيرِهِ ، فَهَاجَمَتْ يَدَهُ أَوَّلًا بِأُظْفَارِهَا ثُمَّ  
بِأَسْنَانِهَا ، فَأَسْقَطَ هَيْثَكْلَيْفَ الْمِفْتَاحِ مِنْ يَدِهِ ، وَأَمْسَكَهَا بِأَحْدَى  
يَدَيْهِ وَجَذَبَهَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَرَاحَ يَضْرِبُهَا عَلَى جَانِبِي رَأْسِهَا .

صَرَخْتُ أَنَا ثُمَّ هَجَمْتُ عَلَيْهِ قَائِلَةً : « أَيُّهَا الشَّيْطَانُ ! » وَلَكِنْ  
لَكُمَّةٌ فِي صَدْرِي أَخْرَسَتْني ، فَأَنَا بِدِينَةٍ وَسِرْعَانٍ مَا تَقَطَّعَتْ أَنْفَاسِي .

تَرَكَهَا وَاتَّكَأَتْ هِيَ عَلَى الْمِنْضَدَةِ وَبِهَا تَسْنَدَانِ رَأْسَهَا ، وَكَانَتْ  
تَنْتَفِضُ كَوَرَقَةِ شَجَرٍ .

قَالَ هَيْثَكْلَيْفَ وَهُوَ يَلْتَقِطُ الْمِفْتَاحَ : « لَقَدْ رَأَيْتِ أَنَّنِي أَعْرِفُ  
كَيْفَ أَعَاقِبُ الصَّغَارَ . إِذْهَبِي إِلَى لِنَتُونِ الْآنَ وَأُبْكِي كَمَا تَشَائِينَ ،  
فَعَدَا سَأَصْبِحُ وَالِدُكَ - الْوَالِدَ الْوَحِيدَ لَكَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَ أَيَّامٍ  
قَلِيلٍ . سَوْفَ أَنْزِلُ بِكَ عِقُوبَاتٍ كَثِيرَةً ، وَأَرَى أَنَّكَ تَسْتَطِيعِينَ  
تَحْمِلَ الْكَثِيرِ . »

وَأَنْدَفَعَتْ كَاثِي نَحْوِي بَدَلًا مِنْ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى لِنَتُونِ ، وَكَانَ هُوَ  
يَجْلِسُ فِي رُكْنٍ مِنْ أَرِيكَةِ هَادِنَا كَفَأٍ ، وَأُظِنُّ أَنَّهُ كَانَ سَعِيدًا أَنْ

يَرَى الْعِقَابَ يَنْزِلُ عَلَى شَخْصٍ آخَرَ غَيْرِهِ .

قَامَ هَيْثَكْلَيْفَ بِإِعْدَادِ الشَّيْءِ وَصَبَّهُ .

قَالَ : « اِشْرَبِي الشَّيْءَ ؛ فَلَيْسَ بِهِ مِنْ سَمٍّ . سَوْفَ أَذْهَبُ لِأُبْحَثَ  
عَنْ جَوَادِيكُمَا . » وَتَرَكَنَا وَأَعْلَقَ الْبَابَ خَلْفَهُ بِالْقُفْلِ .

كَانَ أَوَّلُ مَا فَكَّرْنَا فِيهِ هُوَ أَنْ نَجِدَ وَسِيلَةً لِلْخُرُوجِ ، وَلَكِنْ كَانَتْ  
كُلُّ الْأَبْوَابِ مُغْلَقَةً ، أَمَّا النَّوَافِذُ فَكَانَتْ أَضْيَقَ مِنْ أَنْ تَسْمَحَ لَنَا  
بِالنُّفَازِ مِنْهَا . وَهَكَذَا أَصْبَحْنَا أُسِيرَتَيْنِ فِي مُرْتَفَعَاتٍ وَذُرْنَعٍ .



يَعْرِفُ أَنَّ أَبَاكَ لَنْ يُوَافِقَ عَلَيَّ زَوَاجِنَا الْآنَ . وَيَخْشَى أَبِي أَنْ أَمُوتَ  
إِذَا كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَنْتَظِرَ ؛ وَلِذَا فَسَوْفَ نَتَزَوَّجُ فِي الصَّبَاحِ ، وَعَلَيْكَ أَنْ  
تَبْقَى هُنَا طَوَالَ اللَّيْلِ .»

صَاحَتْ كَاثِي : « أَنْتَظِرُ طَوَالَ اللَّيْلِ ؟ لَا ! سَوْفَ أَحْرِقُ الْبَابَ ،  
وَسَأَخْرُجُ . » وَتَحَرَّكَتْ نَحْوَ النَّارِ ، وَخَافَ لَنْتُونُ عَلَى نَفْسِهِ مَرَّةً  
أُخْرَى وَبَدَأَ يَبْكِي : « أَلَا تَتَزَوَّجِينِي وَتُنْقِذِينِي ؟ كَاثِي ، يَا أَعَزَّ النَّاسِ  
إِلَيَّ ، يَجِبُ أَلَّا تَذْهَبِي وَتَتْرَكِينِي . يَجِبُ أَنْ تُطِيعِي أَبِي ! »  
فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ عَادَ هَيْشَكْلَيْفُ وَقَالَ : « إِنَّ جَوَادِيكُمَا قَدْ عَادَا  
إِلَى الْمَنْزِلِ .»

صَاحَتْ كَاثِي : « دَعْنِي ، يَا سَيِّدُ هَيْشَكْلَيْفُ ، أَرْجِعْ لِمَنْزِلِي ،  
وَأَعِدْكَ أَنْ أَتَزَوَّجَ لَنْتُونِ ، وَأَبِي كَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ أَتَزَوَّجَهُ ، وَأَنَا  
أَحِبُّهُ . لِمَاذَا تُرِيدُ أَنْ تُرْغِمَنِي عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَهُ مِنْ  
تَلْقَاءِ نَفْسِي ؟ وَلَكِنْ إِذَا مَكَثْتُ طَوَالَ اللَّيْلِ هُنَا فَإِنَّ أَبِي سَيَشْعُرُ  
بِتَعَاسِي ، فَكَيْفَ أَكُونُ أَنَا سَبَبًا فِي تَعَاسِيهِ وَهُوَ ... ؟ »

قَاطَعَتْنِي هَيْشَكْلَيْفُ قَائِلًا : « إِنِّي لَأَشْعُرُ بِالرِّضَا الْكَامِلِ حِينَ  
أَفَكِّرُ أَنَّ أَبَاكَ سَيَكُونُ تَعِيسًا ، وَسَوْفَ أَعْمَلُ عَلَى أَنْ تَفِي بِوَعْدِكَ  
بِالزَّوْاجِ مِنْ لَنْتُونِ ؛ وَلَكِنْ تُغَادِرِي هَذَا الْمَنْزِلَ مَا لَمْ تَفْعَلِي ذَلِكَ .»

## الفصل الحادي والعشرون

صَبَحَتْ : « إِنَّكَ تَعْلَمُ ، يَا لَنْتُونُ ، مَاذَا يَتَوَيَّ وَالِدُكَ الشَّيْطَانِيُّ  
النُّزْعَةَ أَنْ يَفْعَلَ ، فَعَلَيْكَ أَنْ تُخَيِّرَنَا بِهِ .»

قَالَ : « أَعْطِينِي قَلِيلًا مِنَ الشَّايِ ، ثُمَّ أَخْبِرْكَ .»

أَعْطَتْهُ كَاثِي فِنْجَانًا مِنَ الشَّايِ فَقَالَ : « لَقَدْ تَسَاقَطَتْ دُمُوعُكَ  
فِي الْفِنْجَانِ ، يَا كَاثِي ، فَلَنْ أَشْرَبَهُ . أَعْطِينِي بَدَلًا مِنْهُ . » فَدَقَعَتْ  
بِفِنْجَانٍ آخَرَ إِلَيْهِ .

شَعَرَتْ بِغَضَبٍ حِينَ رَأَتْهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ مِنَ الْهُدُوءِ ؛ إِذْ لَمْ  
يَخْشَ عَلَى نَفْسِهِ ؛ فَقَدْ زَالَ عَنْهُ خَوْفُهُ الشَّدِيدُ حَالَمَا دَخَلْنَا الْمَنْزِلَ .  
وَأَغْلَبَ ظَنِّي أَنَّهُ صَدَرَ إِلَيْهِ أَمْرٌ بِأَنْ يَحْتَالَ عَلَيْنَا لِنَدْخُلَ إِلَى الْمَنْزِلِ ،  
وَحِينَ نَجَحَ فِي ذَلِكَ أَصْبَحَ بِمَنْجَاةٍ مِنْ غَضَبِ أَبِيهِ .

قَالَ لَنْتُونُ وَهُوَ يَشْرَبُ الشَّايَ : « أَبِي يُرِيدُنَا أَنْ نَتَزَوَّجَ ، وَهُوَ



« اِبْعَثْ يَا بِلِينَ إِذْ ذُنْ لِتُخَيِّرَهُ بِأَنْتِي بِخَيْرٍ ! سَوْفَ يَطْنُ ، يَا بِلِينَ ،  
أَنَا فِي عِدَادِ الْمَفْقُودِينَ . تَرَى مَاذَا نَفَعَلُ ؟ »

كَانَ هَيْشَكْلَيْفَ رَجُلًا بِلاَ قَلْبٍ وَلَا رَحْمَةٍ ؛ فَقَدْ حَبَسَنَا أَرْبَعَةَ  
أَيَّامٍ فِي مُرْتَفَعَاتٍ وَدُرْنَجٍ . وَتَزَوَّجَتْ كَاثِي بِلَنْتُونِ ، وَمَعَ ذَلِكَ بَقِينَا  
حَبِيسَتَيْنِ . وَلَمْ أَشَاهِدِ الزَّوْاجَ ، فَقَدْ أَغْلَقْتُ عَلَيَّ غُرْفَتَهُ زِيْلَاهُ ،  
وَكَانَ هِيرَتُونُ يُحْضِرُ لَنَا الطَّعَامَ مَرَّةً كُلَّ يَوْمٍ ، وَمَا كُنْتُ لأُرى  
شَخْصًا آخَرَ غَيْرَهُ ، وَوَاضِحٌ أَنَّ زِيْلَاهُ وَجُوزَيْفَ قَدْ أَبْعَدَا عَمْدًا .

وَلَمْ يُطْلَقْ سَرَاخُنَا إِلَّا فِي أُمْسِيَّةِ الْيَوْمِ الْخَامِسِ ، فَأَسْرَعْنَا إِلَى  
غُرَانِغٍ وَنَحْنُ نَخْشَى أَنْ يَكُونَ إِدْغَارٌ قَدْ مَاتَ .

وَصَلْنَا وَأَنْفَاسُنَا تَتَقَطَّعُ وَوُجُوهُنَا ذَابِلَةٌ ، وَحَيَانَا الْخَدَمُ بِدَهْشَةٍ  
وَفَرَحٍ عَظِيمَيْنِ ، وَلَمْ يَكُنْ سَيِّدُ الْبَيْتِ قَدْ مَاتَ بَعْدَ كَمَا أَخْبَرَنَا  
الْخَدَمُ .

وَقَدْ قَصَدْتُ إِلَى غُرْفَتِهِ أَوَّلًا حَتَّى أَعِدَّهُ لِعَوْدَةِ كَاثِي ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ  
تَغَيَّرَ كَثِيرًا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ ، وَبَدَأَ ضَعِيلًا عِنْدَمَا كَانَ رَاقِدًا فِي  
اِنْتِظَارِ الْمَوْتِ ، أَصْغَرَ كَثِيرًا مِنْ سِنِّ التَّاسِعَةِ وَالثَّلَاثِينَ .

هَمَسْتُ لَهُ : « إِنَّ كَاثِي قَادِمَةٌ ، يَا سَيِّدِي . »

لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَحْضَرَ لِقَاءَهُمَا ، فَوَقَفْتُ خَارِجَ بَابِ غُرْفَةِ النَّوْمِ

لِمُدَّةِ رُبْعِ السَّاعَةِ قَبْلَ أَنْ أُدْخَلَ . كُلُّ شَيْءٍ كَانَ سَاكِئًا : كَانَ  
حَزْنُ كَاثِي صَامِتًا كَفَرَحِ أَبِيهَا .

قَبْلَ وَجْهَهَا وَهَمَسَ : « إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى كَاثِرِينَ حَبِيسَتِي - وَيَوْمًا  
مَا سَتَأْتِينَ إِلَيْنَا ، يَا صَغِيرَتِي الْعَزِيزَةَ . »

وَلَمْ يَتَحَرَّكَ أَوْ يَنْبِسْ بَيْنَتْ شَفَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَاسْتَمَرَّتْ عَيْنَاهُ  
مُثَبَّتَتَيْنِ فِي وَجْهَهَا وَالْفَرَحَ يَمْلَأُهُمَا ، إِلَى أَنْ تَوَقَّفَ عَنِ التَّنَفُّسِ  
وَرَحَلَتْ رُوحُهُ عَنْ جِسْمِهِ . وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُحَدِّدَ لِحَظَةٍ وَفَاتِهِ بِدِقَّةٍ :  
فَقَدْ رَحَلَ بِهَدْوٍ .



أجاب : « إنني أريد أن أوجر المنزل لشخص سيدفع إيجاراً لسكنائه فيه ، وبالطبع أريد أن يعيش أولادي حولي . أسرعي ، يا كاثي ، وأحضري حاجياتك . »

وبينما كانت كاثي تستعد جالاً ببصره في الغرفة ، لقد كانت هي نفس الغرفة التي دخل فيها كزائر منذ ثماني عشرة سنة خلت ، وكانت صورة فاحرة لكاثين لتون معلقة على الجدار ، تفحصها ثم قال :

« سوف آخذها إلى البيت لا لأنني أحتاج إليها ولكن ... » ثم انفرجت شفتاه عن ابتسامة غريبة : « سوف أخبرك عما فعلت بالأمس . ذهبت إلى المقابر ورأيت الحفار يحفر قبراً لإدغار بجوار قبر كاثين (هناك غرفة لي في الجانب الآخر ! ) وطلبت منه أن يزيح التراب عن التابوت الذي يضم جثتها ، وفتحته ورأيت وجهها مرة أخرى - لا يزال وجهها كما هو ! وقد فككت جانباً من التابوت ، ليس جانب لتون ... تباً له ! وأعطيته الحفار بعض النقود وطلبت منه أن ينزع ذلك الجانب بعيداً عندما أدفن أنا هناك ، وينزع جانب تابوتي أيضاً وهكذا سوف ننام في القبر معاً . »

صحت : « يا لك من شرير ، يا سيد هيثكليف ! أ لم تشعر

## الفصل الثاني والعشرون

قمنا بدفن إدغار لتون بجوار زوجته ، كما أراد . وأصبح ثرشكروس غرانغ ملكاً للتون هيثكليف ، ولكن والده كان المالك الحقيقي . وقد أصدر أوامره بطرد كل الخدم باستثنائي .

وجاء إلى ثرشكروس غرانغ في المساء عقب دفن إدغار ، وقد دخل إلى المنزل مباشرة بدون أن يقرع الباب ، فقد أصبح الآن هو سيد المنزل . ونهضت كاثي بسرعة تريد أن تخرج من الغرفة ، فأمسك بذراعها قائلاً : « توقفي ؛ فليس ثم هروب بعد الآن ! فلقد جئت لأعيدك إلى البيت . »

التمست منه أن يترك كاثي في هذا البيت ويبعث بلنتون إليها ، وأضفت : « بما أنك تبغض الاثنين ، فلن تشعر بأسف على فراقهما . »



بِخَزِي وَأَنْتِ تَزْعِجُ الْمَوْتَى فِي قُبُورِهِمْ ؟

« أَزْعِجُهَا ؟ لَا ! لَقَدْ أَزْعَجْتَنِي هِيَ لَيْلَ نَهَارٍ خِلَالَ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ  
عَامًا حَتَّى اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ ، وَفِيهَا شَعَرْتُ بِسَلامٍ وَأَطْمَئِنَّانِ . »

اسْتَأْنَفَ حَدِيثَهُ قَائِلًا : « أَنْتِ تَعْلَمِينَ ، يَا إِبْلِينَ ، أَنَّنِي قَزَعْتُ  
كُلَّ الْفَزَعِ حِينَ وَدَعْتُ الْحَيَاةَ ، وَطَلَبْتُ مِنْهَا أَنْ تَعُودَ إِلَيَّ ؛ فَأَنَا  
أَعْتَقِدُ اعْتِقَادًا رَاسِخًا فِي الْأَشْبَاحِ ؛ فَفِي أَمْسِيَةِ الْيَوْمِ الَّذِي دُفِنْتُ  
فِيهِ ذَهَبْتُ إِلَى الْمَقَابِرِ وَقُلْتُ لِنَفْسِي : « سَوْفَ أَحْتَضِنُهَا بَيْنَ ذِرَاعَيَّ  
مَرَّةً أُخْرَى . »

« وَأَحْضَرْتُ مِجْرَفَةً وَبَدَأْتُ الْحَفَرَ بِكُلِّ قُوَايَ ، حَتَّى اصْطَدَمْتُ  
الْمِجْرَفَةُ بِتَابُوتِهَا ، فَبَدَأْتُ أَسْتَعْمِلُ يَدَيَّ . وَوَصَلْتُ تَقْرِيْبًا إِلَى غِطَاءِ  
التَّابُوتِ ، وَنَزَعْتُهُ فَسَمِعْتُ إِذْ ذَاكَ صَرْخَةً خَافَتَهُ مِنْ فَوْقِي عَلَى حَاقَةِ  
الْقَبْرِ .

« وَكُنْتُ أَدْرِكُ أَنَّهُ مَا مِنْ شَيْءٍ بِجَوَارِي ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ  
الصَّرخَةَ مَرَّةً أُخْرَى بِالقُرْبِ مِنْ أَذُنِي . وَبَدَأَ لِي أَنْ نَفْسًا دَافِقًا يَهْبُ  
فِي وَجْهِهِ ، وَشَعَرْتُ شُعُورًا جَازِمًا بِأَنَّ كَاثِرِينَ كَانَتْ هُنَاكَ لَا فِي  
الْقَبْرِ ، بَلْ بِجَوَارِي ، فَتَوَقَّفْتُ عَنْ عَمَلِي الشَّاقِّ الْمُخِيفِ وَنَظَرْتُ  
إِلَى أَعْلَى وَشَعَرْتُ بِالرَّاحَةِ ، الرَّاحَةِ التَّامَةِ ، وَقَدْ ظَلْتُ هِيَ مَعِي





إِلَى أَنْ مَلَأْتُ الْقَبْرَ مَرَّةً أُخْرَى بِالتُّرَابِ ثُمَّ اتَّجَهْتُ بِي نَحْوَ الْمَنْزِلِ ،  
وَكُنْتُ عَلَى يَقِينٍ أَنِّي سَوْفَ أَرَاهَا فِي الْمَنْزِلِ . ثُمَّ تَوَقَّفَ عَنِ  
الْكَلَامِ قَلِيلًا .

« وَأَسْرَعْتُ إِلَى عُرْفَتِهَا ، وَشَعَرْتُ أَنَّهَا بِجَوَارِي ، وَكِدْتُ أَنْ  
أَرَاهَا ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ أَسْتَطِعْ ؛ فَقَدْ كَانَتْ شَيْطَانًا بِالنِّسْبَةِ لِي كَمَا  
كَانَتْ غَالِبًا فِي حَيَاتِهَا ! وَحِينَ كُنْتُ أَجْلِسُ فِي الْبَيْتِ مَعَ هِيرْتُونِ ،  
بَدَا لِي أَنِّي إِذَا خَرَجْتُ مِنْهُ فَسَوْفَ أَقَابِلُهَا . وَحِينَ كُنْتُ أَخْرُجُ  
إِلَى الْأَرْضِ الْقَفْرِ كُنْتُ إِخَالُ أَنِّي سَأَلِقَاهَا وَهِيَ مُقْبِلَةٌ إِلَى الْمَنْزِلِ ،  
وَلَمْ أَكُنْ أَطِيقُ النَّوْمَ فِي عُرْفَتِهَا . وَحِينَ كُنْتُ أَعْمِضُ عَيْنِي ،  
كَانَتْ إِمَّا خَارِجَ النَّافِذَةِ وَإِمَّا فِي الطَّرِيقِ إِلَى دُخُولِ الْعُرْفَةِ ، أَوْ  
مُسْنِدَةً رَأْسَهَا عَلَى الْوَسَادَةِ بِجَوَارِي . وَكَانَ عَلَيَّ أَنْ أَفْتَحَ عَيْنِي  
لَأَنْظُرَ هُنَا أَوْ هُنَاكَ مُتَرَقِّبًا إِيَّاهَا ؛ وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ كُنْتُ أَفْتَحُ عَيْنِي ثُمَّ  
أَعْمِضُهُمَا مِثْلَ الْمَرَّاتِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ، وَكُنْتُ لَا أَرَى شَيْئًا . وَالْآنَ ،  
مِنذُ أَنْ رَأَيْتُ وَجْهَهَا مَرَّةً أُخْرَى ، أَصْبَحْتُ أَشْعُرُ بِأَرْتِيَا حِ أَكْثَرَ مِنْ  
ذِي قَبْلُ . »

كَانَ يَفْحَصُ صُورَةَ كَاثَرِينَ مَرَّةً أُخْرَى حِينَ دَخَلْتُ كَاثِي  
الْبَيْتِ ، وَأَخْبَرْتُهُ بِأَنَّ جَوَادَهَا سَوْفَ يَكُونُ جَاهِزًا فِي خِلَالِ دَقِيقَةٍ

وَاحِدَةٍ .

قَالَ لِي : « ابْعَثِي بِالصُّورَةِ إِلَيَّ غَدًا . أَمَّا أَنْتِ ، يَا كَاثِي ،  
فَيُمْكِنُكَ أَنْ تَسْتَعْنِي عَنْ جَوَادِكَ ، لِأَنَّكَ لَنْ تَحْتَاجِي إِلَى جِيَادٍ فِي  
مُرْتَفَعَاتٍ وَذُرْنِي ؛ فَسَوْفَ تَكْفِي قَدَمَاكِ . هَيَّا بِنَا . »

« وَدَاعًا ، يَا إِيلِينَ . »

هَكَذَا هَمَسَتْ لِي سَيِّدَتِي الصَّغِيرَةُ الْعَزِيزَةُ ، وَحِينَ قَبَّلْتَنِي كَانَتْ  
شَفَتَاهَا بَارِدَتَيْنِ كَالثَّلْجِ .

قَالَتْ : « أَرْجُو أَنْ تَأْتِيَ لِمِيزَارَتِي ، يَا إِيلِينَ . »

قَالَ هَيْشَكْلِيْفُ : « لَا ، لَا تَأْتِي ، يَا إِيلِينَ ؛ فَأَنَا لَا أَحِبُّ أَنْ يَأْتِيَ  
الْفُضُولِيُّونَ إِلَى مَنْزِلِي ! »

وَخَرَجْتُ كَاثِي مَعَ أَبِيهَا الْجَدِيدِ .



## الفصل الثالث والعشرون

مات إدغار لنتون في شهر أغسطس (آب) ، أي منذ خمسة أشهر ، ونحن الآن في شهر يناير (كانون الثاني) . ولم أر كاثي منذ غادرتنا ، وقد قمتُ بزيارة للمرتفعات ، ولكن جوزيف وقف أمام البيت ولم يسمح لي بالدخول .

و ذات يوم قابلتُ زيلاه في القرية ، ودفعته لتحدث عن كاثي . وتبين لي أنها تعتبر كاثي متعجرفة ، وأنها لا تحبها . ولكن زيلاه امرأة أنانية وعيية ، فقد أضمرت الكراهية لسيدتي الشابة في نفس الأمسية التي وصلتُ فيها إلى المرتفعات . وأخبرتني أن كاثي قد صعدتُ إلى الطابق العلوي دون أن تحيي زيلاه وجوزيف ، وأغلقتُ على نفسها غرفة لنتون ، وقد ظلتُ فيها إلى الصباح . وبعدئذ حين كان هيثكليف وهيرتون يتناولان طعام الإفطار نزلتُ وهي في حالة دُعر ، وسألتُ إذا كان هيثكليف

يُمكنه أن يبعث من يأتي بطبيب لأن لنتون كان مريضاً .

أجاب هيثكليف : « إنا نعلم ذلك ، ولكن حياته لا تساوي قلامة ظفر ، ولن أنفق مليماً واحداً عليه . »

كان على كاثي أن ترعى لنتون بنفسها رعاية كاملة ، ولم تكن لتأخذ قسطاً من الراحة ، كما لاحظتُ ذلك الخادمة زيلاه من وجهها الشاحب وعينيها الدابلتين الثقيلتين .

و ذات ليلة أتت لغرفة زيلاه وقالت : « أخبري هيثكليف أن ابنه في طريقه للموت ، وأنا جِدُّ واثقة ومتأكدة هذه المرة من ذلك . انهضي في الحال ، وأذهبي وأخبريه . »

لم تنهض زيلاه ، وعادت للنوم مرة أخرى ، ولكن بعد مضي نصف ساعة دق الجرس بعنف فأيقظ هيثكليف ، الذي دعا زيلاه لترى ما الخطب ، فأقضتُ إليه برسالة كاثي ، فراح يسب ويشتم ، ثم أشعل شمعة وذهب بها إلى غرفتهما .

كانت كاثي تجلس بجوار الفراش وبداها مطبقتان حول ركبتيها ، فقرب هيثكليف النور من وجه لنتون ونظر إليه ولمسه ، ثم قال : « والآن ، يا كاثي ، بماذا تشعرين ؟ » فلم تجب بشيء .

أعاد السؤال : « بماذا تشعرين ، يا كاثي ؟ »



أَجَابَتْ : « إِنَّهُ فِي مَأْمَنٍ ، وَأَنَا حُرَّةٌ ، وَيَجِبُ أَنْ أَشْعُرَ أَنِّي بِخَيْرٍ ، وَلَكِنَّكَ تَرَكَتَنِي فِتْرَةً طَوِيلَةً أَصَارَ عَ الْمَوْتَ وَحْدِي ، وَكُنْتُ لَا أَشْعُرُ إِلَّا بِالْمَوْتِ ، وَلَا أَرَى سِوَاهُ . »

قَالَتْ إِنَّهَا كَانَتْ مَرِيضَةً فِي الْيَوْمِ التَّالِي ، وَظَلَّتْ فِي عُرْفَةِ نَوْمِهَا لِمُدَّةِ أَسْبُوعَيْنِ . وَكَانَتْ زِيْلَاهُ تَزُورُهَا مَرَّتَيْنِ كُلَّ يَوْمٍ لِتَقْدِمَ لَهَا مَا تَحْتَاجُهُ ، وَلَمْ يَقْتَرِبْ مِنْهَا أَحَدٌ غَيْرَهَا . وَأَخِيرًا اضْطُرَّتْ مِنَ الْبَرْدِ إِلَى النُّزُولِ فِي الطَّابَقِ السُّفْلِيِّ ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ سَبْتٍ بَعْدَ الظُّهَيْرَةِ ، وَكَانَ هِيرْتُونُ وَزِيْلَاهُ فِي عُرْفَةِ الْمَعِيشَةِ ، وَكَانَ هَيْشَكَلِيفُ فِي الْخَارِجِ ، وَقَدْ كَانَتْ وَهِيَ تَدْخُلُ إِلَى الطَّابَقِ السُّفْلِيِّ تَمْشِي فِي كِبْرِيَاءٍ كَأَنَّهَا إِحْدَى الْأُمِيرَاتِ . وَقَدِمَ لَهَا هِيرْتُونُ وَزِيْلَاهُ كِلَاهُمَا مَقْعَدًا ، وَلَكِنَّهَا رَفَضَتْهُ يَبْرُودَ ، وَأَوَتْ لَوْحِدِهَا إِلَى مَقْعَدٍ ، وَقَدْ لَاحَظَتْ بَعْضَ الْكُتُبِ عَلَى أَحَدِ الرُّفُوفِ وَبَدَأَتْ تُقَلِّبُ صَفَحَاتِ أَحَدِهَا .

وَكَانَ هِيرْتُونُ يَقِفُ خَلْفَهَا وَهُوَ يَتَطَلَّعُ إِلَى صُورِ الْكِتَابِ ، ثُمَّ بَدَأَ يُحْمِلِقُ فِيهَا بَدَلًا مِنَ الْكِتَابِ ، وَتَسَمَّرَتْ عَيْنَاهُ عَلَى شَعْرِهَا الْكَثِيفِ الْأَصْفَرِ الْحَرِيرِيِّ الذَّهَبِيِّ ، وَأَخِيرًا مَدَّ إِحْدَى يَدَيْهِ وَتَحَسَّسَ شَعْرَهَا بِخِفَةٍ كَخِفَةِ الْعُصْفُورَةِ .

قَفَزَتْ مُلْتَفِتَةً وَرَاءَهَا ، وَصَاحَتْ : « ابْتَعدْ فِي الْحَالِ . كَيْفَ

لَجَرُّوْ عَلَى أَنْ تَمَسْنِي ؟ »

بَدَأَ هِيرْتُونُ كَالْأَبْلَهَةِ ، وَصَمَتَ لِمُدَّةِ نِصْفِ سَاعَةٍ ثُمَّ هَمَسَ لَزِيْلَاهُ : « أَرْجُو أَنْ تَطْلُبَنِي إِلَيْهَا أَنْ تَقْرَأَ لَنَا ، يَا زِيْلَاهُ ، فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ لَهَا ! وَلَكِنْ لَا تُخْبِرْهَا بِأَنِّي أُرِيدُ ذَلِكَ . »

قَالَتْ لَهَا زِيْلَاهُ : « إِنَّ هِيرْتُونُ يُرِيدُ مِنْكَ أَنْ تَقْرَأَ لَنَا ، يَا سَيِّدَتِي . »

بَدَأَ الْغَضَبُ عَلَى كَاثِي وَهِيَ تَقُولُ : « لَا شَيْءَ عِنْدِي يُمَكِّنُ أَنْ أَقُولَهُ لَأَيِّ مِنْكُمَا ؛ فَعِنْدَمَا كُنْتُ وَحِيدَةً وَفِي حَاجَةٍ إِلَى الْمُسَاعَدَةِ لَمْ يَقْتَرِبْ أَيُّ مِنْكُمَا مِنِّي ، وَلِذَا فَأَنَا لَا أُرِيدُ عَطْفَكُمَا الْآنَ ! »

« وَلَكِنَّنِي طَلَبْتُ مِنْ هَيْشَكَلِيفِ أَنْ يَسْمَحَ لِي بِأَنْ ... » هَكَذَا بَدَأَ هِيرْتُونُ كَلَامَهُ .

قَاطَعَتْهُ كَاثِي قَائِلَةً : « أَصُمْتُ ! سَأَذْهَبُ إِلَى الْخَارِجِ أَوْ إِلَى أَيِّ مَكَانٍ آخَرَ حَتَّى لَا أَسْمَعَ صَوْتَكَ الْغَيِّي يَرِنُ فِي أُذُنِي . »

قَالَ هِيرْتُونُ وَهُوَ يَحْسُ أَنْفَاسَهُ : « فَلْتَذْهَبِي إِلَى الْجَحِيمِ إِذْنًا ! » وَكَانَ فِي مَوْقِفِهِ هَذَا مُعْتَدًّا بِكِبْرِيَاءِهِ مِثْلَ كَاثِي ، وَقَدْ ظَلَّ كِلَاهُمَا سَدُودَيْنِ طَوَالَ الشُّهُورِ الَّتِي أَعْقَبَتْ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَكُنْ لِكَاثِي مِنْ صَدِيقٍ وَاحِدٍ فِي الْمَنْزِلِ .



فَلَقَّ عَلَيْهِ ظَنًّا مِمَّا أَنَّهُ ضَلَّ السَّبِيلَ وَسَطَ الْأَرْضِ الْقَفْرِ ، وَلَكِنَّهُ عَادَ  
فِي ظَهِيرَةِ الْيَوْمِ التَّالِي وَمَلَابِسُهُ مُبْتَلَّةٌ تَمَامًا .

قَالَ إِنَّهُ كَانَ قَدْ ذَهَبَ لِرِيزَارَةِ هِيْشْكَلِيف فِي مُرْتَفَعَاتِ وَدْرَنْغ ، وَقَدْ  
أَرَعَمَهُ سُقُوطُ الثَّلْجِ عَلَى قَضَاءِ اللَّيْلِ هُنَاكَ ، وَقَدْ عَادَ بِهِ هِيْشْكَلِيف  
إِلَى بَوَابَاتِ ثَرْشْكَرُوسِ غِرَانْغِ أَثْنَاءَ عَوْدَتِهِ ، وَلَكِنَّهُ ضَلَّ الطَّرِيقَ فِي  
ثَلْجِ الْمُنْتَزَةِ ، وَبَدَأَ مُضْطَرِبًا بِشَكْلِ عَجِيبٍ . وَجَالَ بِخَاطِرِي أَنْ سَبَبَ  
هَذَا الاضطرابِ كَانَ نَتِيجَةُ لِرِيزَارَتِهِ لِمُرْتَفَعَاتِ وَدْرَنْغ .

سَأَلْتُ عَنْ أَحْوَالِ كَاثِي فَقَالَ إِنَّهَا كَانَتْ فِي خَيْرِ حَالٍ ، وَغَايَةً  
فِي الْجَمَالِ ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ سَعِيدَةً .

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي خَرَّ لُوكُودُ مَرِيضًا ، وَكَانَ عَلَيَّ أَنْ أَدْعُو لَهُ  
طَبِيبًا . وَكَانَ قَدْ أَصِيبَ بِنَزْلَةٍ بَرْدٍ شَدِيدَةٍ وَحُمَى ، الْأَمْرُ الَّذِي  
اِقْتَضَاهُ أَنْ يَظْلَّ فِي غُرْفَةِ النَّوْمِ لِمُدَّةِ أَرْبَعَةِ أَسَابِيعَ . وَلَمَّا كَانَ هَذَا  
الْمَسْكِينُ لَا رَفِيقَ مَعَهُ ، فَقَدْ طَلَبَ مِنِّي أَنْ أَجْلِسَ إِلَى جَوَارِهِ فِي  
بَعْضِ الْأَحْيَانِ ، وَأَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ . وَبَدَأَ لِي أَنَّهُ مَهْتَمٌّ بِهِيْشْكَلِيفِ  
وَعَائِلَتِهِ . وَدَعَانِي لِكَيْ أَقْضِيَ إِلَيْهِ بِقِصَّتِهِمْ جَمِيعًا ، وَلَقَدْ كَتَبْتُ  
هَذِهِ الْقِصَّةَ الْآنَ كَمَا قَصَصْتُهَا عَلَيْهِ .

لَا أَذْرِي إِنْ كَانَ قَدْ قُبِضَ لِلُوكُودِ أَنْ يَقُومَ بِدَوْرِ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ

## الفصل الرابع والعشرون

عَشَرَ هِيْشْكَلِيف فِي شَهْرِ نَوْفَمْبَرِ (تَشْرِينِ الثَّانِي) عَلَى شَخْصٍ  
يَسْتَأْجِرُ ثَرْشْكَرُوسِ غِرَانْغِ ، وَكَانَ شَابًّا يُدْعَى لُوكُودُ ، اسْتَأْجَرَ الْمَنْزِلَ  
لِمُدَّةِ عَامٍ حَسَبِمَا ظَنَنْتُ ، وَأَمَّا أَنَا فَسَأَظَلُّ مُدِيرَةَ الْمَنْزِلِ ، وَسَوْفَ  
يَكُونُ مَعِيَ بَعْضُ الْخَدَمِ أَيْضًا .

كَانَ السَّيِّدُ لُوكُودُ شَابًّا لَطِيفًا مِنْ جَنُوبِ إِنْجِلْتَرَا ، وَقَدْ أَخْبَرَنِي  
بِأَنَّهُ اخْتَارَ ذَلِكَ الْمَكَانَ الْمَوْحِشَ لِيَتَمَتَّعَ بِالْهُدُوءِ ، وَلِيَعِيشَ وَحِيدًا فِي  
الْمَنْزِلِ ، وَلَكِنِّي أَنَا أَظُنُّ أَنَّ حَيَاةَ دُونَ رَفِيقٍ أَقْلُ مُتْعَةٍ مِمَّا كَانَ  
يَتَوَقَّعُ .

وَقَدْ رَاقَ السَّيِّدُ لُوكُودُ أَوَّلًا جَمَالَ الرِّيفِ ، وَلَكِنْ سَرَّعَانَ مَا  
سَقَطَ الثَّلْجُ مُبَكَّرًا عَنْ عَادَتِهِ عَقِبَ وُصُولِهِ . وَبَعْدَ الظَّهِيرَةِ مِنْ ذَلِكَ  
الْيَوْمِ خَرَجَ لِلتَّنَزُّهِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَعُدْ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ . وَقَدْ أَصَابَنَا جَمِيعًا



بِنَفْسِهِ . وَكَانَ يُبْدِي اهْتِمَامًا شَدِيدًا حِينَ كُنْتُ أَتَحَدَّثُ عَنْ كَاثِي ،  
وَطَلَبَ مِنِّي أَنْ آتِيَ بِصُورَتِهَا مِنَ الْمَكْتَبَةِ ، وَأَنْ أَعْلَقُهَا فِي عُرْفَةِ نَوْمِهِ .  
إِنَّهَا لَفَتَاةٌ رَائِعَةٌ الْجَمَالِ ، وَمَا مِنْ إِنْسَانٍ يَرَاهَا إِلَّا وَيُحِبُّهَا !

وَلَكِنْ كَاثِي لَمْ تُبْدِ أَيَّ شُعُورٍ بِالصَّدَاقَةِ لِلوَكُودِ ، وَقَدْ أَخْبَرَنِي  
أَنَّهَا تَبْدُو صَلَفَةً وَيَمَازِجُهَا شُعُورٌ بِالِاخْتِقَارِ لِلْغَيْرِ ، وَبِالإِضَافَةِ لِذَلِكَ  
فَهِيَ سَلِيطَةُ اللِّسَانِ وَعَيْنَاهَا تَشْعَانِ بِرُودَةٍ .

وَأَخِيرًا تَحَسَّنَتْ صِحَّةُ لَوَكُودِ ، وَقَالَ إِنَّهُ سَيَذْهَبُ رَاكِبًا إِلَى  
الْمُرْتَفَعَاتِ مَرَّةً أُخْرَى ، فَطَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنِّي رِسَالَةً لِتَسْلِيمِهَا  
إِلَى كَاثِي . وَحِينَ عَادَ مِنَ الْمُرْتَفَعَاتِ أَخْبَرَنِي بِقِصَّةِ زِيَارَتِهِ ، وَقَدْ  
عَرَفْتُ مِنْهُ أَنَّ كَاثِي وَهِيرْتُونِ تَشَاجَرَا حِينَ كَانَ هُنَاكَ .

قَرَأْتُ كَاثِي رِسَالَتِي بِلَهْفَةٍ ، وَلَكِنَّهَا قَالَتْ إِنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ الرَّدَّ  
عَلَيْهَا ، فَلَمْ يَكُنْ لَدَيْهَا أَدَوَاتُ لِلْكِتَابَةِ ، وَلَا حَتَّى كِتَابٌ تَنْتَرِعُ مِنْهُ  
صَفْحَةً لِتَكْتُبَ عَلَيْهَا .

صَاحَ لَوَكُودُ : « لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ كُتِّبَ ! كَيْفَ يُمَكِّنُ الْعَيْشُ  
هُنَاكَ بِدُونِ كُتِّبِ ؟ »

قَالَتْ كَاثِي : « كُنْتُ دَائِمًا أَقْرَأُ الْكُتُبَ مَا دَامَتْ مَعِي ، وَلَكِنْ  
هِيَ تَكْلِيفٌ لَا يَقْرَأُ أَبَدًا ، وَقَدْ قَرَّرَ أَنْ يُتْلَفَ كُتُبِي . إِنَّنِي لَمْ أَرِ كِتَابًا

وَاحِدًا مُنْذُ أَسَابِيعَ - بِاسْتِثْنَاءِ مَرَّةٍ عَثَرْتُ فِيهَا عَلَى مَخْزَنِ سِرِّي فِي  
عُرْفَتِكَ ، يَا هِيرْتُونِ ! كَانَتْ كُلُّ الْكُتُبِ أَصْدِقَاءَ قُدَامَى لِي ، وَقَدْ  
أَحْضَرْتُهَا هُنَا مِنْ ثَرْشُكْرُوسِ غَرَائِغَ ، لِمَاذَا سَرَقْتُهَا مِنِّي ؟ إِنَّهَا لَنْ  
تُفِيدَكَ بِشَيْءٍ . »

وَاحْمَرَّ وَجْهُ هِيرْتُونِ .

قَالَ لَوَكُودُ : « لَعَلَّ هِيرْتُونِ يُرِيدُ أَنْ يَزِيدَ مِنْ مَعْلُومَاتِهِ . »

« أَجَلُ ، فَكَثِيرًا مَا أَسْمَعُهُ يُحَاوِلُ أَنْ يَقْرَأَ لِنَفْسِهِ ، وَيَا لَهَا مِنْ  
أَخْطَاءٍ ظَرِيفَةٍ نِلَّكَ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا ! لَقَدْ سَمِعْتُكَ بِالْأَمْسِ ،  
يَا هِيرْتُونِ ، وَكَانَ ذَلِكَ شَيْئًا أَقْرَبَ إِلَى الْفُكَاهَةِ . وَقَدْ سَمِعْتُكَ  
تَقْلُبُ صَفْحَاتِ الْقَامُوسِ بَحْثًا عَنِ الْكَلِمَاتِ الصَّعْبَةِ ، ثُمَّ سَمِعْتُكَ  
تَسُبُّ وَتَلْعَنُ لِأَنَّكَ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَقْرَأَ الشَّرْحَ . »

أَخَذَ هِيرْتُونِ يُحْمِلُ - فِي صَمْتٍ - إِلَى كَاثِي لِلْحُظَّةِ ، ثُمَّ  
عَادَ وَهُوَ يَحْمِلُ سِتَّةَ كُتُبٍ أَوْ سَبْعَةَ ، حَيْثُ أَلْقَى بِهَا أَمَامَهَا ثُمَّ  
صَاحَ : « خُذِيهَا ؛ أَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَقْرَأَ أَبَدًا ، أَوْ أَنْ أَسْمَعَ أَوْ  
أَفْكَرَ فِيهَا مَرَّةً أُخْرَى ! »

أَجَابَتْ : « أَنَا لَا أُرِيدُهَا الْآنَ ، فَهِيَ سَتَذَكِّرُنِي بِكَ ، وَلَسَوْفَ  
أَبْغُضُهَا . »



لَمْ يَسْتَطِعْ هيرتون أَنْ يَتَحَمَّلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَصَفَّعَهَا عَلَى  
وَجْهِهَا بِشِدَّةٍ . لَقَدْ فَعَلَتْ كُلَّ مَا يُمَكِّنُهَا فِعْلُهُ لِتَجْرَحَ مَشَاعِرَهُ .  
وَكَانَتْ هَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي يُمَكِّنُهُ أَنْ يَرُدَّ بِهَا عَلَيْهَا ،  
ثُمَّ التَّقَطُّ الْكُتُبَ وَقَذْفُ بِهَا إِلَى النَّارِ ، وَأَخَذَ يُرَاقِبُهَا وَهِيَ تَحْتَرِقُ  
وَقَدْ عَلَتْ أَسَارِيرُهُ تَغْيِيرَاتُ أَلَمٍ عَمِيقٍ . لَقَدْ كَانَ يَأْمُلُ أَنْ يَبْعَثَ  
الرُّضَا فِي نَفْسِ ابْنَةِ خَالِهِ الْجَمِيلَةِ ؛ عَنْ طَرِيقِ دِرَاسَةِ كُتُبِهَا الْأَثِيرَةِ  
لَدَيْهَا ، لَكِنْ النَّتِيجَةُ كَانَتْ أَنْ احْتَرَقَتْ فِي النَّارِ لَيْسَ فَقَطِ الْكُتُبُ  
وَلَكِنْ مَعَ الْكُتُبِ احْتَرَقَتْ أَيْضًا آمَالُهُ .





اليوم ؟ فعليك أن تحولي الغرفة الصغيرة الخلفية إلى غرفة معيشتك ، وتبقي كاثي هناك معك .

صدعت بالأمر منسرحة ، ولكن أول لقائي وإياها أصابني في الصميم ، فقد تغيرت كثيراً خلال الشهور الستة منذ أن مات والدها . وخلال تلك المدة كانت تعيش كأسيمة في مرتفعات وذرغ وحيدة وبلا صديقة ، فكيف يمكنها أن تكون منسرحة الصدر ؟

وكانت كاثي سعيدة أن أكون معها في مرتفعات وذرغ ، وقد أحضرت معي لها سراً بعضاً من الكتب التي كانت في ثرشكروس غرانغ . وهكذا كان لديها شيء ما لتفعله . وقد ظلت لوقت قصير يغمرها الرضا بكتبها وبرفقتي ، ثم بدأت تساورها الحيرة .

لم تكن ترغب أن تمكث وحيدة في غرفة جلوسنا ، ومن ثم فحين كنت أعمل في المطبخ كانت تتبعني ، ولم يكن هيثكليف يأتي إلى المطبخ قط ، ولكن جوزيف وهيرتون كانا يجلسان في كثير من الأحيان في المطبخ .

ولم تكن كاثي - في أول الأمر - لتأبه بهيرتون ، ولكنها غيرت تصرفها بعد فترة من الزمن ، فبدأت تنظر إليه وتتحدث إلي عنه . وذات مرة قالت لي : « كيف يستطيع أن يجلس طوال أمسية

## الفصل الخامس والعشرون

مرت ثمانية شهور ، والآن أستطيع أن أكتب نهاية لقصتي ، وليست هي النهاية التي كنت أود أن تكون ، ولكنها ربما أفضل منها .

لم يحاول السيد لو كود أن يحظى برضا كاثي ، بل إنه لم يرها مرة أخرى ، فحالما تحسنت صحته غادر ثرشكروس غرانغ وعاد إلى لندن .

وسرعان ما جاء هيثكليف بعد ذلك ليراني ، وكان وجهه ينم على قلق وحيرة مما لم أعهده طوال حياتي ، كما أصبح أكثر نحافة أيضاً .

قال : « إني أريدك ، يا إيلين ، أن تحلي محل زيلاه في مرتفعات وذرغ ؛ فلقد سممت رؤية كاثي تطوف بالبيت حولي طيلة



كامله وهو يشخص إلى النار ؟ إنه يشبه الكلب ، أو الحصان الذي  
يجر العربات ؛ أليس كذلك ، يا إيلين ؟ فهو لا يفعل شيئاً سوى  
أن يقوم بعمله ويأكل طعامه ثم ينام ! أي عقل غبي وأجوف ذاك  
الذي يضمه رأسه ؟ هل أنت ممن تداعبهم الأحلام ، يا هيرتون ؟  
ولكن هيرتون لا يفتح فمه بكلمة أو ينظر خلفه إليها .

« إنني لأعلم لماذا لا يتحدث هيرتون مطلقاً حين أكون أنا في  
المطبخ . » هكذا مضت تقول في مناسبة أخرى . « فهو يخشى أن  
أضحك عليه . هل تعلمين ، يا إيلين ، أنه بدأ يعلم نفسه ذات مرة  
القراءة ، ولأنني ضحكيت من ذلك فقد أحرق كتبه وهجر القراءة ؟  
ألم يكن أحق حين فعل ذلك ؟ »  
قلت : « أو لم تكوني أنت قاسية ؟ »

استأنفت حديثها قائلة : « ربما كنت كذلك ، ولكن لم أكن  
أتوقع أن يكون غيباً إلى هذا الحد . لو أنني أعطيتك ، يا هيرتون ،  
كتاباً هل تأخذه الآن ؟ سوف أحاول ! »

وضعت كتاباً كانت تقرأه على يده ، فقذفت به بعيداً ،  
قائلاً إنها إذا لم تتركه لحاله فسوف يقصف عنقها .

قالت : « سوف أضع الكتاب هنا على المنضدة . والآن أنا

ذاهبة للنوم . »

ثم همست لي لأراقب ما إذا كان سيلمس الكتاب أو لا ، ثم  
انصرفت . ولكنه لم يقترب من الكتاب . ولأحظت كم أسفت ؛  
إذ بعثت فيه الدعز من الدراسة ، وحاولت جهد طاقتها أن تبعث فيه  
الاهتمام بكتبها مرة أخرى ، فكانت كثيراً ما تقرأ لي بصوت عالٍ  
حين أكون منشغلة في عمل ما ، ويكون هيرتون في نفس الغرفة ،  
ثم تتوقف عند جزء هام وتترك الكتاب بجواره ، ولكن هيرتون ما  
كان ليلمسه .

ولما اقترب فصل الربيع أصبحت كاثي أكثر حيرة ، فقد صدر  
إليها أمر بالانغادير الحديقة ، ولكن هيرتون خرج ليصطاد في  
الأراضي القفر ، الأمر الذي جعلها متوترة .

وقع لهيرتون حادث في شهر مارس يتصل ببندقيته ، وكان عليه  
أن يلزم المنزل ، ويقضي جل وقته في المطبخ ، مما بعث السرور في  
نفس كاثي .

كنت ذات يوم أعمل في المطبخ بعد الظهر ، وكانت كاثي  
ترسم صوراً على النافذة بإصبعها ، وكانت تنظر من وقت لآخر إلى  
ابن خالها ، الذي كان يجلس إلى جوار المدفأة في صمت



كِعَادَتِهِ ، وَسَرَّعَانَ مَا سَمِعْتُهَا تَقُولُ :

« لَقَدْ اكْتَشَفْتُ ، يَا هِيرْتُون ، أَنِّي أُرِيدُ .. إِنَّنِي سَعِيدَةٌ .. إِنَّنِي أَحِبُّ الْآنَ أَنْ تَكُونَ ابْنُ خَالِي . »

لَمْ يَنْسَ هِيرْتُون بِكَلِمَةٍ .

« هِيرْتُون ، هِيرْتُون ، هِيرْتُون ، أَلَا تَسْمَعُنِي ؟ »

صَاحَ بِضَرَاوَةٍ : « فَلْتَذْهَبِي إِلَى الْجَحِيمِ وَلِتَتْرَكِينِي وَخُذِي ! »

قَالَتْ : « لَا ، لَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ . أَنَا لَا أَدْرِي كَيْفَ أَحْمِلُكَ عَلَى الْكَلَامِ مَعِي ، فَأَنْتَ ابْنُ خَالِي وَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ صَدِيقًا لِي . »

صَاحَ : « لَا شَأْنَ لِي بِكَ ، وَلَا بِصَلْفِكَ التَّعَسُّ ، وَلَا بِحِيلِكَ اللَّعِينَةِ ؛ وَإِنِّي لِأَفْضَلُ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى الْجَحِيمِ قَبْلَ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى . »

قُلْتُ : « يَجِبُ أَنْ تَكُونَ ، يَا هِيرْتُون ، صَدِيقًا لِابْنَةِ عَمَّتِكَ مَا دَامَتْ قَدْ تَأَسَّفَتْ لَكَ عَلَى مُعَامَلَتِهَا الْقَطْعَةِ ، وَالْأَفْضَلُ لَكَ أَنْ تَتَّخِذَهَا صَدِيقَةً . »

صَاحَ : « صَدِيقَةٌ ! فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَكْرَهُنِي فِيهِ وَتَحْسِبُنِي غَيْرَ جَدِيرٍ بِأَنْ أَنْظِفَ لَهَا حِذَاءَهَا ؟ »

قَالَتْ كَاثِي وَهِيَ تَبْكِي : « لَسْتُ أَبْغُضُكَ ، وَلَكِنَّكَ أَنْتَ الَّذِي تَبْغُضُنِي . إِنَّكَ تَبْغُضُنِي بِالْقَدْرِ الَّذِي يَبْغُضُنِي بِهِ هَيْشَكْلِيف . »

قَالَ هِيرْتُون : « هَذَا كِذْبٌ ! لَقَدْ وَقَفْتُ بِجَانِبِكَ مِائَتِ الْمَرَّاتِ وَأَعْضَبْتَهُ ، فَلِمَاذَا أَفْعَلُ ذَلِكَ إِذَا كُنْتُ أَبْغُضُكَ ؟ »

أَجَابَتْ : « إِنَّنِي لَمْ أَعْرِفُ أَنَّكَ وَقَفْتَ بِجَانِبِي ، وَكُنْتُ أَعِيشُ فِي بُؤْسٍ وَخُصُومَةٍ مَعَ كُلِّ النَّاسِ ، وَلَكِنْ الْآنَ أَنَا أَشْكُرُكَ وَأَطْلُبُ مِنْكَ الْعَفْوَ عَنِّي ! »

مَدَّتْ يَدَهَا لِهِيرْتُون وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَجِبْ لَهَا ، وَجَلَسَ وَعَيْنَاهُ مُسَبَّتَانِ عَلَى الْأَرْضِ وَوَجْهُهُ دَاكِنٌ كَسَحَابَةٍ عَاصِفَةٍ . وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ كَاثِي وَهِيَ غَيْرٌ وَاثِقَةٍ تَمَامًا مِنْ كَلَامِهِ ، وَأَظُنُّ أَنَّهَا كَانَتْ تُخَمِّنُ أَنَّهُ - حَقًّا - لَا يَبْغُضُهَا ، وَبَعْدَ لَحْظَةٍ انْحَنَتْ وَقَبَّلَتْهُ .

لَسْتُ أَدْرِي مَاذَا خَافَ هِيرْتُونُ مِنْ أَفْكَارِ يَأْزَاءِ قُبُلَتِهَا ؛ فَقَدْ خَبَأَ وَجْهَهُ لِيَضَعَ دَفَاقًا .

أَحْضَرَتْ كَاثِي كِتَابًا لَطِيفًا وَبَعْضَ أَوْرَاقٍ بَيَضَاءَ ، وَوَضَعَتْ الْأَوْرَاقَ حَوْلَ الْكِتَابِ وَرَبَطَتْهَا فِيهِ بِخَيْطٍ ، ثُمَّ كَتَبَتْ عُنْوَانَ هَذَا الطَّرْدِ : « إِلَى السَّيِّدِ هِيرْتُونِ إِيرِنْشَو » وَطَلَبَتْ مِنِّي أَنْ أَعْطِيَهُ إِيَّاهُ .



قَالَتْ : « أَخْبِرِي إِنْ كَانَ يَقْبَلُ الطَّرْدُ فَسَوْفَ أَجِيءُ وَأَعْلَمُهُ  
كَيْفَ يَقْرَأُ الْكِتَابَ قِرَاءَةً صَحِيحَةً ، وَإِذَا كَانَ يَرْفُضُهُ فَسَأَصْعِدُ إِلَى  
الطَّابِقِ الْعُلَوِيِّ وَأَغْفِيهِ مِنْ مَتَاعِي أَبَدَ الدَّهْرِ . »

حَمَلْتُ الطَّرْدَ وَأَبْلَغْتُ الرِّسَالَةَ ، عَلَى حِينٍ كَانَتْ كَاثِي تَنْتَظِرُ  
النَّيْجَةَ بِتَلْهُفٍ . وَقَدْ رَفَضَ هِيرَتُونَ أَنْ يَتَسَلَّمَ الْكِتَابَ ، فَوَضَعَتْهُ  
عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْقِهِ بَعِيدًا عَنْهُ ، وَعَدْتُ أَنَا إِلَى عَمَلِي .  
وَأَمَّالَتْ كَاثِي رَأْسَهَا وَذِرَاعَيْهَا إِلَى الْمُنْضَدَةِ حَتَّى سَمِعَتْ صَوْتَ  
الْوَرَقِ يَنْزَاحٌ ، ثُمَّ جَلَسَتْ بِهْدْوٍ إِلَى جِوَارِ ابْنِ خَالِهَا . وَأَخَذَ  
يَنْتَفِضُ ، وَكَانَ وَجْهُهُ سَاخِنًا ، وَفَارَقَتْهُ غِلْظَتُهُ وَعَظْبُهُ .

« قُلْ لِي ، يَا هِيرَتُونَ ، إِنَّكَ عَفَوْتَ عَنِّي ، لِأَنَّكَ بِهِدِهِ الْكَلِمَةِ  
الْبَسِيطَةِ سَسْعِدَنِي . »

قَالَ شَيْئًا لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَبَيَّنَهُ .

أَضَافَتْ كَاثِي : « وَسَوْفَ تَكُونُ صَدِيقًا لِي . »

أَجَابَ : « لَا ، لِأَنَّكَ سَتَخْجَلِينَ مِنِّي طَوَالَ الْعُمْرِ ، وَلَنْ أَسْتَطِيعَ  
أَنْ أَتَحْمَلَ ذَلِكَ . »

قَالَتْ : « وَهَكَذَا لَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ صَدِيقِي . » قَالَتْ ذَلِكَ وَهِيَ

تَبْتَئِمُ بِعُدُوِيَّةٍ وَتَقْتَرِبُ مِنْهُ .

لَمْ أَسْمَعْ كَلِمَاتٍ أُخْرَى ، وَلَكِنْ حِينَ أَجَلْتُ الْبَصَرَ مِنْ حَوْلِي  
وَجَدْتُ وَجْهَيْنِ يَنْكَبَانِ عَلَى صَفَحَاتِ الْكِتَابِ ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُمَا  
أَصْبَحَا صَدِيقَيْنِ .



وَلَمْ يَمْضِ سِوَى لَحْظَةٍ حَتَّى جَلَسَتْ بِجِوَارِهِ ، وَلَصَقَتْ أَزْهَارًا  
فِي طَبَقِهِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ هُوَ أَنْ يَمْنَعَ نَفْسَهُ مِنَ الضَّحْكِ .

رَفَعَ هَيْشَكْلَيْفُ بَصَرَهُ فِي دَهْشَةٍ ، وَأَدَارَ عَيْنَيْهِ فِي وُجُوهِنَا ،  
فَنَظَرَتْ كَاثِي إِلَيْهِ بِشَجَاعَةٍ .

قَالَ هَيْشَكْلَيْفُ : « إِنَّكَ مَحْظُوظَةٌ لِأَنَّكَ بَعِيدَةٌ عَنْ مُتَنَاوَلِي ! أَيُّ  
شَيْطَانٍ ذَلِكَ الَّذِي هَبَطَ فِيكَ وَجَعَلَكَ تُحْمَلِقِينَ فِي وَجْهِي بِهِاتَيْنِ  
الْعَيْنَيْنِ الْمُرْعِيَتَيْنِ ؟ أَلَا فَأَخْفِضِيهَا ، وَلَا تَجْعَلِينِي أَحْسُ بِوُجُودِكَ  
مَرَّةً أُخْرَى ، وَأُظْنُ أَنَّنِي كُنْتُ قَدْ مَنَعْتُكَ عَنِ الضَّحْكِ . »

قَالَ هِيرْتُونُ : « لَقَدْ كُنْتُ أَنَا الَّذِي مَنَعْتَنِي عَنِ الضَّحْكِ . »  
وَلَكِنَّ هَيْشَكْلَيْفَ لَمْ يَسْمَعْ كَلَامَهُ ، وَفِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ دَخَلَ جُوزَيْفُ  
يَتَمَيَّزُ غَيْظًا وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنْ شُجَيْرَاتِ فَاكِهَتِهِ .

سَأَلَ هَيْشَكْلَيْفُ : « مِمَّ يَشْكُو ، يَا هِيرْتُونُ ؟ »  
أَجَابَ الشَّابُّ : « لَقَدْ أَقْتَلَعْتُ اثْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ شُجَيْرَاتِ فَاكِهَةٍ ،  
وَسَوْفَ أَرْزَعُهَا ثَانِيَةً . »

« وَلِمَاذَا أَقْتَلَعْتَهَا ؟ »

أَجَابَتْ كَاثِي : « لَأَنَّنَا كُنَّا نُرِيدُ أَنْ نَزْرَعَ بَعْضَ الْأَزْهَارِ هُنَاكَ ،

## الفصل السادس والعشرون

نَهَضَتْ كَاثِي مِنْ فِرَاشِهَا فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ مُبَكَّرَةً ، وَوَجَدَتْهَا  
فِي الْحَدِيقَةِ مَعَ هِيرْتُونِ . لَقَدْ طَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يُزِيلَ بَعْضَ أَغْصَانِ  
شُجَيْرَاتِ الْفَاكِهَةِ مِنَ الْأَرْضِ لِيُفْسَحَ مَجَالًا لِزِرَاعَةِ أَزْهَارِ .

صَحَّتْ أَنَا : « أَوَهُ ! مَاذَا سَيَقُولُ رَبُّ الْبَيْتِ ؟ وَجُوزَيْفُ ! إِنَّهُ  
يُحِبُّ شُجَيْرَاتِ الْفَاكِهَةِ هَذِهِ . »

دَخَلْنَا الْبَيْتَ لِنَتَنَاوَلَ طَعَامَ الْإِفْطَارِ ، وَكَانَ مِنْ عَادَةِ كَاثِي أَنْ  
تَجْلِسَ بِجِوَارِي ، وَلَكِنَّ فِي هَذَا الْيَوْمِ جَلَسَتْ بِالْقُرْبِ مِنْ هِيرْتُونِ .  
وَحَدَّرَتْهَا بِهِمَسَاتٍ أَلَا تَتَكَلَّمُ كَثِيرًا إِلَى ابْنِ عَمِّهَا ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ  
مُسَيِّرٌ غَضَبَ هَيْشَكْلَيْفِ .

فَأَجَابَتْ بِأَنَّهَا لَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ .



وَأَنَا وَحْدِي أَسْتَحِقُّ أَنْ يُوجَّهَ إِلَيَّ الْيَوْمَ لِأَنِّي أَرَدْتُهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ .

تَسْأَلُ هَيْشَكْلَيْفَ وَهُوَ فِي غَايَةِ الدَّهْشَةِ : « أَيُّ شَيْطَانٍ سَمَحَ لَكَ بِأَنْ تَمَسِّي أَيَّ شَيْءٍ هُنَا ؟ »

أَجَابَتْ : « يَجِبُ أَلَّا تَمْنَعَ عَنِّي بِضْعَةَ أَمْثَارٍ مِنَ الْأَرْضِ ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي اسْتَوْلَيْتَ فِيهِ عَلَى كُلِّ أَرْضِي ! »

قَالَ هَيْشَكْلَيْفَ : « أَرْضُكَ ! لَمْ يَكُنْ لَكَ قَطُّ أَرْضٌ . »

قَالَتْ : « وَنَقُودِي ؟ »

صَاحَ : « أَصْمُتِي ! أَكْمَلِي طَعَامَكَ وَأَنْصَرِفِي . »

اسْتَمَرَّتْ فِي حَدِيثِهَا : « وَأَرْضُ هِيرْتُونِ وَنَقُودُهُ ؟ فَهِيرْتُونُ وَأَنَا أَصْبَحْنَا الْآنَ صَدِيقَيْنِ ، وَسَأَفْضِي إِلَيْهِ بِكُلِّ شَيْءٍ عِنْدَكَ . »

لَمْ يَسْتَطِعْ رَبُّ الْبَيْتِ أَنْ يَتَكَلَّمَ لِيَضَعَ لِحَظَاتٍ ، وَقَدْ شَحَبَ وَجْهُهُ ، ثُمَّ نَهَضَ وَهُوَ يَشْخَصُ إِلَيْهَا وَتَعْبِيرَاتُ وَجْهِهِ تَنُمُّ عَلَى كَرَاهِيَةٍ قَاتِلَةٍ .

قَالَتْ : « إِذَا ضَرَبْتَنِي فَإِنَّ هِيرْتُونِ سَوْفَ يَضْرِبُكَ . »

صَاحَ هَيْشَكْلَيْفَ : « أَيَّتُهَا الشَّيْطَانَةُ ، هَلْ تَجْرئينَ عَلَى دَفْعِ هِيرْتُونِ لِيَسَانِدَكَ ؟ هَلْ تُحَاوِلِينَ أَنْ تَجْعَلِيهِ يَنْحَازُ ضِدِّي ؟ خُذِيهَا ،

يَا إِبْلِينَ ، بَعِيدًا عَنِّي ! سَوْفَ أَقْتُلُهَا إِذَا وَقَعَ عَلَيْهَا بَصْرِي مَرَّةً أُخْرَى ! »

هَمَسَ لَهَا هِيرْتُونُ بِأَنْ تَذْهَبَ بَعِيدًا عَنْهُ .

صَاحَ هَيْشَكْلَيْفَ بِشَرَّاسَةٍ : « خُذِيهَا بَعِيدًا عَنِّي . »

قَالَتْ كَاثِي : « إِنَّهُ لَنْ يَرْضَخَ لَكَ بَعْدَ الْآنَ ، أَيُّهَا الشَّرِيرُ ! وَسَرَّعَانَ مَا سَيَغِضُّكَ كَمَا أَبْغَضُكَ أَنَا . »

قَالَ هِيرْتُونُ لِكَاثِي : « إِهْدِنِي ، فَأَنَا لَا أَسْمَحُ لَكَ أَنْ تَتَحَدَّثَنِي إِلَيْهِ بِهَذِهِ اللَّهْجَةِ ! »

صَاحَتْ : « وَلَكِنَّكَ لَنْ تَسْمَحَ لَهُ بِأَنْ يَضْرِبَنِي ؟ »

قَالَ لَهَا هَامِسًا : « تَعَالِي إِذَا بَعِيدًا . »

لَقَدْ سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ ؛ فَقَدْ أَمْسَكَ بِهَا هَيْشَكْلَيْفَ .

قَالَ لِهِيرْتُونِ : « دَعْنِي الْآنَ ، فَقَدْ تَعَدَّتْ كُلُّ الْحُدُودِ هَذِهِ الْمَرَّةَ ، وَلَنْ يُمَكِّنَنِي أَنْ أَتَحْمَلَ ذَلِكَ . وَسَوْفَ أَجْعَلُهَا تَنْدَمُ طَوَالَ حَيَاتِهَا ! »

أَمْسَكَ بِشَعْرِهَا ، وَأَبْرَقَتْ عَيْنَاهُ بِالشَّرَّاسَةِ ، وَبَدَأَ أَنَّهُ مُوشِكٌ عَلَى أَنْ يَمْزُقَ كَاثِي إِرْبًا إِرْبًا .



وَفَجَاءَ نَزْعَ يَدِهِ مِنْ شَعْرِهَا ، وَأَخَذَ يُحْدِقُ فِي وَجْهِهَا مُحَاوِلًا أَنْ  
يَهْدِيَّ مِنْ نَفْسِهِ لِلْحُظَّةِ ، ثُمَّ قَالَ بِهَدوءٍ : « يَجِبُ أَنْ تَعْلَمِي كَيْفَ  
تَتَجَنَّبِينَ إثَارَةَ غَضَبِي ، وَإِلَّا فَإِنِّي سَوْفَ أَقْتُلُكَ يَوْمًا مَا ! » ثُمَّ خَرَجَ .

اسْتَقَرَّ الصَّدِيقَانِ الْجَدِيدَانِ فِي غُرْفَةِ الْمَعِيشَةِ ، وَبَدَأَتْ كَاثِي  
تَتَحَدَّثُ عَنْ تَصَرُّفَاتِ هَيْشَكْلَيْفِ السَّيِّئَةِ فِي وَقْتِ مَضِيِّ ، وَلَكِنْ  
هَيْرَتُونِ أَوْقَفَهَا بِحَزْمٍ ، فَهَيْشَكْلَيْفُ كَانَ - فِي رَأْيِهِ - بِمِثَابَةِ أَبِي  
لَهُ ، فَهُوَ لَا يَتَحَمَّلُ أَيَّ كَلِمَةٍ تُوَجَّهُ ضِدَّهُ . وَكَانَتْ كَاثِي تَتَفَهَّمُ  
مَشَاعِرَهُ ، وَلَمْ تَتَكَلَّمْ عَنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ . وَأَحْضَرَتْ كِتَابًا ، وَرَاحَ الْاِثْنَانِ  
يَقْرَأَانِ مَعًا ، وَكَانَا لَا يَزَالَانِ مَعًا حِينَ دَخَلَ رَبُّ الْبَيْتِ ؛ فَقَدْ دَخَلَ  
فَجَاءَهُ وَلَمَحَّا نَحْنُ الثَّلَاثَةَ مَعًا . وَرَفَعَتْ كَاثِي وَهَيْرَتُونِ عُيُونَهُمَا فِي  
وَقْتِ وَاحِدٍ ، وَكَانَتْ مُتَمَاثِلَةً تَمَامًا ؛ إِذْ كَانَتْ ثُمَائِلُ عَيْنِي  
كَاثِرِينَ إِبْرَنْشُو .

وَقَدْ حَدَقَ فِيهِمَا هَيْشَكْلَيْفُ لِلْحُظَّةِ وَبَدَأَ قَلِقًا ، ثُمَّ أَشَارَ إِلَيْهِمَا  
بِأَنْ يَخْرُجَا ، وَكَانَتْ أَنَا مُوشِكَةً أَنْ أَخْرَجَ أَيْضًا ، وَلَكِنَّهُ أَمَرَنِي بِأَنْ  
أُظِلَّ حَيْثُ كُنْتُ .

قَالَ : « إِنَّهَا لِنَهَايَةِ مُحْزَنَةٍ لِكُلِّ مَا عَمِلْتَهُ - أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟  
لَقَدْ قَضَيْتُ حَيَاتِي أَسْعَى لِتَدْمِيرِ هَاتَيْنِ الْعَائِلَتَيْنِ ، وَحِينَ أَصْبَحَ  
كُلُّ شَيْءٍ مُعَدًّا لِهَذَا وَتَحْتَ قَبْضَةِ يَدِي ، إِذَا بِالرَّغْبَةِ الْكَامِنَةِ فِي

قَلْبِي قَدْ خَبَتْ وَخَفَّتْ . وَالْآنَ لَقَدْ حَانَ الْوَقْتُ لِأَنْتَقِمَ لِنَفْسِي مِنْ  
أَوْلَادِ أَعْدَائِي ، وَلَكِنْ آيَةُ فَائِدَةٍ تَتَأْتِي مِنْ ذَلِكَ ؟ إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ  
أَكْلِفَ نَفْسِي عَنَاءَ رَفْعِ يَدِي ! لَقَدْ فَقَدْتُ الرَّغْبَةَ فِي التَّمَتُّعِ  
بِتَدْمِيرِهِمْ . »

أَخَذَ يَرُوحُ وَيَغْدُو فِي الْغُرْفَةِ ، ثُمَّ قَالَ : « دَعِينِي ، يَا إِيلِينَ ،  
أَخْبِرْكِ بِمَا أَعَانِي ! إِنَّ مَرَأَى هَذَيْنِ الشَّائِئِينَ يُؤْلِمْنِي أَلَمًا مُخِيفًا .  
إِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ أَفَكِّرَ فِيهَا ، فَوْجُودُهَا يَدْفَعُ بِي إِلَى الْجُنُونِ . وَحِينَ  
أَنْظُرُ إِلَيْهِ أَجِدُ نَفْسِي مُتَمَثِّلًا فِيهِ كَمَا كُنْتُ ذَاتَ يَوْمٍ ، وَفِي نَفْسِ  
الْوَقْتِ يُذَكِّرُنِي بِكَاثِرِينَ : فَهُوَ يُشَبِّهُهَا إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ ، وَلَكِنْ لَيْتَ  
شِعْرِي أَيُّ شَيْءٍ ذَاكَ الَّذِي لَا يُذَكِّرُنِي بِهَا ؟ فَأَنَا أَرَاهَا فِي كُلِّ  
سَحَابَةٍ تَمُرُّ وَفِي كُلِّ شَجَرَةٍ ؛ فَهِيَ تَمَلَأُ الْهَوَاءَ حَوْلِي فَوْجُودُهَا  
أَمَامِي دَائِمًا ، وَكُلُّ الْعَالَمِ يُذَكِّرُنِي بِأَنِّي قَدْ فَقَدْتُهَا ! »

وَتَوَقَّفَ عَنِ الْكَلَامِ ، ثُمَّ أَضَافَ : « سَوْفَ يَطْرَأُ عَلَيَّ تَغْيِيرٌ  
عَجِيبٌ ، يَا إِيلِينَ ، وَأَنَا أَعِيشُ فِي ظِلَالِهِ الْآنَ . أَنَا لَا أَشْعُرُ بِلَذَّةٍ فِي  
حَيَاتِي لِدَرَجَةِ أَنِّي لَا أَتَذَكَّرُ أَنْ أَتَنَاوَلَ طَعَامِي . »

قُلْتُ وَقَدْ فَرَعْتُ لِحَالَتِهِ : « مَاذَا تَعْنِي ، يَا سَيِّدُ هَيْشَكْلَيْفِ ،  
بِالتَّغْيِيرِ ؟ »



قَالَ : « سَوْفَ لَا أَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ التَّغْيِيرُ » .

« أَتَشْعُرُ بِمَرَضٍ ؟ »

« لَا ، يَا إِبِلِينَ ، لَا أَشْعُرُ بِمَرَضٍ » .

مَضِيَتْ فِي الْحَدِيثِ : « أَنْتَ إِذَا لَا تَخْشَى الْمَوْتَ ؟ »

أَجَابَ : « أَخْشَى الْمَوْتَ ! لَا ، لَا أَخْشَى الْمَوْتَ ، وَلَا أَفَكِّرُ فِيهِ . وَقَدْ أَعِيشُ بِصِحَّتِي الْجَيِّدَةِ هَذِهِ إِلَى أَنْ أَبْلُغَ مِنَ الْعُمَرِ عِتِيًّا ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَسْتَمِرَّ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ . وَلَكِنْ يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَذْكَرَ نَفْسِي بِأَنْ أَتَنَفَّسَ ، وَأَذْكَرَ قَلْبِي بِأَنْ يَنْبِضَ ! وَتَمَلِّكُنِي رَغْبَةُ وَاحِدَةٍ وَأَمَلٌ وَاحِدٌ : أَنْ أَصِلَ إِلَيْهَا . وَأَنَا مُتَاكِدٌ أَنِّي سَأَفْعَلُ ذَلِكَ وَسَرِيعًا ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الرَّغْبَةَ قَدْ طَغَتْ عَلَى حَيَاتِي حَتَّى كَانَتْهَا ابْتَلَعَتْهَا . يَا إِلَهِي ! إِنَّهُ لَصِرَاعٌ طَوِيلُ الْأَمَدِ ، وَكَمْ أَتَمَنَّى أَنْ يَنْتَهِيَ هَذَا الصِّرَاعُ ! »

## الفصل السابع والعشرون

عَقِبَ هَذِهِ الْأُمْسِيَّةَ ، بَدَأَ هَيْثُكَلِيفُ يَقْضِي وَقْتًا أَطْوَلَ وَحِيدًا ، وَكَانَ يَتَجَنَّبُ مُقَابَلَتَنَا فِي وَقْتِ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ . وَيَدَّو أَنْ تَنَاوَلَ وَجَبَةً وَاحِدَةً خِلَالَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً كَانَتْ كَافِيَةً لَهُ كَطَعَامِ يَوْمِي .

وَذَاتَ لَيْلَةٍ سَمِعْتُهُ يَخْرُجُ فِي وَقْتِ مُتَأَخِّرٍ ، وَلَمْ يَرْجِعْ حَتَّى الصَّبَاحِ . وَحِينَ دَخَلَ الْمَنْزَلَ حَمَلَتْهُ فِيهِ فِي دَهْشَةٍ ؛ إِذْ بَدَأَ مُتَتَعِشًا مَسْرُورًا تَقْرِيْبًا ، وَلَكِنَّهُ كَانَ شَا حِبَ الْوَجْهِ ، وَكَانَ جِسْمُهُ يَنْتَفِضُ وَتَنَفُّسُهُ سَرِيعًا .

رَفَضَ تَنَاوُلَ طَعَامِ الْإِفْطَارِ ، وَلَكِنْ حِينَ حَانَ وَقْتُ الظُّهْرِ جَلَسَ مَعَنَا لِلْأَكْلِ ، وَقَدْ وَضَعَتْ كَوْمَةً أَكُلَ فِي طَبَقِهِ . وَالتَّقَطَ سِكِّينُهُ وَشَوَكَتَهُ لِيَاكُلَ ، وَفَجَاةً وَضَعَهُمَا عَلَى الْمِنْضَدَةِ ، وَبَدَأَ يَتَطَلَّعُ بِشَغَفٍ نَحْوِ النَّافِذَةِ ، ثُمَّ نَهَضَ وَخَرَجَ . وَدَخَلَ الْمَنْزَلَ بَعْدَ سَاعَةٍ أَوْ اثْنَتَيْنِ ، وَذَهَبَ إِلَى غُرْفَةِ الْمَعِيشَةِ . وَفِي السَّاعَةِ الثَّامِنَةِ قَرَّرْتُ أَنْ أَحْمِلَ



شَمْعَةً وَعِشَاءَ لَهُ ، وَكَانَ يَتَكَيُّ عَلَى نَافِذَةٍ مَفْتُوحَةٍ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ  
يَنْظُرُ إِلَى الْخَارِجِ ، وَعَادَ يَبْصُرُهُ إِلَى الْغُرْفَةِ الْمُعْتَمَةِ .

سَأَلَتْهُ : « هَلْ تُرِيدُ أَنْ أَغْلِقَ النَّافِذَةَ ؟ » وَكَانَ ضَوْؤُ الشَّمْعَةِ  
يَسْقُطُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَقَفَزَتْ إِلَى الْخَلْفِ مَذْعُورَةً . يَا لِهَاتَيْنِ الْعَيْنَيْنِ  
السُّودَاوَيْنِ الْغَائِرَتَيْنِ ! مَا هَذِهِ الْاِبْتِسَامَةُ وَهَذَا الشُّحُوبُ الْمَخِيفُ !  
وَبَدَا أَنَّ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ لَيْسَ هَيْشَكْلَيْفَ ، بَلْ إِنَّهُ الشَّيْطَانُ !

قَالَ بِصَوْتِهِ الْعَادِيِّ : « نَعَمْ ، أَغْلِقْهَا . وَأَرْجُوكِ ، يَا إِيلِينَ ، أَنْ  
تُنَبِّهِي هِيرْتُونَ وَكَاثِي إِلَى أَنْ يَتَّعِدَا عَنِّي ، فَأَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَرَى أَحَدًا  
مِنْ كَانَ . »

قُلْتُ : « أَرْجُو أَنْ تُخْبِرَنِي ، يَا سَيِّدُ هَيْشَكْلَيْفَ ، لِمَاذَا تَبَدُّو غَرِيبَ  
الْأَطْوَارِ ؟ أَيْنَ كُنْتُ فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ ؟ إِنِّي لِأَسْأَلُ هَذَا لَا مِنْ بَابِ  
الْفُضُولِ ، وَلَكِنْ ... »

قَاطَعَنِي ضَاحِكًا : « إِنَّكَ تَتَسَاءَلِينَ مِنْ بَابِ الْفُضُولِ ، وَلَكِنْ  
سَأُخْبِرُكَ : كُنْتُ فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ عَلَى حَافَةِ جَهَنَّمَ ، وَلَكِنِّي الْيَوْمَ  
عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ سَمَائِي . إِنَّ عَيْنِي عَلَيْهَا ؛ فَهِيَ عَلَى بُعْدِ مِثْرَيْنِ  
أَوْ أَقَلِّ مِنِّي ! وَالْآنَ أَفْضَلُ أَنْ تَذْهَبِي . »

وَسَرَّعَانَ مَا سَمِعْنَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَصْعَدُ لِلطَّابِقِ الْعُلُويِّ إِلَى غُرْفَةِ  
كَاثَرِينَ الْقَدِيمَةِ ، فَأَخَذَتْ أَفْكَرَ : هَلْ هُوَ إِنْسَانٌ أَمْ رُوحٌ شَرِيرَةٌ ؟

وَقَدْ تَذَكَّرْتُ وَأَنَا سَابِحَةً فِي التَّفْكِيرِ قِصَصًا غَرِيبَةً كُنْتُ قَدْ قَرَأْتُهَا ،  
ثُمَّ رَجَعْتُ بِي الذَّاكِرَةُ إِلَى الْوَرَاءِ عِنْدَمَا كُنْتُ أُرْعَاهُ طِفْلًا وَأَرَاقِبُهُ  
وَهُوَ يَنْمُو ، وَتَتَبَعْتُهُ خِلَالَ كُلِّ مَرَاكِجِ حَيَاتِهِ ، وَلَكِنْ مِنْ أَيْنَ جَاءَ  
هَذَا الشَّيْءُ الْأَسْمَرُ الصَّغِيرُ ؟

نَزَلَ هَيْشَكْلَيْفَ لِتَنَاوُلِ طَعَامِ الْإِفْطَارِ فِي وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنْ صَبَاحِ  
الْيَوْمِ التَّالِي ، بَعْدَ أَنْ خَرَجَ كُلُّ مَنْ كَانَ فِي الْبَيْتِ . وَجَلَسَ فِي  
مَكَانِهِ الْمُعْتَادِ يُحَمِّلِقُ فِي الْجِدَارِ الْمُوَاجِهَ لَهُ ، وَكَانَتْ عَيْنَاهُ تَتَحَرَّكَ كَأَنَّهَا  
إِلَى أَعْلَى وَأَسْفَلَ بِتَلَهُّفٍ وَحَيْرَةٍ مُضْطَرِبَةٍ .

قَالَ : « اَلْتَفَتِي إِلَيَّ ، يَا إِيلِينَ ، وَأُخْبِرْنِي هَلْ نَحْنُ وَحَدْنَا ؟ »

أَجَبْتُ : « نَعَمْ ، وَحَدْنَا . » وَأَدْرَكْتُ فِي الْحَالِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَنْظُرُ  
إِلَى الْجِدَارِ ، بَلْ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى شَيْءٍ يَبْعُدُ عَنْهُ إِلَى الْأَمَامِ حَوَالِي  
مِثْرَيْنِ . وَمَهُمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ هَذَا الشَّيْءِ فَقَدْ بَدَا أَنَّهُ مَبْعُثُ السُّرُورِ  
الْعَظِيمِ وَالْأَلَمِ الْعَظِيمِ مَعًا . وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الشَّيْءُ ثَابِتًا ،  
وَكَانَتْ عَيْنَاهُ تَتَبَعَانِهِ . وَفَجْأَةً دَفَعَ بِأَدَوَاتِ الْمَائِدَةِ بَعِيدًا ، ثُمَّ اتَّكَأَ  
عَلَى الْمِنْضَدَةِ ، وَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَحْمِلَهُ عَلَى الْأَكْلِ أَوْ الشَّرَابِ ،  
سِوَاءَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَوْ فِي أَيِّ وَقْتٍ آخَرَ خِلَالَ الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ  
التَّالِيَةِ . وَكَانَ يَقْضِي وَقْتَهُ خَارِجَ الْمَنْزِلِ فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ ، أَوْ يَجْلِسُ  
وَحِيدًا فِي غُرْفَةِ الْجُلُوسِ ، أَوْ يَتَمَشَّى فِي الْغُرْفَةِ جِيئةً وَذَهَابًا وَهُوَ

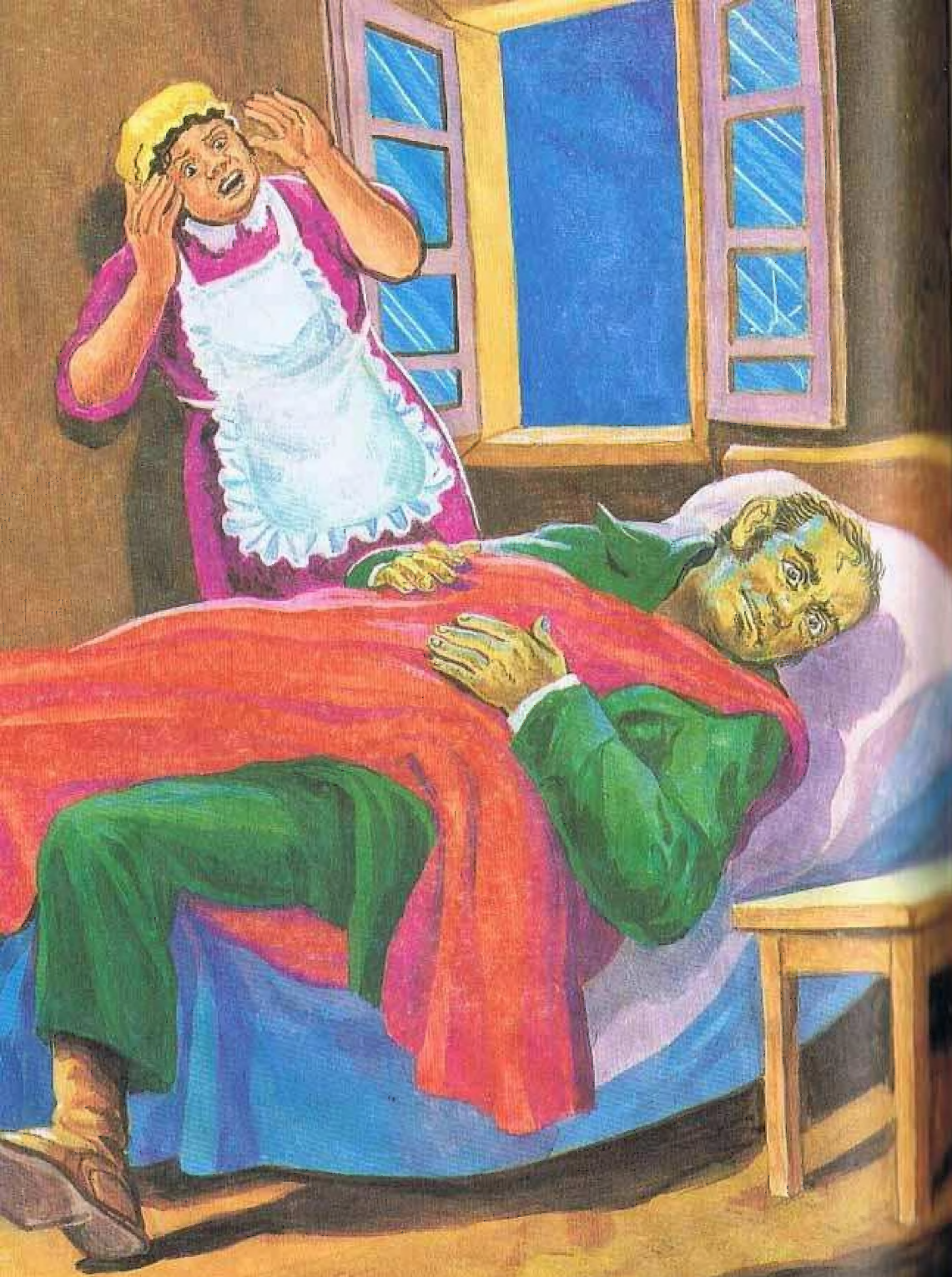


يَجْتَرُّ حَيْرَتَهُ . وَبَعْدَ ظَهِيرَةِ الْيَوْمِ الثَّانِي جَاءَ إِلَى الْمَطْبَخِ وَطَلَبَ مِنِّي أَنْ أَجْلِسَ إِلَيْهِ ، فَرَفُضْتُ ؛ لَقَدْ كُنْتُ فِي خَوْفٍ مِنْ نَظَرَتِهِ الشَّرِسَةِ .  
الْتَفَتَ إِلَى كَاتِي قَائِلًا وَهُوَ يَضْحَكُ سَاخِرًا : « هَلَا جِئْتُ ، يَا عَزِيزَتِي ؟ لَا ، فَقَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي لَكَ أَسْوَأَ مِنَ الشَّيْطَانِ .  
حَسَنًا .. هُنَاكَ شَخْصٌ لَا يَرْفُضُ رَفْقَتِي . أَقْسِمُ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَيْسَ فِي قَلْبِهَا رَحْمَةٌ ! إِنَّهَا بَلَغَتْ حَدًّا لَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَحَمَّلَهَا فِيهِ -  
حَتَّى أَنَا لَا أَتَحَمَّلُهَا . »

لَمْ يَطْلُبْ رَفْقَتَنَا مَرَّةً أُخْرَى . وَفِي أَثْنَاءِ اللَّيْلِ سَمِعْتُ أَصْوَاتًا صَادِرَةً مِنْ غُرْفَةِ نَوْمِهِ ، وَذَهَبْتُ لِأَتَسْمَعَ خَارِجَ بَابِهَا ، فَخِيلَ لِي أَنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ مَعَ شَخْصٍ آخَرَ فِي الْغُرْفَةِ . وَالْكَلِمَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي اسْتَطَعْتُ أَنْ أَسْمَعَهَا بِوُضُوحٍ هِيَ كَلِمَةُ « كَاتِرِينَ » تَتْبَعُهَا كَلِمَاتٌ حُبٌّ وَالْأَمْرُ .

فِي الْيَوْمِ التَّالِي مَكَّثَ هَيْثُكَلِيفُ فِي غُرْفَتِهِ ، وَكَانَ قَدْ أَغْلَقَ الْغُرْفَةَ بِالْقِفْلِ ، وَرَفُضَ أَنْ يَفْتَحَهَا طَوَالَ الْيَوْمِ .

كَانَتْ تِلْكَ الْأَمْسِيَّةُ غَزِيرَةُ الْمَطَرِ ؛ فَقَدْ ظَلَّ يَسْقُطُ طَوَالَ اللَّيْلِ . وَحِينَ كُنْتُ أَقُومُ بِرِيَاضَةِ الصَّبَاحِ حَوْلَ الْمَنْزِلِ ، رَأَيْتُ نَافِذَةَ رَبِّ الْمَنْزِلِ مَفْتُوحَةً عَلَى مِصْرَاعَيْهَا ، وَالْمَطَرُ يَتَدَفَّقُ دَاخِلَ الْحُجْرَةِ . وَاعْتَقَدْتُ أَنَّ هَيْثُكَلِيفَ بِالْخَارِجِ ؛ لِذَا قَرَّرْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَأَتَفَحَّصَ





الأمر . وَ وَجَدْتُ مِفْتَاحًا آخَرَ لَأَفْتَحَ بِهِ الْبَابَ .

كَانَ هَيْثُكَ لَيْفٍ فِي الْفِرَاشِ رَاقِدًا عَلَى ظَهْرِهِ . وَالتَّقْتُ عَيْنَايَ  
عَيْنِيهِ ، وَكَانَتَا بَرَاقَتَيْنِ مَمْلُوءَتَيْنِ شِرَاسَةً إِلَى حَدِّ أَنِّي قَفَزْتُ إِلَى  
الْخَلْفِ مِنْ فَرْطِ فَزَعِي ، ثُمَّ بَدَأَ لِي أَنَّهُ يَبْتَسِمُ . وَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ  
أَصْدُقَ أَنَّهُ مَاتَ ، وَلَكِنْ وَجْهَهُ وَعُنُقَهُ غَسَلَهُمَا الْمَطَرُ ، كَمَا بَلَغَ  
مَلَابِسَهُ . وَكَانَ صَامِتًا تَمَامًا ، وَلَمَسْتُ يَدَهُ فَوَجَدْتُهَا بَارِدَةً تَمَامًا ؛  
فَأَيَّقَنْتُ أَنَّهُ مَاتَ !

أَعْلَقْتُ النَّافِذَةَ ، وَأَزَحْتُ شَعْرَةَ الْأَسْوَدِ الطَّوِيلِ إِلَى الْخَلْفِ ،  
وَحَاوَلْتُ أَنْ أَسْبِلَ عَيْنِيهِ ، وَ أَبْعَدَ حَمْلَقَةَ الْفَرْحِ الْمُخِيفَةِ الَّتِي بَدَتْ  
وَكَأَنَّ فِيهَا بَصِيصَ حَيَاةٍ ، قَبْلَ أَنْ يَرَاهَا أَيُّ شَخْصٍ آخَرَ ، وَلَمْ تَلْنُ  
عَيْنَاهُ لِلْإِعْلَاقِ ، وَبَدَنَّا كَأَنَّهُمَا تَسْخَرَانِ مِنْ مُحَاوَلَاتِي إِغْلَاقَهُمَا ،  
فَاعْتَرَانِي خَوْفٌ شَدِيدٌ ، وَنَادَيْتُ جُوزَيْفَ .

صَاحَ جُوزَيْفٌ حِينَ رَأَاهُ : « لَقَدْ اخْتَطَفَ الشَّيْطَانُ رُوحَهُ ! كَمْ  
يَبْدُو شَرِيرًا وَهُوَ يَبْتَسِمُ لِلْمَوْتِ ! »

قُمْنَا بِدَفْنِ هَيْثُكَ لَيْفٍ - وَفَقَّ رَغْبَتِهِ - إِلَى جُورِ كَاثَرِينَ . وَلَمْ  
يَعَانَ سِوَى وَاحِدٍ لِمَوْتِهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ الشَّخْصُ هُوَ هِيرْتُونُ ، فَقَدْ  
انْهَمَرَتِ الدُّمُوعُ عَلَى وَجْهِهِ حِينَ غَطَى الْقَبْرَ بِالْعُشْبِ .

نَحْنُ الْآنَ فِي شَهْرِ سِبْتِمْبَرِ (أَيْلُول) ، وَكَانَ قَبْرُ هَيْثُكَ لَيْفٍ

مُسْتَوِيًا وَأَخْضَرَ كَقَبْرَيْنِ بِجُورِهِ . وَأَمَلْتُ أَنْ يَرْقُدَ فِي قَبْرِهِ فِي سَلَامٍ  
مِثْلَهُمَا ! وَلَكِنَّ أَهْلَ الرَّيْفِ يَقُولُونَ إِنَّهُ يَمْشِي : فَالْبَعْضُ يَقُولُ إِنَّهُمْ  
رَأَوْهُ مَعَ امْرَأَةٍ قُرْبَ الْأَرْضِ الْبُورِ ، وَفِي هَذَا الْمَنْزِلِ أَيْضًا .

لَمْ أَرِ بِنَفْسِي أَيَّ شَيْءٍ مِمَّا يُقَالُ ، وَلَكِنِّي لَا أَحِبُّ الْخُرُوجَ فِي  
الظُّلَامِ ، وَلَا أَحِبُّ أَنْ أَبْقَى وَحِيدَةً فِي هَذَا الْمَنْزِلِ الْحَزِينِ ، وَسَوْفَ  
أَكُونُ سَعِيدَةً لَوْ قُبِضَ لِي أَنْ أَتْرَكَهُ .

وَالْآنَ سَيَتَزَوَّجُ هِيرْتُونُ وَكَاثَرِي فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنَ الْعَامِ الْجَدِيدِ ،  
ثُمَّ يَنْتَقِلَانِ إِلَى ثَرْشُكْرُوسِ غِرَانْغِ وَسَآذَهَبُ مَعَهُمْ ، وَسَيَبْقَى جُوزَيْفُ  
لِيُشْرِفَ عَلَى مُرْتَفَعَاتِ وَذِرْنِغِ ، وَسَوْفَ يُشَارِكُهُ فِي الْإِشْرَافِ  
الْأَشْبَاحُ الَّتِي تُحِبُّ أَنْ تَعِيشَ هُنَا .

وَفِي مَسَاءِ أَمْسٍ مَشَيْتُ إِلَى الْمَقَابِرِ ، وَذَهَبْتُ لِأَنْظُرَ إِلَى شَوَاهِدِ  
الْقُبُورِ الثَّلَاثَةِ عَلَى الْمُنْحَدِ الْمَجَاوِرِ لِلْأَرْضِ الْبُورِ ؛ فَوَجَدْتُ قَبْرَ  
كَاثَرِينَ مُغَطًى نِصْفَهُ بِالنَّبَاتَاتِ ، وَكَانَتِ الْأَعْشَابُ عَلَى قَبْرِ إِدْغَارِ  
قَلِيلَةً ، عَلَى حِينٍ كَانَ قَبْرُ هَيْثُكَ لَيْفٍ عَارِيًا . وَوَقَفْتُ هُنَاكَ لِبِضْعِ  
دَقَائِقَ فِي ذَلِكَ الْجَوِّ اللَّطِيفِ ، وَأَصْغَيْتُ إِلَى الرِّيحِ الرَّقِيقَةِ الَّتِي  
تَبْعَثُ بِأَنْفَاسِهَا خِلَالَ الْأَعْشَابِ ، وَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَخَيَّلَ رُقَادًا  
مُضْطَرِبًا لِلرَّاقِدِينَ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ الْهَادِئَةِ .



## الروايات المشهورة

- |                           |                        |
|---------------------------|------------------------|
| ١ - جين إير               | ١٠ - الزمن العصيب      |
| ٢ - فرانكنشتاين           | ١١ - الزنبقة السوداء   |
| ٣ - مونفليت               | ١٢ - الأمير و الفقير   |
| ٤ - دراكولا               | ١٣ - سايلاس مارنر      |
| ٥ - لورنا دون             | ١٤ - الوادي الغاضب     |
| ٦ - دكتور جيكل ومستر هايد | ١٥ - أوليفر تويست      |
| ٧ - شي الملكة الأسطورة    | ١٦ - دافيد كويرفيلد    |
| ٨ - كونت مونت كريستو      | ١٧ - ذات الرداء الأبيض |
| ٩ - الرجل الخفي           | ١٨ - مرتفعات وذرغ      |

مَكْتَبَةُ لِبْنَانِ نَاشِرُونَ

زوف مصبح، كسروان - لبنان

01C 198119

رقم الكتاب